(٥)
منتقيات



الشيخ علي حسن فلوم

الشيخ علي حسن غلوم علي

منتقيات

-٥-

مقالات مختارة من صفحة منتقى الجمان المنشورة على صفحات جريدة الوطن الكويتية

من

١٨ صفر ١٤٣٢ هـ / ٢٢ يناير ٢٠١١ م

إلى

٢٠ صفر ١٤٣٣ هـ / ١٤ يناير ٢٠١٢ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

تلفون: ٢٥٤٢٧٩٩٧ - ٢٥٤٢٧٦٦٧

فاكس: ٢٥٤٢٨٥٥٨

Email: alwalaa@alwalaa.com



محتويات الكتاب

١ـ ذروه في سنبله ٩
٢ـ الإسلام والخرافة ١٢
٣ـ لا إكراه في الدين ١٥
٤ـ شركاء في الجريمة ١٨
٥ـ ولادة أمة شاهدة ٢١
٦ـ عدل .. حنان .. وصدق ٢٤
٧ـ التنمية الوهمية ٢٧
٨ـ لحن الحياة ٣٠
٩ـ حفارو القبور ٣٢
١٠ـ اركعوا وأنيبوا ٣٥
١١ـ فتنا فتونا ٣٨
١٢ـ بين الإبداع والابتداع ٤١
١٣ـ بين الدولة والسلطة ٤٥
١٤ـ اعلموا أني فاطمة ٤٨
١٥ـ ياليتني ياباني ٥١
١٦ـ دولة دينية أم مدنية ـ القسم الأول ٥٥
١٧ـ دولة دينية أم مدنية ـ القسم الثاني ٥٨
١٨ـ خلود أم دخول ؟ ٦١
١٩ـ صراع الانتماء ٦٥
٢٠ـ المعجزة والكرامة ٦٨
٢١ـ مكر الله ٧٢
٢٢ـ علي والحق ٧٦
٢٣ـ تصحيح مفهوم النقد ٧٩
٢٤ـ رسالية فقيه ٨٢
٢٥ـ تاريخية السنة ٨٥
٢٦ـ علائم الظهور .. بشارات وإسقاطات ٨٨

محتويات الكتاب

٢٧ـ وادي العظام ٩٣
٢٨ـ الشيخ الطيب في شهر رمضان ٩٦
٢٩ـ الغايات الثلاث ١٠٠
٣٠ـ دراما الحسن والحسين ١٠٤
٣١ـ منابع الحرية عند علي عليه السلام ١٠٨
٣٢ـ القدس في وعي المسلم ١١٣
٣٣ـ أنفق ما في الجيب ١١٧
٣٤ـ إعدام مرتد ١٢٠
٣٥ـ أنا ربكم الأعلى ١٢٤
٣٦ـ سُكر الشباب ١٢٧
٣٧ـ التداوي بالقرآن ـ القسم الأول ١٢٩
٣٨ـ التداوي بالقرآن ـ القسم الثاني ١٣٢
٣٩ـ لئلا يفسد ابن اللبون ١٣٥
٤٠ـ التنمية والعامل الثقافي ١٣٨
٤١ـ الإمامة الإبراهيمية ١٤١
٤٢ـ عرفات : تحطيم الكبر ١٤٤
٤٣ـ تكامل الولاء ١٤٧
٤٤ـ لا يحبك إلا مؤمن ١٥٠
٤٥ـ ماصرون حتى آخر قطرة ١٥٣
٤٦ـ المنبر الحسيني ١٥٦
٤٧ـ كونوا مع الحسين ١٦٠
٤٨ـ يوم الفرقان ١٦٤
٤٩ـ الأحلام والرؤى ـ القسم الأول ١٦٩
٥٠ـ الأحلام والرؤى ـ القسم الثاني ١٧٣
٥١ـ معبد .. وقرابين النجاح ١٧٦
٥٢ـ الكرامة الإنسانية ١٨١

المقـــــدمة

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ تقرر هذه الآية الكريمة رقم ١٢٥من سورة النحل مبدأ إعلاميا راقيا في الترويج إلى ما يعتقد به الإنسان من مبادئ وقيم، وهذا المبدأ يعتمد أولا على الحجة (بِالْحِكْمَةِ) في إقناع الآخرين وثانيا على إتقان أسلوب عرض الحجة (الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ).

والإصدار الذي بين يديك هو أحد النماذج الموفقة في العمل بالمبدأ الإعلامي السالف الذكر، وهو الإصدار الخامس من كتاب (منتقيات) لأخي العزيز سماحة الشيخ علي حسن غلوم، وهو يحتوي على ٥٢ مقالة نشرت كمقالات رئيسية في صفحة (منتقى الجمان) في جريدة الوطن الكويتية، وبإضافة هذا العدد إلى ما سبقتها من مقالات في الأجزاء الأربعة يكون العدد الإجمالي ٢٦٠ مقالة، وأكثر هذه المقالات هي عبارة عن خطب الجمعة التي ألقيت في مسجد سيد هاشم بهبهاني.

من يقرأ هذه المقالات يجد أن الحجة فيها بينة، فبالإضافة إلى اعتماد كاتبها على الآيات القرآنية والسنة النبوية وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، تراه يدعم فكرته بإحصاءات ودراسات قامت بها مؤسسات وشخصيات وطنية ودولية كما هو الحال في مقالته (ذروه في سنبله)، والقارئ يجد كذلك في هذا المقالات المتابعة الحثيثة لما يجري من أحداث سواء على مستوى الوطن أو الأمة أو العالم، وهذا يدل على الاهتمامات المتنوعة لكاتبها التي انعكست على تنوع المقالات.

فعلى سبيل المثال يناقش في مقالته الفكرية (تاريخية السنة) مدى صحة التعامل مع السنة النبوية بطريقة واحدة بحيث تكون بأجمعها قاعدة عامة على مر الزمان، وفي مقالته الوطنية (معبد وقرابين النجاح) يتساءل ـ في أجواء الانتخابات في الكويت ـ هل سقطنا أمام المد الطائفي والحزبي والقبلي؟ وعلى مستوى الأمة يشيد في مقالته (الشيخ الطيب في شهر رمضان) بالدكتور أحمد الطيب فمنذ تعيين فضيلته شيخاً للأزهر لم يتوان عن التأكيد على ضرورة السعي لتحقيق الوحدة الإسلامية بين المذاهب، ويؤكد في مقالته (القدس في وعي المسلم) على أن القدس كانت والقضية الفلسطينية حاضرة في وعي الإمام الخميني بقوة حين جعلها واحدة من القضايا المركزية في حركته الثورية.

وكان للعقيدة نصيب من هذه المقالات باعتبار أن أحد أهداف صفحة منتقى الجمان هو عرض ثقافة ورؤى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ففي مقالته (اعلموا أني فاطمة) يتغنى بفضائل ومناقب سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، ويجيب في مقالته (تكامل الولاء) على تساؤل: هل خلق الله النبي وآله عليهم السلام كي يموتوا فنزورهم، ثم يحيون ليشفعوا عنا؟ وفي مقالته (علي والحق) ذكر أن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام كان دائماً على مفرق الطريق بين الحق والباطل، وأشار إلى قوله عليه السلام (بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار).

هذا من ناحية الحجة وأما من ناحية أسلوب العرض فقد أتبع الكاتب الأسلوب المعاصر في إيصال الفكرة للآخرين، وهو الأسلوب الذي يعتمد على بساطة اللغة بدون تعقيد ولا استعراض، وعلى استخدام الصورة في دعم الفكرة، فربّ صورة تغني عن كتابة صفحة، وكذلك لاختيار الألوان في الإخراج سواء في الصفحات أو الغلاف الأثر البالغ في التشويق وفي إراحة الأعصاب، وكل هذا لا يعدو عن عيناك إذا ما قمت بتصفح الإصدار الذي بين يديك.

وكما ذكرت فإن هذه المقالات جزء من الصفحة الذي خصصتها جريدة الوطن الكويتية مشكورة كنافذة إعلامية لسماحة الشيخ علي حسن تحت مسمى منتقى الجمان، وأعطته كامل الحرية في اختيار المواضيع والمواد، ومن يريد الاستفادة من مبدأ الحكمة والموعظة الحسنة في الترويج فما عليه إلا متابعة هذه الصفحة في الجريدة كل يوم سبت، و للراغب للمزيد من الإطلاع فليتفضل في مسجد سيد هاشم وسوف نكون في خدمته، فقد تم حفظ كل صفحات منتقى الجمان ومنذ بداية صدورها إلى آخر إصدار لها في أرشيف خاص.

من المعروف أنه ليس بالضرورة أن كل من يجيد فن الكتابة يجيد فن الخطابة والعكس صحيح، والقليل هم من يجمعون هذين الفنين، وسماحة الشيخ علي من هذا القليل، فسماحته يستخدم لغة اليدين وتعبيرات الوجه ونبرات الصوت بمهارة في الخطابة، أضف إلى ذلك اختصار الفكرة مع عرض بواسطة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) على شاشات العرض الموجودة في مسجد سيد هاشم بهبهاني الذي هو إمام جماعته.

ولمن لا يعلم فإن سماحة الشيخ علي حسن هو نفسه يقوم بالبحث عن الصور بواسطة الشبكة العنكبوتيه (الإنترنت) ويختار منها ما يخدم الموضوع، وهو من يقوم بإخراج الصفحات وتصميم الغلاف، ويعفي هذا المسجد من تكلفة التصميم والإخراج، ويريح الجريدة في إصدار الصفحة (منتقى الجمان) والمطبعة في إصدار الكتاب (منتقيات).

نسأل الله العلي القدير أن يكون سماحة الشيخ علي مصداقاً للآية الكريمة ٦٩ من سورة العنكبوت ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لمَعَ المحسِنِينَ﴾، فقد جاهد الرجل وبذل الجهد الكثير في كسب المعرفة وفي تنويعها، وكذلك في تعلم الأساليب المعاصرة في العرض والبيان، ويبقى الوعد الإلهي والذي هو تبارك وتعالى بلا شك منجزه لعبده بالهداية وأن يحشره مع المحسنين.

جابر سيد خلف البهبهاني

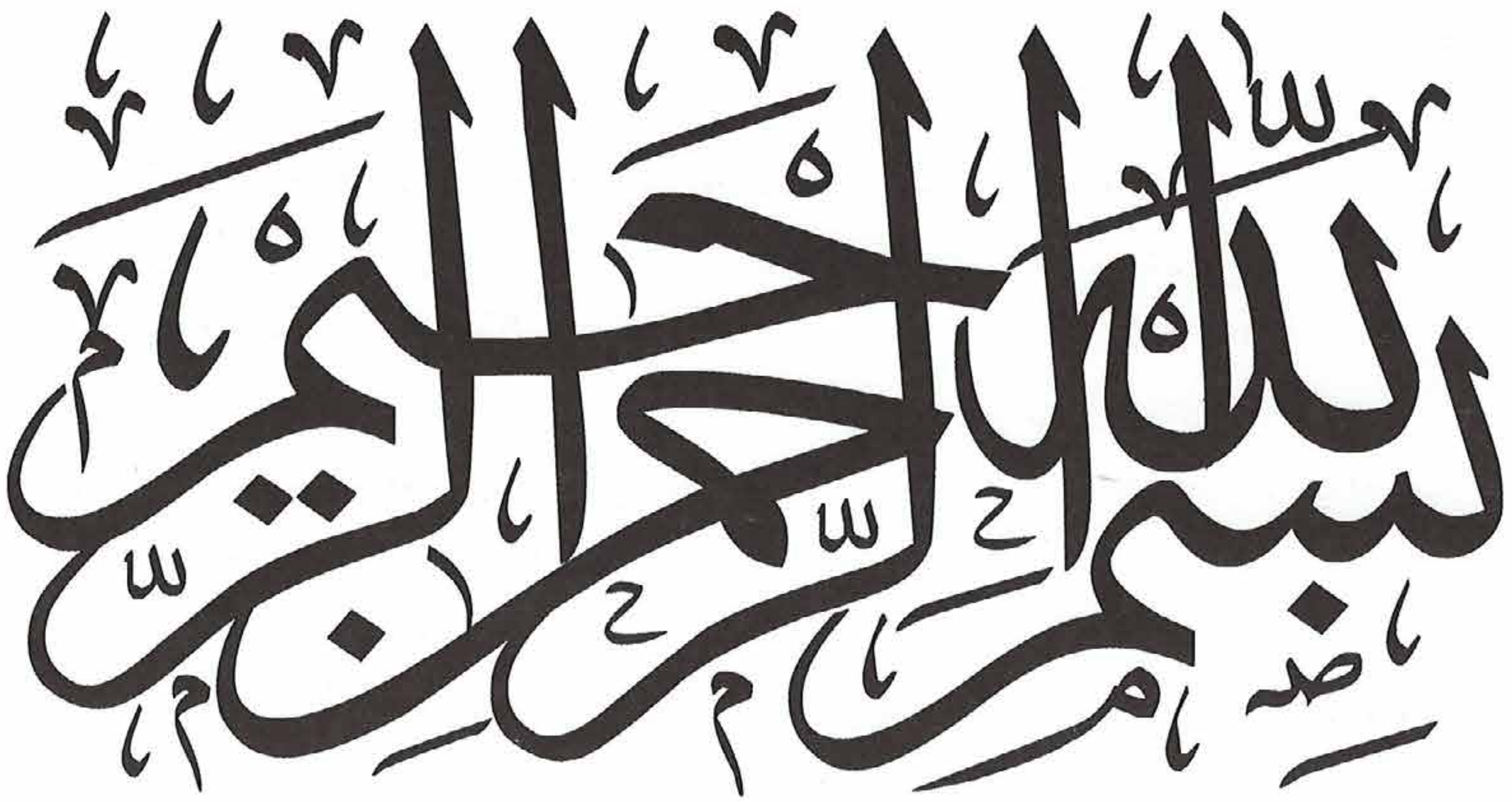
بسم الله الرحمن الرحيم

١٨ صفر ١٤٣٢ هـ
٢٢ يناير ٢٠١١ مـ

ذروه في سُنبله

التقرير الدولي لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة حذر من أزمة غذاء عالمية طاحنة عام ٢٠١١، تفوق أزمة أسعار عام ٢٠٠٨

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ٤٧-٤٩.

تتحدث الآيات عن تدابير اقتصادية قدمها النبي يوسف عليه السلام فيما يتعلق بتوفير الأمن الغذائي لمجتمع مصر المهدد بسنين من الجدب والجوع.. وكان تدبيره أن يزرعوا سبع سنين متواصلة، ثم يتركوا ما تم حصاده في سنبله لئلا يفسد أو يتسوّس، وليستهلكوا القليل منه، وليمتنعوا عن التصدير والإسراف، ثم ستأتي سنون كالسباع الضارية تكرّ على الناس لافتراسهم، فيقدّمون إليها ما ادّخروه، فتأكله و تنصرف عنهم. ثم يكشف الله الكربة و يرفع الجدب و المجاعة و تنزل البركة.

في بعض الأحاديث دلالة على أن مصر من خلال هذه التدابير تحولت إلى قوة اقتصادية، في الوقت الذي تأثرت فيه الحياة الاقتصادية للمجتمعات الأخرى القريبة منها.

- العالم يعاني اقتصادياً:

بعد التدهور الاقتصادي الذي شهدته الولايات المتحدة قبل قرابة ٣ سنوات، وسحبت معها أغلب دول العالم في دوامتها الاقتصادية، خصوصاً بلحاظ عولمة الاقتصاد، وارتباط العملات بالدولار وغير ذلك من العوامل، ما زال العالم يعاني من التبعات، وخصوصاً فيما يرتبط بقوت الناس وحاجاتهم الأساسية.

وما تشهده بعض الدول من اضطرابات دليل على ذلك.. نعم، في الكويت يعيش الكثيرون في مستوى من الرخاء والوفرة، ولا يشعرون بعمق المشكلة، ونحمد الله على النعمة، وأقصى ما يحدث أن ترتفع أسعار بعض المواد الغذائية، و(يتحلطم) البعض وتكتب الصحف ثم تمر الأمور وكأن شيئاً لم يحدث، لأن هناك قوة شرائية.



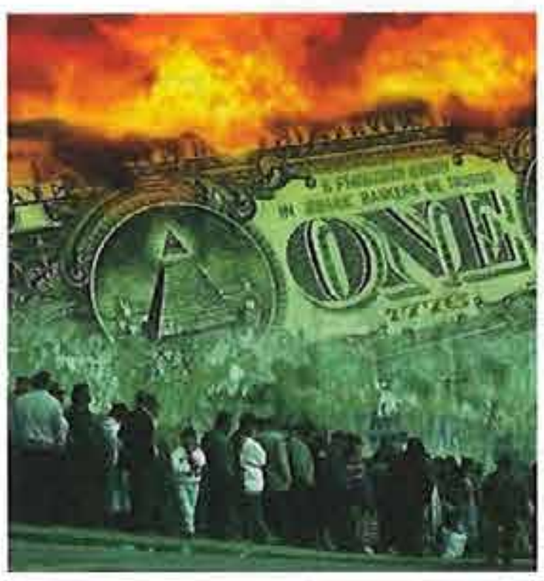

هناك فرق بين الرغبة وبين الحاجة، بين ما أريد وبين ما أحتاج إليه. حاجاتُنا قد يكونُ بإمكاننا تلبيتها، لكنَّ رغباتِنا لا يمكنُنا إشباعَها

• النموذج التونسي:

ولكن انظر إلى ما جرى ويجري في تونس.. فما الذي يدفع شاباً حامل شهادة جامعية إلى أن ينتحر حرقاً بسبب معاناته المالية؟ وما الذي يدفع الناس هناك إلى الخروج إلى الشوارع ومجابهة الرصاص الحي بصدورهم والإصرار على الإطاحة برئيسهم السابق إلا عمق الأزمة والمعاناة؟

وهكذا في الجزائر حيث خرج الناس إلى الشوارع محتجين عندما ارتفعت أسعار بعض المواد الغذائية الرئيسية، وأقدمِ بعضهم على تكرار تجربة الانتحار حرقاً.. وفي الأردن.. وموريتانيا هي الأخرى مرشحة لأن تعيش ذات السيناريو. وفي إيران ـ حسب تعبيرهم ـ تم إجراء جراحة مفصلية للاقتصاد هناك، وذلك بهدف ترشيد الاستهلاك وإلغاء الدعم الحكومي عن المواد التموينية والوقود.

• الفاو يحذر:

التقرير الدولي لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) والصادر أواسط الشهر الماضي، حذر من أزمة غذاء عالمية طاحنة عام ٢٠١١، تفوق أزمة الأسعار التى شهدها العالم عام ٢٠٠٨، إذا لم يواجه بزيادة فى إنتاج المحاصيل الغذائية الرئيسية خلال عام ٢٠١١. وتوقع (الفاو) ارتفاع فواتير استيراد الغذاء لدى دول العجز الغذائي ذات الدخول المنخفضة فى ٢٠١١ بنسبة ٢٠٪. وأشار أحد خبراء (الفاو) أن الزيادة في أسعار الحبوب سجلت في ديسمبر ٢٠١٠ رقماً قياسياً منذ بداية التسجيل في ١٩٩٠.

• دول تتخذ تدابيرها:

وقد أخذت دول كأندونيسيا وتايلند والصين والفلبين وبنجلاديش وأثيوبيا إجراءات اقتصادية معينة تحسبا للقادم، كما توجهت بعض دول الخليج خلال السنوات الأخيرة لشراء أو تأجير أراض زراعية ضخمة في أفريقيا بهدف زراعتها، ففي السودان وحده، وقّعت الإمارات صفقات للحصول على ٤٠٠ ألف هكتار لزراعتها وتصدير محاصيلها للإمارات

خاصة. وهكذا فعلت السعودية في أثيوبيا.. ويأتي كل ذلك تحت عنوان توفير الأمن الغذائي لبلادها.

• سياسات الإنفاق:

ما أريد قوله أن الوضع يحتاج إلى شئ من إعادة النظر في سياسات الإنفاق على المستوى الفردي، ولو من باب الاحتياط.. وأنا لست بالخبير الاقتصادي.. ولا أعلم تأويل الأحاديث كيوسف عليه السلام، ولكن بعض المؤشرات غير مريحة فعلاً. وأريد التنبيه على عدة أمور:

١ـ هناك فرق بين الرغبة وبين الحاجة، بين ما أريد وبين ما أحتاج إليه. حاجاتُنا قد يكونُ بإمكاننا تلبيتها، لكنَّ رغباتِنا لا يمكنُنا إشباعَها، لأن الرغبةَ تزداد كلما أردنا أن نشبعَها أكثرَ برغبةٍ أكبر. (ولا يملأ جوف ابنِ آدم إلا التراب). كثير مما نشتريه هو بمثابة تلبية للرغباتِ، وليس استجابة للحاجات. والرغبات قد تكونُ محفزةً لنا في بعضِ الأحيانِ من أجلِ التغييراتِ الضروريةِ التي تساعدُنا على تحقيقِ أحلامنا، إلا أنها أحياناً تقودُنا إلى الدمار.

٢ـ حسن التقدير في المعيشة من صفات المؤمنين، فعن داود بن سرحان قال: (رأيت أبا عبدالله عليه السلام يكيل تمراً بيده، فقلت: جعلت فداك لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك فيكفيك، فقال: يا داود إنه لا يُصلح المرءَ المسلمَ إلا ثلاثة: التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وحسن التقدير في المعيشة). وعنه عليه السلام قال: (إذا أراد الله عزوجل بأهل بيت خيراً رزقهم الرفق في المعيشة). وعنه: (عليك بإصلاح المال فإن فيه منبهة للكريم واستغناء عن اللئيم). والمنبهة تعني الرفعة في الشأن، ويمكن تصور تحقق ذلك بالوفرة المالية الناتجة عن حسن التقدير والإنفاق المعتدل، ثم تتبعها جهود استثمارية، وقال الفيض الكاشاني في توجيه آخر للحديث: (لأن بالإصلاح ينمو المال، وبنمو المال يتيسر الكرم، وبالكرم يعلو الكريم ويشرف).

٣ـ لا تنس العامل الغيبي في استنزال الرزق، قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ اللَّـهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة:٢٧٦، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (استنزلوا الرزق بالصدقة). وعن علي عليه السلام: (إذا أملقتم فتاجروا مع الله بالصدقة). وقال سبحانه على لسان نوحٍ عليه السلام: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ نوح: ١٠-١٢. وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إذا استبطأت الرزق فأكْثِر من الاستغفار).

٢٥ صفر ١٤٣٢ هـ
٢٩ يناير ٢٠١١ مـ

الإسلام والخرافة

من مهام الدين محو الخرافة وتثبيت الحقائق، ولكن من المؤسف أن نشهد دخول الخرافة من بوابة التدين وبصور وذرائع متعددة

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلام وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾ المائدة: ١٥-١٦، هكذا جاء الإسلامً ليخرج الإنسان من سيطرة الباطل والظلم والوهم والجهل والخرافة (الظلمات) ويدخله في رحاب الحقيقة والعدل والعلم (النور).

• صور قرآنية:

قدم القرآن الكريم صوراً من الخرافة:

ـ على مستوى العقيدة: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعامً:١٠٠. فنسبة الجن لله وعبادتهم باعتبارهم أولاداً ذكوراً هو من الخرافة.. كما أن نسبة الملائكة لله وعبادتها كبنات هي من الخرافة وتخرص بلا علم ولا دليل. وهكذا عبدتها أمم

ـ علي مستوى التشريع: ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ الأنعام:١٣٦-١٣٩

وهكذا كان كهنة معابد الأصنام يشرّعون ويدّعون أن هذه التشريعات من عند الله، والهدف بكل بساطة هو أكل أموال الناس بالباطل.

ـ على المستوى الاجتماعي: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٤. يشير المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل أن في الآية تعريضاً ببعض العادات الجاهلية في مبالغتها في احترام الزوجة لزوجها المتوفى، إذ كانوا يوجبون عليها أن تعيش لمدة معينة بجانب قبر زوجها تحت خيمة سوداء قذرة وفي ملابس رثة بعيدة عن كل نظافة أو اغتسال، أو يمنعونها من الزواج





فطرة الإنسان تدفعه إلى الكمال الحقيقي لا الوهمي، فهو عندما يمرض يبحث عن علاج طبي مثلاً، فلم يلجأ إلى الخرافة في مواجهة مشكلاته ؟

مطلقاً، أو يجعلون أمرها بيد أبنائها، أو يقومون بحرقها، أو بدفنها حية معه في قبره.. إلا أن الآية جاءت وألغت كل هذه الخرافات، مع المحافظة على احترام الحياة الزوجية بإقرار العدة.

ـ على المستوى المعرفي: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة:٢٧.

فنفى القرآن الكريم خرافة قصة الحب وصراع الأخوين على فتاة.

• عودة الخرافة:

ومما سبق يتبين أن من مهام الدين محو الخرافة وتثبيت الحقائق، ولكن من المؤسف أن نشهد دخول الخرافة من بوابة التدين، فالبعض ممن ينسبون أنفسهم إلى التدين بالإسلام هم من وسائل نشر الخرافة وإضفاء الشرعنة عليها، وعلى ذلك أمثلة كثيرة جداً.

خذ على سبيل المثال الاهتمام المبالغ به في التعاطي مع قضايا تأثير الجن والسحر والعين، ومناداة الخضر للحضور إلى مجالس تُعقد خصيصاً لقضاء الحوائج! وبناء القبور والأضرحة الوهمية في بعض البيوت أو المناطق النائية دون دليل، ومن ثم تشجيع الناس على تقديم النذورات إليها.. وبالطبع الكل يعلم إلى من ستعود هذه النذور، إلا أن البعض ما زال يقع في حبائل هؤلاء الدجالين.

• منشأ الخرافة:

طرح العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله في تفسيره الميزان بحثاً قيماً حول منشأ الخرافة والسبيل للتخلص منها، حيث اعتبر أن فطرة الإنسان تدفعه إلى الكمال الحقيقي لا الوهمي، فهو عندما يمرض يبحث عن علاج طبي، وعندما تواجهه مشكلة تربوية ينبغي أن يبحث عن حل تربوي، وعندما ينهار وضعه الاقتصادي، فمن المفترض أن يبحث عن حل اقتصادي حقيقي.. ولذا فطرته تدفعه إلى أن لا يخضع إلى الرأي الخرافي والوهمي.. إذاً أين تكمن المشكلة؟

اعتبر العلامة رحمه الله أن مشاعر الإنسان هي أهم العوامل التي تدفعه للأخذ بالخرافة، وأهم تلك المشاعر: الخوف الناشئ من الشئ الوهمي، والرجاء المتعلق بالشئ الوهمي. ويضرب على ذلك مثال من يدخل إلى الصحراء في ليلة ظلماء ثم يتوهم أية حركة أو صوت على أنه صادر عن غول أو بعض الجن، ومن ثم يُقنع نفسه من شدة الخوف أن ما توهمه حقيقة، وينقل ذلك لاحقاً إلى مَن حوله، فيصدقه البعض ويرسخون أوهامهم لتتحول إلى حقيقة منتشرة بين الناس، ثم يشرعون في وضع التدابير رجاء دفع الشر الموهوم لتتحول هذ التدابير إلى سنة راسخة!!

• القراءة الخاطئة للنصوص:

وبدوري أضيف عاملين آخرين، الأول هو التمسك بنصوص مدّعاة على الدين، فكما أخبر القرآن عن افتراء الكهنة والأحبار والرهبان على الله، كذلك يفعل اليوم بعض المتلبّسين بالدين.. والثاني الفهم الخاطئ لنصوص صحيحة ومثال ذلك التأويل الخاطئ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ البقرة:٢٧٥، أو للنصوص التي تتحدث عن وجود الشياطين في أماكن قضاء الحاجة (الحمامات) وهي لغة رمزية اعتمدت لبيان مصادر الضرر من قبيل الجراثيم والفيروسات.

• القضاء على الخرافة:

وطرح العلامة الطباطبائي السبيل للقضاء على الخرافة بقوله: (وأما ما سلكه القرآن في ذلك، فهو أمْـرُه باتباع ما أنزل الله والنهي عن القول بغير علم، هذا في النظر.. وأما في العمل فأمْـره بابتغاء ما عند الله فيه، فإن كان مطابقاً لما تشتهيه النفس، كان فيه سعادة الدنيا والآخرة، وإن كان فيه حرمانها، فعند الله عظيم الأجر، وما عند الله خير وأبقى).

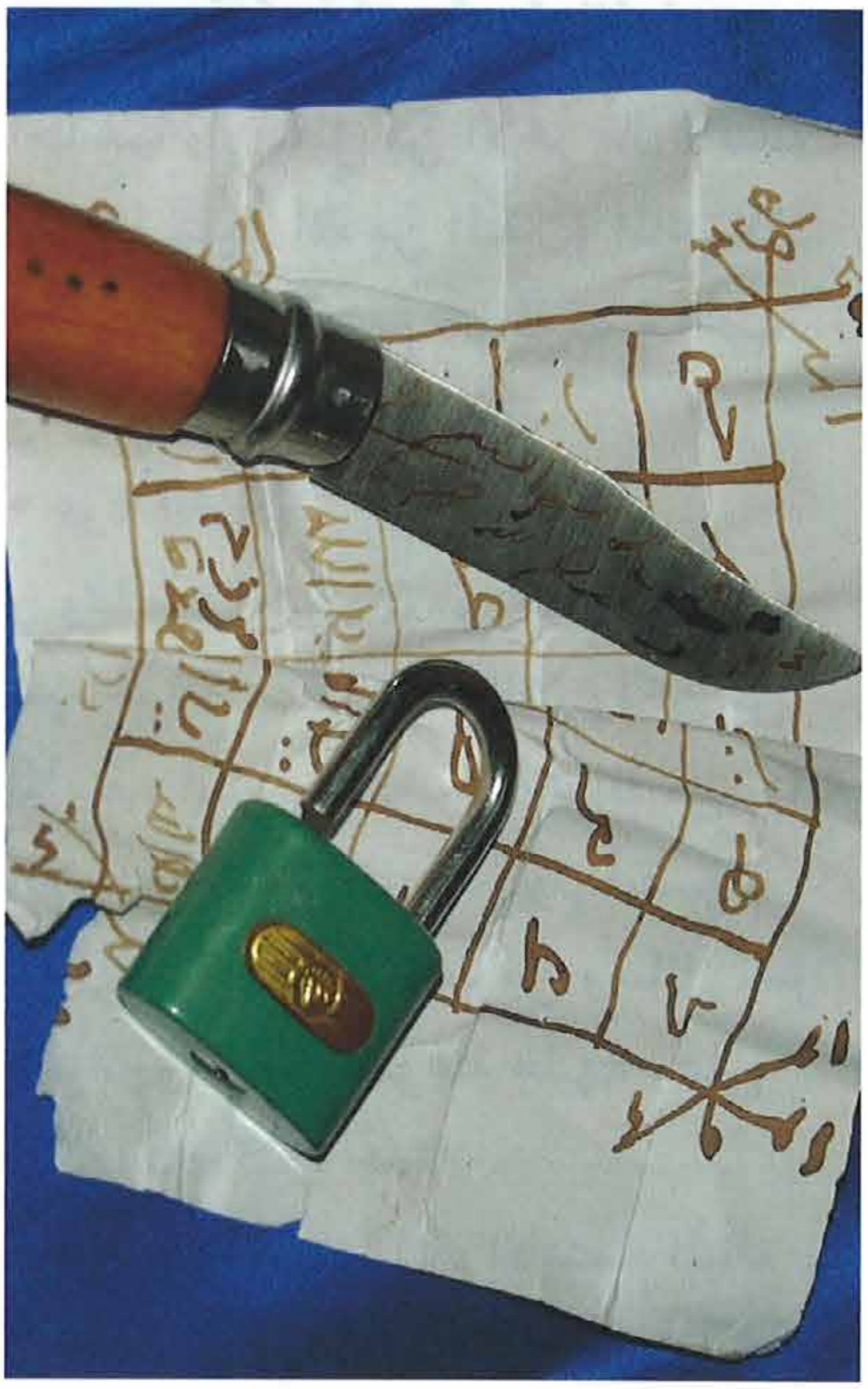

٢ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ
٥ فبراير ٢٠١١ مـ

لا إكراه في الدين

مسألة الإيمان تتصل بالإنسان نفسه، وطريق الرشد كما طريق الغي واضحة بعد كل البيان الذي قام به القرآن وبجهود النبي (ص)

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة:٢٥٦.

ظاهر الآية أن الإسلام لا يريد لنا أن نُكره أحداً على الالتزام بأية قناعة تخص الدين والعقيدة، لأن مسألة الدين هي مسألة قناعة فكرية، والقناعة تحتاج إلى الدليل وإلى الوجدان ليقبلها، ولن يتحقق ذلك من خلال الضغط والقوة والإكراه.

• طريقان واضحتان:

مسألة الإيمان تتصل بالإنسان نفسه، وطريق الرشد كما طريق الغي ـ أمامه ـ واضحة بعد كل البيان الذي قام به القرآن وبجهود النبي صلى الله عليه وآله، وعلى الفرد أن يختار ويقرر مصيره ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان:٣. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ الكهف:٢٩. ولكن هذا لا يعني أن المؤمن يتساوى مع الكافر، ولذا جاءت الآية بعد ذلك مباشرة لتبين هذه الحقيقة: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾.

• نفي الإكراه:

تكرر في عدة آيات نفي إكراه الناس على الإيمان، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن في الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ يونس:٩٩، أي الله سبحانه وهو الخالق الذي بيده كل شئ، لم يكره أحداً على الإيمان وجعلهم مختارين، فهل يريد من أحد ـ ولو كان شخص النبي ـ أن يكرههم عليه؟

نعم مسؤولية الرسول ومن يحمل همّ الإسلام أي يبلغوا، فهم يملكون الكلمة، ويملكون استخدام الأسلوب الأحسن، ويملكون تحريك الأجواء حول الآخرين كي يهتدوا فيؤمنوا.

• الآية وحكم الردة:

ولكن لا يمكن تجاوز الموضوع بهذه البساطة، فهناك أسئلة كثيرة تطرح في

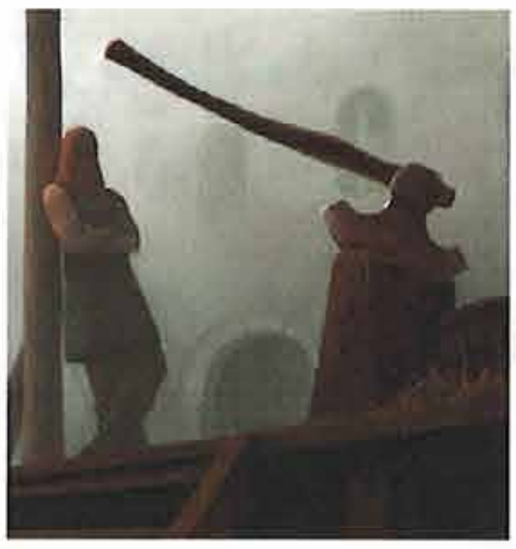



لابد من التفريق بين الإيمان والإسلام، فالإيمان حالة فكرية وجدانية تنبع من القناعة، أما الإسلام فالتزام خارجي في السلوك

البين، ومنها:

س١: كيف نفسر الضغط الذي يُمارَس على من آمن أو من ولد مسلماً كي لا يكفر؟! وكيف نوفق بين دلالة الآيات وبين ترتيب العقوبات على المرتد؟

ج١: لابد من التفريق بين الإيمان والإسلام، فالإيمان حالة فكرية وجدانية تنبع من القناعة، أما الإسلام فالتزام خارجي في السلوك. فما دام الفرد ضمن حدود المجتمع الإسلامي فلابد له أن يحترم أنظمته ويلتزم بقوانينه، ومن حق المجتمع أن يحمي نفسه بوضع القوانين الملائمة. ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات:١٤. فالأعراب ـ وفق الآية ـ قبلوا الدخول في المجتمع الإسلامي بمجرد الشهادتين ولم يؤمنوا، وبالتالي إن التزموا بالقوانين العامة فسيكون لهم ما لسائر المسلمين المؤمنين، وأما مصيرهم في الآخرة فإلى الله هو يحاسبهم على ما في قلوبهم. وإن خالفوا القوانين العامة فسيقع عليهم العقاب القانوني. وبالتالي فإن من أراد أن يغير دينه ويرتد فهذا شأنه وهو يتحمل وزره أمام الله في الآخرة، ولكن لا يحق له الإعلان عن ذلك والتجاهر به ضمن حدود المجتمع، وإلا سيكون مخالفاً للقانون.

• حق المواطنة:

س٢: ولكن قد يحتج هذا الفرد بأنه مواطن، ويريد البقاء في وطنه وأن تكون له حرية الإجهار بمعتقده الجديد؟!

ج٢: هذا الإجهار مخالف لقانون المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية ـ على فرض وجودها ـ وهي قائمة على أيديولوجية وعقيدة محددة، ولها قوانينها التي تصوغها الشريعة المنبثقة من هذه الأيديولوجية، ومن جملة تلك القوانين مسألة الردة وأحكامها، وعلى أفراد المجتمع الالتزام بذلك القانون العام.

س٣: هل تخافون إلى هذه الدرجة؟ أليس



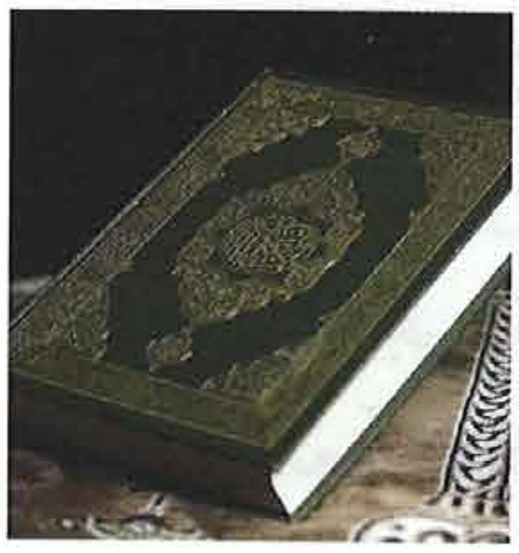

نحن نعتقد بأن الإسلام يملك الإجابة المقنعة على كل الأسئلة والإشكالات، ولكن يُخاف على الناس البسطاء الذين لا يحملون رؤى واضحة

هذا دليلاً على ضعف قناعاتكم؟

ج٣: نحن نعتقد بأن الإسلام يملك الإجابة المقنعة على كل الأسئلة والإشكالات، ولكن يُخاف على الناس البسطاء الذين لا يحملون رؤى واضحة حول الدين، كما يُخاف من عدم قيام المسؤولين على الشأن الدعوي بمسؤولياتهم بالصورة المطلوبة، ولذا لابد من المحافظة على بعض أفراد المجتمع من الانزلاق في مهاوي الردة من خلال بعض التشريعات، وهذا هو شأن كل المجتمعات باختلاف أديولوجياتها.

س٤: فهل يُسمح لمسلم أن يناقش ويظهر قناعاته بحرية حول القضايا الدينية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ضمن المجتمع الإسلامي ما لم يرتد؟

ج٣: نعم من حق كل أحد أن يسأل ويناقش، بل ويطرح آراءه في إطار علمي بعيداً عن التهريج والسباب والسخرية والإساءة، وعليه أن يسمع للآخرين كما يريد من الآخرين أن يستمعوا إليه.

وليس لأحد التعرض إليه بسوء مادام الأمر في هذا الإطار البحثي العلمي. ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة:٦. فإذا كان من حق المشرك أن يكون له الأمان، فكيف بالمسلم؟

• تراث غني:

وقد نقلت كتب الحديث حوارات عديدة جرت بين بعض الأئمة عليهم السلام والزنادقة وغيرهم، وجرى بعضها عند البيت الحرام، وكان بعضها يتناول التوحيد الذي هو أساس العقيدة الإسلامية.. تم كل ذلك بكل حرية.

ثم كيف يمكن لحملة الرسالة أن يعالجوا المشكلات الفكرية والعقيدية التي تدور في أذهان الآخرين ـ لا سيما الشباب ـ إن تم الحجر على حريتهم في التعبير؟ بل هل يمكن الحجر على العقول؟ وهل يمكن تكميم الأفواه، لاسيما في هذا الزمن بكل وسائل الانفتاح فيه؟

٩ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ
١٢ فبراير ٢٠١١ مـ

شركاء في الجريمة

الإسلام يريد اقتلاع الظلم من جذوره الفكرية والشعورية، والرضا بالظلم يعدّ جريمة معنوية تشوّه روحيته وتعدّه ليكون ظالماً مستقبلاً

الظلم من أكبر الخطايا وأشد الجرائم التي يرتكبها الإنسان، حتى كان الخلاص الدنيوي في نهايات المسيرة البشرية هو رفع الظلم وإقامة العدل على وجه الأرض، وعلى يدي الغائبَيْن المنتظَرَيْن: المسيح والمهدي عليهما السلام.

ثم سيكون رفع الظلم وإقامة العدل هو عنوان يوم الحشر والحساب، قال عز اسمه: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا، وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء:١٢٣-١٢٤.

• الراضون بالظلم:

إلا أن المثير في بعض ما قرره القرآن الكريم أنه اعتبر الراضين بالظلم ـ ولو جاءوا بعد قرون من الحدث ـ اعتبرهم شركاء في الجريمة على الرغم من المبدأ العادل الذي رسّخه بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الإسراء:١٥.

فقد خاطب القرآن اليهود الذين عاشوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكأنهم هم الذين عاصروا من سبقه من الأنبياء فارتكبوا ما ارتكبوه من جرائم ومعاصي. قال سبحانه: ﴿وَإِذ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ، وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ البقرة:٤٩-٥٠.

وفي الحديث المأثور: (العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم)، والكلمة المأثورة عن علي عليه السلام في نهج البلاغة: (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به وإثم الرضا به).

فقد يرى البعض في ذلك انحرافاً عن المفهوم الذي تقدمه الآية ١٥ من سورة الإسراء في فردية المسؤولية، لأن اعتبار الراضي بالظلم أو بالعمل المنحرف





في الإسلام لا يُحاسب الإنسان من ناحيةٍ قانونيةٍ على أفكاره ومشاعره المنحرفة من دون أن يشارك فيه ، بل يكتفي في ذلك بالذم المعنوي

شريكاً للظالم والمنحرف، يعني تحمّل البريء ذنب المجرم.

• رفع الشبهة:

الحقيقة التي يجب أن ندركها بكل وضوح أن الإسلام يريد اقتلاع الظلم من جذوره الفكرية والشعورية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الرضا عبارة عن مشاركة ولو على المستوى النفسي في عملية الظلم، و(الرضا بالظلم يعدّ جريمة معنوية داخليّة، تشوّه روحية الراضي، وتعدّه ليكون مشروع ظالم مستقبلي، من خلال ما يمثله الرضا من اعتبار الظلم لديه حالةً طبيعية لا تثير في فكره أية حالة سلبيّة مضادة، بل تثير حالة شعورية إيجابية، الأمر الذي يجعله يمارس الظلم لدى أوّل فرصة للقوّة تمكنه من الظلم، كما أنها تحقق للظالم حمايةً معنويةً تحرس له ظلمه، إذ إنها تحيطه بالمشاعر الحميمة التي تقوّي نفسيته وتدعم موقفه. وهذا ما عبر عنه الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، حيث قال: [إن ما يجمع الناس الرضا والسخط. وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا]). فضل الله: تفسير من وحي القرآن.

• العقوبة القانونية:

وإذا كان جزاء الراضين بالظلم هو العقوبة الإلهية في الآخرة أو في الدنيا، وذلك بما ينزله الله من العذاب عليهم، أو على الرفض المعنوي لهم من قبل الناس، فيذمّونهم على ذلك، إلا أنه لا يمتد إلى معاملتهم بما يعامل به الظالم من عقوباتٍ جزائيةٍ أو جنائيةٍ. وبالتالي فإن الراضي بالقتل لا يُقتَل كما يُقتل القاتل، ولا يُرجم أو يُجلد الراضي بالزنا كما يحدث للزاني. وهكذا نجد أن الجانب القانوني للمسألة على مستوى الشريعة ينسجم مع الآية، فلا يُحاسب الإنسان من ناحيةٍ قانونيةٍ على أفكاره ومشاعره المنحرفة في ما يتصل بالتعاطف مع الانحراف نفسياً من دون أن يشارك فيه، بل يكفي في ذلك الذم المعنوي والإنكار النفسي والفكري.

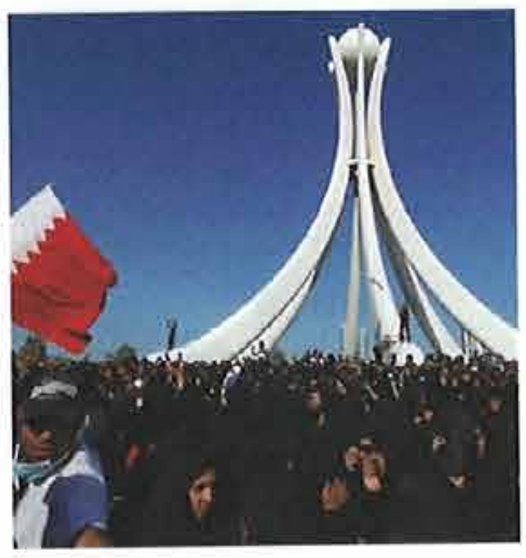



ما شهدته بعض الساحات العربية وما ستشهده من حراك قوي وحاسم ضد الظلم يجب أن يدفع إلى إعادة قراءة الطرح القرآني في هذا الإطار

• جرائم المستضعفين:

ومن هنا تكون المسألة أكثر وضوحاً في تحميل القرآن المسئولية لأولئك الذين يشاركون في الجريمة تحت وطأة الاستضعاف وادعاء انعدام الاختيارات، في محاولة للهروب من طائلة العقاب، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُواْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء:٩٧.

• الساحة العربية اليوم:

إن ما شهدته بعض الساحات العربية في الأسابيع المنصرمة ـ وما ستشهده ـ من حراك قوي وحاسم ضد الظلم والاستضعاف يجب أن يدفع إلى إعادة قراءة الطرح القرآني في هذا الإطار ـ لاسيما الآيات التي تتحدث عن سنن الله الاجتماعية والسياسية ـ حتى من قبل أولئك الذين يمارسون الظلم.. ليس من باب الالتفاف على مطالب الشعوب المستضعفة وكسب الوقت، بل للعودة إلى العقل والتوبة إلى الله سبحانه ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى، وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ النازعات:١٧-١٩.

وإن الأمل يكاد يكون معدوماً: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ يونس:٩٠-٩٢.



١٦ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ
١٩ فبراير ٢٠١١ مـ

ولادة أمة شاهدة

كانت الفترة ما بين مولد النبي(ص) ومبعثه فترة إعداد لييجسّد في انطلاقاته العملية شخصية من يمكنه أن يقوم بمسؤولية الرسالة

لم تكن ولادة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولادة فرد، بل كانت ولادته إيذاناً بولادة أمة جعلها الله سبحانه الشاهدة على سائر الأمم، فهي في محل القطب من الرحى بالنسبة إليها، وإلى هذه الأمة يرجع الجميع، لا من خلال الصفة القومية، ولا من خلال الصفة الجغرافية، ولا من خلال أي عنوان آخر، ولكن من خلال الدور الذي إذا أخلصت له استطاعت أن ترتفع إلى المستوى الأرقى في المواقع الإنسانية، وإذا لـم تخلص له فإنَّها إذا لـم تنزل إلى المواقع الدنيا، فعلى الأقل لن تحصل على قيمة الارتفاع: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة:١٤٣.

• إعداد وتهيئة:

كانت الفترة ما بين مولده الميمون ومبعثه الشريف فترة إعداد وتهيئة، ليكون الإنسان الذي يجسّد في انطلاقاته العملية وفي علاقاته العامة شخصية الإنسان الذي يمكنه أن يقوم بمسؤولية الرسالة.. بل الرسالة الخاتمة التي تكتنز كل مقومات البقاء والاستمرار والتناغم مع الحياة البشرية مهما تقدمت في المجالات المختلفة. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم، صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ الشورى: ٥٢-٥٣.

وقد حملت تلك الفترة تحديات عديدة لمحمد الطفل ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى﴾ الضحى:٦-٨، فكانت عين الله ترعاه، وملائكته تحرسه وتحفظه، وهو ما عبّر عنه الإمام علي عليه السلام حين قال: (ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره).. ثم





ما كان ذلك الالتفاف حول النبي ليتحقق لولا الصفات القيادية التي تحلى بها، فهو الرسول القائد الذي يحمل همّ النّاس ويتألم لآلامهم

محمد الشاب اليافع الذي أثبت لقريش أنه الإنسان الذي يمكن أن تثق بكلماته وبأفعاله وبعقله الكبير، ولذا اطمأن المتنازعون على وضع الحجر الأسود في مكانه بعد ترميم الكعبة المشرفة حين دخل عليهم محمد الشاب الذي عرفوه بالصادق الأمين وبصاحب الحكمة، فأشار عليهم بما أنهى به خصومتهم التي كادت أن توقع بينهم القتال.

• فاصدع بما تؤمر:

ولما حمل مسئولية الرسالة وصدع بأمر الله واستقام كما أراد له ربه أن يستقيم، تحقق على يديه ما لم يكن يخطر على بال أحد.. أن يكون يتيم قريش هو صاحب القوة التي يدعو من خلالها كسرى وقيصر ومَن دونهما كي يدخلوا في الإسلام، وينازل بها الفرس والروم دون أن يهاب شيئاً في هذا الطريق.. يأتيه المدد المعنوي والمادي من الغيب، ويعينه في تحقيق إنجازاته أصحابٌ آمنوا به وبرسالته ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح:٢٨-٢٩.

• قيادة حريصة:

وما كان ذلك الالتفاف حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتحقق لولا الصفات القيادية التي تحلى بها.. ولا أعني هنا خصوص الكاريزما وقوة الشخصية، بل من خلال ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة:١٢٨، فهو الرسول القائد الذي يحمل همّ النّاس ويتألم لآلامهم، إذا تعب النّاس من حوله فإنَّه يتعب

لتعبهم لما يحمله من همّ كبير تجاههم، فيفكر في حلّ مشاكلهم وكيفية التخفيف منها، وما ذلك إلاَّ لأنَّه يعزّ عليه المشقّات والمصاعب والمتاعب التي يحملونها في حياتهم، فيحرص على التخطيط لحلّها، ويسخّر لأجل ذلك كلّ طاقاته ليدفع عنهم كلّ التحديات التي توجَّه إليهم. يحرص عليهم أن يكونوا الأعزاء أمام مَن يريد أن يذلهم، والأحرار أمام مَن يريد أن يستعبدهم، والعلماء أمام مَن يريد أن يؤصّل فيهم الجهل، وهكذا، يحرص عليهم ليرفع مستواهم، وليخطّط لهم السير في خطّ العدالة.

• القيادات المعاصرة:

إنَّ الله سبحانه عندما حدّثنا عن الحالة النفسية للرسول تجاه أمته، كأنَّه يريد أن يقول لكلّ القيادات: كان رسول الله يفكر في الأمّة، يتألم لآلامها، فكونوا ممّن يتألم لآلام الأمّة. كان رسول الله لا يعيش لشخصه ولكنَّه كان يعيش لأمّته، فكونوا الذين تعيشون للأمّة ولا تعيشون لأشخاصكم. كان رسول الله حريصا على الأمّة لا يريدها أن تضيع، فكونوا الحريصين عليها. وكان الرؤوف الرحيم بالمؤمنين فكونوا الرؤفاء الرحماء بهم.

ولو كانت القيادات المعاصرة التي اضطرت للانصياع إلى إرادة شعوبها فانحنت لحركة الجماهير المليونية باتجاه نيل حريتها واسترجاع شئ يسير من كرامتها وعزتها وشخصيتها التي استنزفتها سياسات قادتها خلال العقود المنصرمة، لو كانت تلك القيادات عاشت ولو جزء بسيطاً من الوصف القرآني لقيادة النبي، لما آلت أمورها إلى ما هي عليه اليوم.. وهكذا هو الأمر لسائر القيادات التي تسحق شعوبها بقوانين الطوارئ والأحكام العسكرية وغير ذلك من العناوين التي تحولت من حالات ثانوية طارئة تفرضها بعض الظروف العصيبة إلى أوضاع أصيلة تحكم من خلالها بالحديد والنار.

والرسالة اليوم في ضمن الأحداث المتسارعة وانتقال شرارة الثورة من بلد إلى آخر وتكرار ذات السيناريو: أنّ أمام تلك القيادات فرصة التغيّر الحقيقي ليكونوا القادة الذين يشعرون بحق أنهم من الشعب وإلى الشعب، عزيزٌ عليهم عنت رعيتهم، حريصون كل الحرص أن يحققوا لهم آمالهم وطموحاتهم في حياة إنسانية شريفة تكفل لهم كرامتهم وحريتهم وعزتهم.. وإلا فعليهم أن يفكّروا بكل جدية أن رياح التغيير القاهرة قادمة لا محالة.. إن لم يكن اليوم، فالغد لناظره لقريب.

٢٣ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ
٢٦ فبراير ٢٠١١ مـ

عدل.. حنان.. وصدق

اعتبر جرداق أن الإمام علي (ع) انطلق من القانون الكوني الذي يختزن : الصدق والثبات والعدل ، ليقيس على ذلك نظام الدولة

كنت أتمنى لو أنني متواجد في هذه الأيام في الكويت، الأيام التي يحتفل فيها الوطن بعيده الخمسين وبالذكرى العشرين للتحرير من همجية نظام صدام المقبور ، فلا الطبيعة الخلابة ولا الجو البديع يمكنهما أن يُبدلا الإنسان وطناً بوطن، ولا السلوك الراقي واللطف في التعامل يمكنهما تعويض الإحساس بالارتباط الوثيق بالأرض التي تمتد فيها جذوره لترتقي أفرعه في السماء بزهو الانتماء إليها.. إن من أشد الإجحاف أن يُطالَب الإنسان الذي لا يجد في الأرض وطناً سوى الكويت أن يبحث لنفسه عن وطن جديد بذريعة أنه من (البدون).. قد تتقطع جذوره وهو يُقتلَع قلعاً.. وقد تتكسر أفرعه وهو يصارع للبقاء.. وقد يُقذَف به بعيداً رغماً عنه، ولكن تلك الجذور المتبقية وتلك الأفرع المتناثرة ستبقى تربطه بالوطن الذي أحبَّه..
وعلى أمل أن نرى عاجلاً الحل العادل لهذه المشكلة التي كلما تم التسويف في معالجتها، ازدادت تعقيداً.

• عبقرية البيان:

ولا أستطيع في خضم كل هذا الحراك غير المعهود الذي شهدته وتشهده المنطقة بقوة الزلزال أن أتجاوز كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يوجّه ولاته وموظفي الدولة والعاملين على الصدقات والخراج (الضرائب) فيقدّم إليهم أسساً رصينة وتوجيهات حكيمة وقيماً راقية، لا تقتصر روعتها على الجانب البياني منها، وإن كان القارئ لا يمكنه تجاوز ذلك، وبتعبير الأديب جورج جرداق: (من عهد له إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر، وفيه تذكير بأحوال الدنيا وترغيب للولاة في أن يعدلوا ويرحموا لئلا يُعذَّبوا، وذلك بأروع ما تجري به ريشة العبقرية من بيان) فإن تلك الروعة تتجاوزها إلى المضمون الذي قال عنه جرداق في مناسبة أخرى: (من رسالة كتبها للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها في عهد خلافته، وهي من جلائل رسائله ووصاياه، وأجمعها



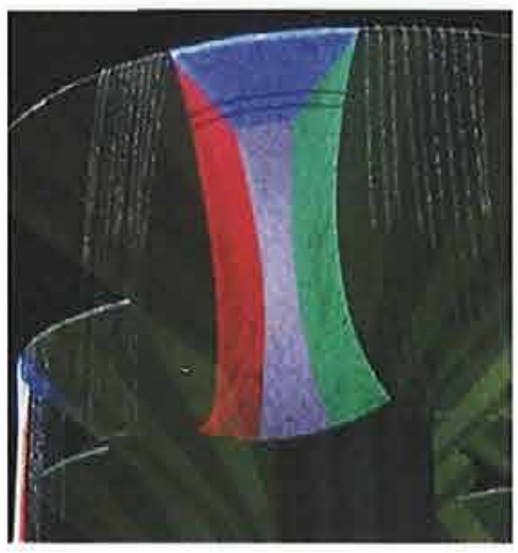

مسألة الحكم ليست مسألة قوانين مجردة، بل يرعاها الحنان الإنساني، فالأخوة والاشتراك في الإنسانية يجمعان الحاكم بالرعية

لقوانين المعاملات المدنية والحقوق العامة والتصرفات الخاصة في نهج الإمام، كما أنها من أروع ما أنتجه العقل والقلب جميعاً في تقرير علاقة الحاكم بالمحكوم، وفي مفهوم الحكومة، حتى أن الإمام سبق عصره أكثر من ألف سنة بجملة ما ورد في هذه الرسالة - الدستور، من إشراق العقل النير والقلب الخير).

• صدق وثبات وعدل:

وفي فلسفة عميقة لرؤى الإمام عليه السلام حول الحُكْم اعتبر جرداق أن الإمام عليه السلام انطلق من القانون الكوني الذي يختزن العناصر الثلاثة: الصدق والثبات والعدل، ليقيس على ذلك نظام الدولة التي لا بد لها أن تكون صورة مصغرة عن هذا الكون، ولذا قال عليه السلام: (وأعظم ما افترض من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا يصلح الولاة إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عزَّ الحق بينهم واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها [وجوهها] السنن، فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة. وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وتركت محاج السنن فعُمل بالهوى وعُطلت الأحكام وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عُطِّل ولا لعظيم باطل فُعل. فهنالك تذل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد).

• الحكام والحنان الإنساني:

إن مسألة الحكم ليست مسألة قوانين مجردة، بل قوانين يرعاها الحنان الإنساني.. فعنوان الأخوة والاشتراك في الإنسانية هو العنوان الذي يجمع الحاكم بالولاة وبالعاملين وبالرعية، ولذا قال: (أشعِر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم. ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً





الحكم يتطلب المراقبة لأن عوامل التغيير للأسوأ حاضرة، وقد يغفل عن تلك التغيرات ليتفاجأ أنه لم يعد الحاكم الذي يمتلك قلوب الناس

تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق). والحكم يتطلب المراقبة الدائمة والمضاعفة للنفس، لأن عوامل التغيير للأسوأ حاضرة بقوة، والإنسان في خضم مشاغله قد يغفل عن تلك التغيرات، ليتفاجأ في وقت ما أنه لم يعد ذلك الحاكم القريب من الناس، الذي يمتلك قلوبهم بالحب والعطف.. الحاكم الذي كان يمنّي نفسه بأن لا يكرر الأخطاء التي وقع فيها من سبقه، فإذا به يكتشف أن من يحيطون به قد بنوا من حوله أسواراً انعدمت من خلالها الثقة بين الحاكم والرعية، وتقطّعت سبل التواصلٍ بينه وبينهم. قال عليه السلام: (فإن حقاً على الوالي أن لا يغيّره فضلُ ناله، ولا طَوْل [قوة] خص به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنواً من عباده وعطفاً على إخوانه).

ينبّههم إلى الحقيقة التي يهربون منها، وهي التي لا مفرّ منها: (وأنتم طرداء الموت: إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلِّكم! الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تُطوَى مِن خلفكم، فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرُّها شديد، وعذابُها جديد، ليس فيها رحمة ولا تُسمع فيها دعوة).



• طرداء الموت:

ويجعل الإمام علي عليه السلام الصورة واضحة جليّة أمام الولاة والحكام إذ

٣٠ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ
٥ مارس ٢٠١١ مـ

التنمية الوهمية

نسبة الشباب من إجمالي السكان العاطلين تزيد على ٥٠٪ في معظم الدول العربية ، مما يجعله الأعلى في العالم كله

(.. وليكن نَظَرُكَ في عِمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرَك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد و أهلك العباد و لم يستقم أمره إلا قليلاً. فإن شكَوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو أحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خفَّفْتَ عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. و لا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك و تزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم..) الإمام علي عليه السلام.

• تنمية وهمية:

من أهم المطالبات التي رُفعت في الثورات والمظاهرات التي شهدتها المنطقة العربية مؤخراً هي المطالبة بالتنمية الحقيقية، وهذا لم يأت من فراغ، ففي البيان الصحفي الصادر عن جامعة الدول العربية بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام ٢٠٠٩ مايلي:

١ـ نسبة الفقر العام تصل إلى ٤٠٪ في المتوسط، مما يعني أن ما يناهز ١٤٠ مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر الأعلى، ولم يحدث أي انخفاض في متوسطات الفقر على المستوى العربي خلال السنوات العشرين الماضية، بل إن بعض البلدان شهدت زيادة في معدلات الفقر.

٢ـ نسبة الشباب من إجمالي السكان العاطلين تزيد على ٥٠٪ بالنسبة لمعظم الدول العربية، مما يجعل معدل البطالة بين الشباب في الدول العربية الأعلى في العالم كله. فوفقاً لتقديرات منظمة العمل العربية بلغت نسبة البطالة بين الشباب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ٢٥,٧٪ في عام ٢٠٠٣ وهو المعدل الأعلى عالميا ويفوق المعدل العالمي بنسبة ٧٧,٨٪. وهذا يستدعي توفير ٥١ مليون فرصة عمل جديدة بحلول عام ٢٠٢٠ وهو لن يخفض معدلات البطالة بل سيسهم في منع زيادتها.

٣ـ لم تشهد نسب السكان الذين يعانون من نقص التغذية أي تحسن يذكر عن





لم يكن لبعض القادة العرب هم حقيقي سوى البحث عن طرق تعويض ما خسروه في الأزمة الاقتصادية وزيادة دخولهم بأية وسيلة

معدلات عام ١٩٩٠.

• رد فعل طبيعي:

فهل كان يتوقع قادة الدول العربية التي شهدت ـ وتشهد ـ كل الأحداث التي اصطبغت بحمرة الدم المهدور على أراضيها أن يبقى المرجل خامداً خاملاً، وأن تبقى الشعوب العربية تعض على جراحاتها وهي تشهد ثرواتها تُقتسم بين ثلة قليلة لم تعرف الرحمة في ظل كل الأوضاع الاقتصادية الخانقة التي عصفت بالعالم كله، وعانت منها أكثر شعوبه؟ نعم الفارق الذي كان يشهده ويعايشه الإنسان العربي هو أنه كان يرى الخطوات الجادة لقادة الولايات المتحدة وأوروبا لإعادة شئ من التوازن لاقتصاد بلدانهم ومعالجة أوضاع رعاياهم، بينما لم يكن لبعض قادتهم هم حقيقي سوى البحث عن طرق تعويض ما خسروه في تلك الأزمة على المستوى الشخصي، وزيادة دخولهم بأية وسيلة. (وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، و إنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء و قلة انتفاعهم بالعِبَر). الإمام علي عليه السلام.

بالطبع هذا لا يعني أن ما ثوّر هذه الشعوب هو الجانب الاقتصادي فقط، إذ أن لقضايا الحريات والكرامة والقهر المخابراتي ومحاربة الدين والعلاقة بالكيان الصهيوني وغير ذلك علاقة مباشرة بما جرى ويجري على الأرض.

• حقيقة التنمية:

وليست مشكلة التنمية في المقام الأول مشكلة قرارات سياسية أو اقتصادية، لأن التنمية في الأساس فعل ثقافي قبل أن تكون تجلياً اقتصادياً أو مادياً، وقبل أن تنطلق كحركة سياسية.. وكلما كانت الثقافة حيوية أكثر وغير محاصرة بقيود وأغلال التخلف، كلما قادت إلى تنمية متوازنة وسليمة على مختلف الصعد. ولذا نجد أمير المؤمنين علياً عليه السلام يوصي الأشتر أيضاً: (وأكثِر مدارسة العلماء و مناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه



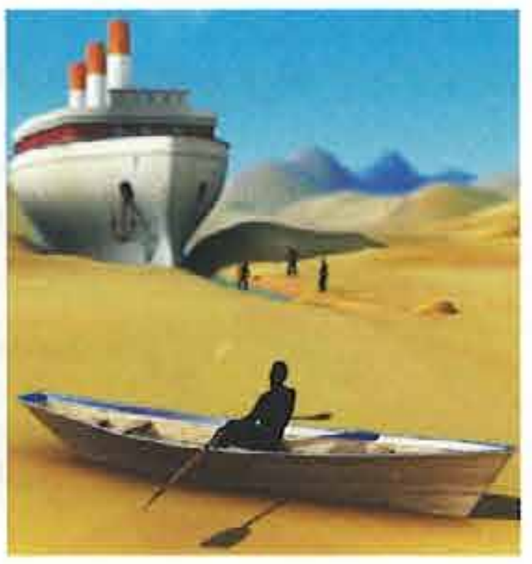

احترام العقول المبدعة وتوفير كلِ الإمكانيات لها يعد عنصراً مكملا للتنمية، ولذا كان تهجير العقول العربية من أكبر الجرائم

أمر بلادك و إقامة ما استقام به الناس قبلك).

• احترام العقول:

وتأتي مسألة احترام العقول المبدعة في الوطن وتوفير كل الإمكانيات لها لتقوم بدورها الفاعل عنصراً مكملاً للمسألة الثقافية في التنمية، ولذا كان تهجيرها العقول العربية حسداً وخوفاً، من أكبر الجرائم التي يرتكبها المسؤولون بحق مجتمعاتهم، فالإنسان هو صانع التغيير نحو الأفضل، وهو صانع الحياة بكل تجلياتها وإبداعاتها العلمية والاقتصادية والفكرية من خلال ما وفرته الإرادة الإلهية له، فإذا أفرغنا هذا الإنسان من أي مضمون ثقافي سليم، فإن البؤس هو المصير الذي ينتظره لا محالة.. وبؤسه على المستوى الشخصي يعود ليكون بؤساً للمجتمع والوطن بأكمله.



٧ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ
١٢ مارس ٢٠١١ مـ

لحن الحياة

طالعتنا وسائل الإعلام بصورة الشاب التونسي الذي يقفز في وجه قوات مكافحة الشغب من أجل تغيير الواقع إلى ما هو أفضل

لا يغيب عن ذهني مقطع الفيديو لطفل فلسطيني ـ لا يتجاوز العاشرة من عمره ـ وهو يفر من ملاحقة العسكري الإسرائيلي المدجج بالسلاح.. ليتغير المشهد فجأة حين تجلّت (إرادة) هذا الطفل في أن يعكس الأمور.. فإذا به يستدير.. يلتقط قطعة حجر.. ويشرع في مهاجمة مطارده.. وإذا بالعسكري يفر مولياً والطفل يلاحقه!

• سيدة عزلاء:

وقبل سنتين تقريباً، ومن خلال هذه الصفحة نشرتُ صورة سيدة، وهي تواجه لوحدها ـ وبيدها العزلاء ـ عدداً كبيراً من العسكريين المدججين بالسلاح.. لتدفعهم بعيداً عن شيءٍ ما لا تبيّنه الصورة.. إلا أنه من الأهمية عند هذه السيدة لدرجة أن (إرادتها) تجلّت في تلك اللحظة في أن تواجه ولا تستسلم، ولو كان كل الناس من حولها يقفون موقف المتفرجين لا أكثر.

• شاب تونسي:

وقبل أيام طالعتنا وسائل الإعلام بصورة الشاب التونسي الذي يقفز في وجه قوات مكافحة الشغب أبان ثورة شعبه التي ألهمت سائر الشعوب العربية لتتحرك من أجل تغيير واقعها إلى ما هو أفضل.. (إرادة) هذا الشاب تجلّت في هذه اللقطة الحماسية لتقول لكل عربي:

إذا الشـــعبُ يومـــاً أراد الحيـــاة
فـــلا بـــدّ أن يســـتجيب القـــدرْ
ولا بـــــدَّ لليـــل أن ينجـــلي
ولا بـــــدّ للقيـــد أن ينكســـرْ
ومـــن لـــم يعانقْـه شـوْقُ الحيـاة
تبخَّـــرَ فـــي جوِّهـــا واندثـــرْ
فـــويل لمـــن لـــم تَشُـــقهُ الحيـاة
مـــن صفْعـــة العـــدَم المنتصـرْ
كـــذلك قـــالت لـــيَ الكائنـــاتُ
وحـــدثني روحُهـــا المســـتترْ
و دمـــدمتِ الـــرِّيحُ بيـــن الفِجـاج
وفـــوق الجبـــال وتحـت الشـجرْ:
إذا مـــا طمحـــتُ إلـــى غايـــةٍ
ركـــبتُ المُنـــى، ونسِـيت الحـذرْ
ولـــم أتجـــنَّب وعـــورَ الشِّـعاب



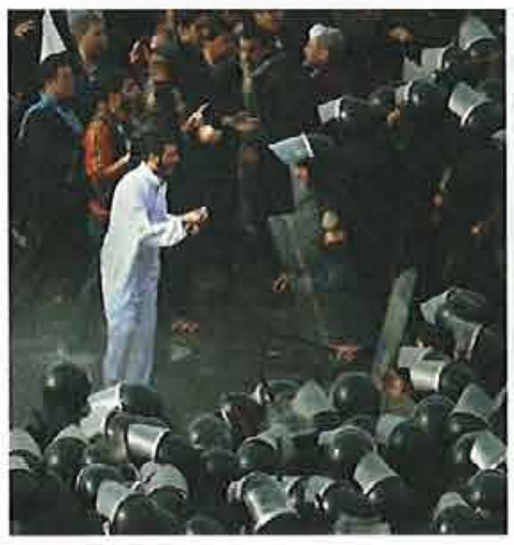

في خضم هذه الملحمة الرائعة تنبعث رائحة النفَس الطائفي لبعض الأقلام التي تأبى إلا وأن تشوّه الحقائق ، وتنفخ في الروح الطائفية المقيتة

ولا كُبَّـــةَ اللّهَـــب المســـتعرْ
ومن يتهيب صعـــود الجبـــال
يعش أبَـــدَ الدهـــر بيـــن الحـــفرْ
فعجَّـــتْ بقلبـــي دمـــاءُ الشباب
وضجَّـــت بصـدري ريـاحُ أخَـرْ...
وأطـرقتُ، أصغـي لقصـف الرعـودِ
وعـــزفِ الريـــاح، ووقـع المطـرْ
وقـالت لـي الأرضُ - لمـا سـألت:
أيـــا أمُّ هـــل تكـــرهين البشـــرْ؟
أُبـــارك فـي النـاس أهـلَ الطمـوح
ومـــن يســـتلذُّ ركـــوبَ الخـــطرْ
وألْعـــنُ مـــن لا يماشـــي الزمـانَ
ويقنـــع بـــالعيْش عيشِ الحجَـــرْ
هـــو الكـــونُ حـيٌّ، يحـبُّ الحيـاة
ويحـــتقر المَيْـــتَ، مهمـــا كـــبُرْ
فـلا الأفْـق يحـضن ميْـتَ الطيـورِ
ولا النحـــلُ يلثـــم ميْـــتَ الزهـرْ
ولـــولا أمُومـــةُ قلبِـــي الـــرّؤوم
لَمَـــا ضمّـــتِ الميْـتَ تلـك الحُـفَرْ
فـــويلٌ لمـــن لـــم تشُـــقه الحيـاة،
مِـــن لعنـــة العـــدم المنتصِـرْ!

خلُدتَ أيها الشابي بهذه القصيدة الخالدة.. (لحن الحياة).. وكأنك قد ادّخرتها لهذه الأيام حيث تغنّت بها الجماهير، وكانت شعار عزتهم و (إرادتهم).

• حفّارو القبور:

وللأسف، وفي خضم كل هذا التلاحم الإنساني في تفاعل الشعوب مع تجليات (الإرادة) العربية المنبعثة من جديد، بعد أن راهن أكثر الناس على أنها ستبقى ساكنة في قبرٍ احتفره لها جلادوها، وارتضته لأمد طويل مَثوىً، بدا وكأنه سرمديّ..

في خضم هذه الملحمة الرائعة تنبعث رائحة النفَس الطائفي لبعض الأقلام التي تأبى إلا وأن تشوّه الحقائق، وتشوّش الأفكار، وتنفخ في الروح الطائفية المقيتة، سعياً وراء انتصارات وهمية لهذه الطائفة أو تلك.. وما فتئت تلك الرائحة تزكم أنوف أولي الألباب الذين يعون أن مَن وراء تلك الأقلام ليسوا سوى أداة من أدوات حفّاري قبور الشعوب المضطهدة!

١٤ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ
١٩ مارس ٢٠١١ مـ

حفّارو القبور !

مطالب المتظاهرين في البحرين تتلخص في السعي للوصول بها إلى وضع سياسي شعبي قريب مما تعيشه الكويت

كتبت في الأسبوع الماضي عن (حفّاري قبور الشعوب المضطهدة) الذين يستخدمون الأداة الطائفية لتحقيق أغراضهم ودعم مواقعهم، ويبدو أن الأمور مرشَّحة للمزيد من تصعيد اللغة الطائفية والشحن الإعلامي في المنطقة العربية، لأنها واحدة من أساليب إضعاف موقف الخصوم بتشويه الحقائق وإضاعة الحقوق.

وهذا يستدعي جهوداً مضاعفة من قبل كل الغيورين على الأمة مهما اختلفت مواقفهم ورؤاهم السياسية سعياً لنزع أي فتيل يشعله المتلاعبون بالعقول، لأن اللعب بالنار الطائفية ستؤذي الجميع، فلغة التاريخ والأرقام تؤكد على أن العناوين المقدسة متى ما استُخدمت كشعار ومنطلق للمواجهة فإنها ستُذكيها بشكل مجنون.

• غزو طائفي!

كتب أحدهم مقالاً يرسم من خلاله معالم الإثارة الطائفية القادمة على يد حفّاري القبور وأدواتهم، وبأسلوب يذكّرنا بالخطاب الصدّامي البعثي، وهو يتحدث عن الأوضاع في البحرين، معتبراً أن المشهد هناك مختلف تماماً عن سائر مشاهد الحراك الذي شهدته المنطقة العربية، لأنها (ثورة شاذة.. مايحدث في البحرين ماهو إلا غزو طائفي بامتياز!! لطالما فكّر المتآمرون في البحرين فأعيتهم في كيفية ابتلاعها.. الطابور الذي لم تعد مشاريعه خافية على أصغر مواطن.. البحرين هو جس النبض بالنسبة لهم، كما أنه السد الواقي لدول الخليج، والذي إذا ما انهار فإن الطوفان سينحدر من دون هوادة لباقي الدول، وهذه الحاله تشبه ما حدث في العراق حينما انهار نظام صدام حسين فاندفع الطوفان لكل دول الشام يعيث فيها فساداً وإفساداً!!).

• الإصلاح السياسي:

ولكن الواقع أن مطالب المتظاهرين في البحرين تتلخص في السعي للوصول بها إلى وضع سياسي شعبي قريب مما



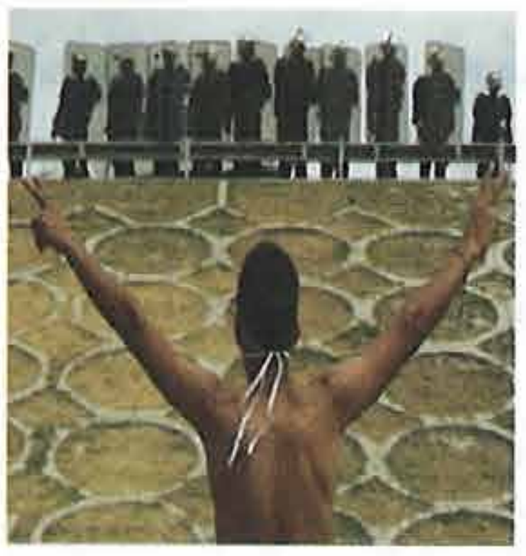

القسم الآخر من مطالبات المتظاهرين والمعتصمين تتركز حول سياسة التجنيس ، مع حرمان قطاع واسع من أبناء الوطن

تعيشه الكويت، تكون فيها العلاقة بين القيادة والمواطن منفتحة بشكل كبير، ويكون البرلمان منتخباً وقادراً على مراقبة الأداء الحكومي. فلماذا نقبل لأنفسنا ككويتيين أن نحصل على كل هذه الحقوق والامتيازات، ونستكثرها على الشعب البحريني الذي يطالب بها من خلال الشارع بعد أن أعيته كل السبل الأخرى؟

وإذا كانت هناك مناداة بالملكية الدستورية، وبرئيس وزراء منتخب، فهي مطالبات نابعة من مضمون الميثاق الوطني الذي تم الاتفاق بشأنه بين الشعب والملك عام ٢٠٠١، ومضمون الدستور الذي أقر عام ٢٠٠٢، وبالتالي هي مطالبات بعدم تجاوز الدستور البحريني ذاته!

وهذه المطالبات أيضاً لا تبتعد عن طموح النخب والتيارات السياسية والشرائح العريضة من الشارع الكويتي بجعل رئيس الوزراء منتخباً شعبياً، وأن يتم تعديل الدستور بحيث يتحقق الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لكي لا يكون الوزراء أعضاء في مجلس الأمة فيكون لهم حق التصويت، مع إعطاء الحرية للمواطنين للتعبير عن ذلك دون التعرض لهم بالعنف.. فلماذا تكون هذه المطالبات دستورية ومشروعة في الكويت، وتعبّر عن السقف العالي من الديمقراطية والحرية واحترام الرأي الآخر، بينما تُعتبر جريمة وممارسة طائفية يرتكبها المعتصمون في (دوار اللؤلؤة) وهم يمسكون بالورود بيد، ويرفعون أعلام البحرين باليد الأخرى!! ثم تكون مبرراً لسحق إرادتهم في الإصلاح؟

- الإصلاح المعاشي:

والقسم الآخر من مطالبات المتظاهرين والمعتصمين تتركز حول سياسة التجنيس الهادفة للتغيير الديموغرافي مع حرمان قطاع واسع من أبناء الوطن من التوظيف وتوفير المسكن الملائم وغير ذلك من الخدمات الرئيسية التي بات ينالها (المتجنسون) الجدد في زمن قياسي، بينما يحلم بها أبناء البلد الذين تدفع بهم

الحاجة لكي يعملوا في مهن أقل ما يقال عنها أنها لا تتناسب وشهاداتهم الجامعية ومستوياتهم العلمية.. فهل يقبل الكويتي أن يشاهد الوافد يعمل في القطاع البنكي والعسكري والصحي والتعليمي، ويعيش في بيت تقدمه له الحكومة في غضون سنة أو سنتين، بينما يُدفع هو ليغسل سياراتهم ويحمل حقائبهم ويقدم لهم الشاي والقهوة؟! ثم يعود لمسكنه المتهالك الذي يحتضن الجد وأبناءه وأحفاده في مساحةٍ لا تزيد على المائة متر؟!

• حكمة رجالات الكويت:

لقد عوّدتنا القيادة السياسية الحكيمة في الكويت على اتخاذ المواقف التي من شأنها درء أية فتنة طائفية يمكن أن تعصف بالبلد أو بالمنطقة، وعلى السعي للإصلاح حيثما حلت الفتنة، وهذا ما دفع سمو أمير البلاد لإرسال وفد شعبي إلى البحرين قبل أسابيع في محاولة لنزع فتيل الأزمة.. ونأمل اليوم ـ مع هذا التصعيد الخطير في البحرين ـ أن نشهد مواصلة هذا الدور الإنساني والأخوي من خلال تشكيل وفد برلماني كويتي يسعى مجدداً لحل الأزمة بالحكمة والحوار.

• مرارات الاحتلال:

وقد ذاقت الكويت مرارة الظلم في الغزو والاحتلال الصدامي، وتجرّع الكويتيون آلام العدوان البعثي، فقاوموا الظلم وصبروا وتحمّلوا من أجلِ الحرية، فأحرى بالكويت ألاّ تكون طرفاً في أي ظلم يلحق بالشعب البحريني الشقيق الذي يسعى لترسيخ الديمقراطية والعدالة والمساواة بين كافة مكوّناته، بغض النظر عن الانتماء المذهبي أو غيرها من العناوين. ونأمل من رجالات الكويت أن يعوا حساسية المرحلة والوضع القائم والقادم، وخطورة تلاعب البعض بنار الفتنة الطائفية، وأن يتذكروا دائماً أن دستورنا يمثل صمام الأمان والضمانة الأكيدة للأمن والاستقرار، حتى وإن كانت هناك مطالبات بتغيير شئ من مواده وفقراته، فهذه هي سنة الحياة التي تقتضي التغيير إلى الأفضل إذا ما انكشفت بعض السلبيات، أو كان التغيير متناغماً مع المستجدات الظرفية.



٢١ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ
٢٦ مارس ٢٠١١ مـ

اركعوا و أنيبوا

الإسلام حساس فيما يتعلق بمسألة الظلم في إصدار الأحكام، وفي إبداء الرأي في خصومةٍ ما قبل التثبّت من طرفي النزاع واستعراض الأدلة

ينقل القرآن الكريم في سورة (ص) قصة الخصمين (وفي الأحاديث أنهما من الملائكة تشبهوا بصورة البشر) الذين دخلا على النبي داود عليه السلام في ظرف مفاجئ، إذ اقتحموا عليه مكان عبادته وخلوته، ثم طلبا منه الحكم في أمرهما، حتى إذا تحدث أحدهما بادر النبي لإبداء رأيه، ثم أدرك أن ما فعله لم يكن صواباً، وأن مسؤوليته انطلاقاً من موقعه كنبيٍّ وملك وحاكم أن يتريث حتى يستمع إلى الطرفين، فأسرع في الإنابة إلى الله والاستغفار، قال عز اسمه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُواْ عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَآ إِلَى سَوَآءِ الصِّرَاطِ، إِنَّ هَذَآ أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ، يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ص:٢٤-٢٦.

• لا محل للظلم:

هذه القصة تعكس بكل وضوح مدى حساسية الإسلام فيما يتعلق بمسألة الظلم في إصدار الأحكام، بل وحتى في مجرد إبداء الرأي في خصومةٍ ما قبل التثبّت من طرفي النزاع واستعراض الأدلة التي يمكن لكل طرف أن يقدمها تأييداً لكلامه، فوفق ما ذكره بعض المفسرين، فإن النبي داود عليه السلام لم يُصدر حكمه القضائي بعدُ، وإنما أبدى رأيه قبل أن يستمع إلى الطرف الآخر، إلا أنه انتبه إلى أن حتى مجرد إبداء الرأي يحتاج إلى التثبت، فضلاً عن إصدار الحكم، ولذا استغفر ربه وخر

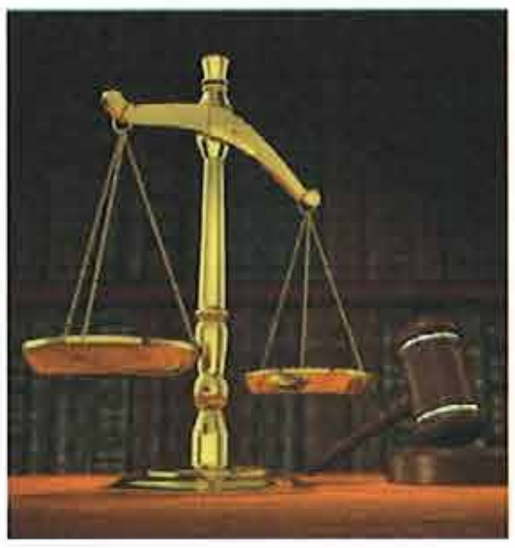

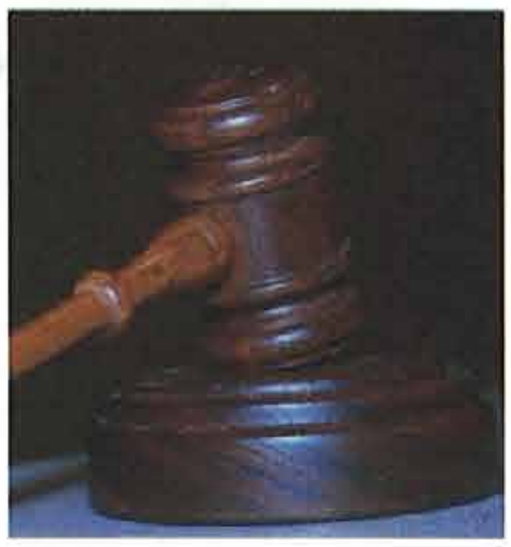

الله هو العدل، ولا يرتضي من عباده إلا العدل، ولو كان الباغي هو الأقرب إليهم بعنوان ما، والعدل شعار الإسلام

راكعاً وتاب عن ذلك. وينبغي التنبيه إلى أن الإمامية تعتقد بأن ما صدر عن النبي داود عليه السلام لا يخدش بأصل العصمة فيه، إذ لم يرتكب ذنباً يُعاقَب عليه.

• مؤثرات سلبية:

ولعلنا يمكن أن نستشف من الآيات أن من العوامل المؤثرة سلباً في الإنسان وتدفعه للاستعجال في إبداء الرأي أو إصدار الحكم:

١. فقدان التوازن النفسي في لحظة ضعف إنساني، فالدخول المفاجئ على النبي داود في مكان ووقت ما كان لأحد أن يدخل عليه فيه، يبدو أنه أربكه بدلالة (فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لاَ تَخَفْ).

٢. مبادرة الخصمين لطرح مشكلتهما مستنجدين به مع تقديم مقدمة حكيمة يبدو أنها نالت إعجابه وجعلته يسكن إلى كلام الأول منهما حين شرح له القضية: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَآ إِلَى سَوَآءِ الصِّرَاطِ﴾..

٣. هناك عوامل قد تتدخل في تكوين الرأي أو إصدار الحكم، كالمشاعر العاطفية والتعصب الديني أو الطائفي أو العرقي أو القومي أو الوطني وغير ذلك، والأول منها أثّر في النبي داود فسارع لإبداء رأيه.

ولكن الله سبحانه هو العدل، ولا يرتضي من عباده إلا العدل، ولو كان الباغي هو الأقرب إليهم بعنوان ما.

• الدفاع عن الخائنين:

في سورة النساء آيات تعالج قضية أخرى في هذا الإطار، حين سرق مسلم من آخر، ووضع المسروقات عند شخص يهودي دون علمه، فأرادت عشيرته أن تبرءه وتلقي بالتهمة على اليهودي، واصطنعت مجموعة من الأدلة الوهمية، وهي تتصور أن كون الخصم مسلماً سيدفع النبي الأمرك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لاتخاذ الحكم لصالحه. قال عز اسمه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا، وَاسْتَغْفِرِ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا، وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ





العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجلُ شرارَ قومه خيراً من خيار قوم آخرين ، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه

يُحبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا، يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاس وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا، هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾. النساء:١٠٥-١٠٩. (خصيماً = مدافعاً ومحامياً).

• لا مداهنة:

إذاً كانت المسألة على مستويي النظرية والتطبيق حاسمة، ولا مجال للمداهنة والدفاع بالباطل عن الباطل، وإن كان من صدر عنه من المسلمين، لأن الحُكم العادل هو الأساس، والعدل شعار الإسلام.

والعلماء والسياسيون ورجال الإعلام - وفي هذه الأجواء المليئة بالتوتر - بحاجة إلى مراجعة وتقييم أدائهم وفق القيم السابقة، وكما قال رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام الإمام زين العابدين:

(العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجلُ شرارَ قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومَه - لأنهم قومه ولأنه يتعصب لهم - على الظلم).

• رسالة قصيرة:

أتمنى على كل محام أن يضع أمامه لوحه تتضمن قوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا، وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا، وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.



٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ
٢ إبريل ٢٠١١ مـ

فُتنّا فتوناً

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إنما بدءُ وقوع الفتن من أهواءٍ تُتّبع، وأحكام تُبتدع، يُخالَف فيها حكمُ الله، يتولّى فيهاَ رجالٌ رجالاً، ألا إن الحق لو خلُص لم يكن اختلافٌ، ولو أنَّ الباطل خَلُص لم يخفَ على ذي حِجى، لكنه يؤخذ من هذا ضِغث، ومن هذا ضِغث، فيمزجان فيجلّلان معاً، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كيف أنتم إذا لَبِسَتْكُم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير).

• أقسام الفتنة:

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: (الفتنة هو ما يقع به اختبار حال الشئ، و لذلك يطلق على نفس الامتحان والابتلاء، وعلى ما يلازمه غالباً، وهو الشدة والعذاب، وعلى ما يستعقبه كالضلال والشرك).

ومن هنا قسم الشيخ المجلسي الفتنة إلى أعشرة أوجه استفادها من القرآن والحديث، قال:

١. الضلال ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا﴾ الأحزاب:١٤.

٢. الاختبار ﴿وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ طه:٤٠. يعني اختبرناك اختبارا

٣. الحجة والعذر ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا وَ اللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ الأنعام:٢٣.

٤. الشرك ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة:١٩١.

٥. الكفر ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ التوبة:٤٩.

٦. الإحراق بالنار (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ... إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ﴾ البروج:٤-١٠.

٧. العذاب ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ الذاريات:١٣. يعني يعذبون

٨. القتل ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النساء:١٠١. يعني إن خفتم أن يقتلوكم

إن الحق لو خلصٍ لم يكن اختلاف، ولو أنَّ الباطل خَلُص لم يخفَ على ذي حِجى، لكنه يؤخذ من هذا ضِغث، ومن هذا ضِغث، فيُمزجان





مسألة الحكم ليست مسألة قوانين مجردة، بل يرعاها الحنان الإنساني، فالأخوة والاشتراك في الإنسانية يجمعان الحاكم بالرعية

٩. الصد ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾ الإسراء:٧٣. يعني ليصدونك
١٠. شدة المحنة (رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الممتحنة:٥

• منشأ الفتنة:

التفصيل السابق لاستعمالات كلمة الفتنة قد ترد عليها بعض الملاحظات، إلا أنها تفيد في فهم ما أراده الإمام علي عليه السلام في كلمته، وكأنه يشير إلى بدء الانحراف ومن ثم افتتان المسلمين وانجذابهم إلى الخط المنحرف في الإسلام بالمستوى الذي يتحول فيه إلى خلاف ومن ثم إلى بروز صراع متعدد الأوجه بينهم.

وقد أرجع الإمام بداية الاختلاف المؤدي إلى الانحراف ثم الصراع إلى عاملين رئيسيين:

١. الأهواء، إذ تجنح النفس البشرية إلى رغباتها بتطرف، أو على حساب المبدأ والقيم.
٢. عدم التفقه في الدين ـ لاسيما من قبل المتصدين لنشره ـ مما يستتبع عدة سلبيات خطيرة على المستوى النظري من خلال الفهم القاصر أو المغلوط، وعلى المستوى العملي من خلال تجاوز حرم الله بإباحة الدم الحرام وقمع الناس وسلب حقوقهم وما إلى ذلك، وفي نموذج الخوارج دلالة بيّنة على ذلك.

• صورة غائمة:

ويؤكد الإمام عليه السلام إلى أن أهل الانحراف لو قدّموا ما لديهم من باطل خالص لما صعب على كل من كان لديه شئ من العقل أن يميزه، ولذا كان سبيلهم إلى ترويج الباطل هو مزجه بالحق.

وأما السبيل للاهتداء إلى الصواب والنجاة من الفتن المضلة فلذلك عدة عوامل، على رأسها تقوية الارتباط بالله سبحانه.

وقد أشار الإمام إلى ذلك ضمنياً بقوله: (ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى)، وقد قال الله سبحانه: ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف:١٧٨.

• رجال الحق:

وأما العامل الآخر فيتمثل في امتلاك الوعي والبصيرة بالمستوى الذي يستطيع فيه الفرد أن يفكر ويحلل ويعرض الأمور على القيم والموازين الإسلامية والعقلية، بعيداً عن أية مؤثرات أو تعصبات، دون أن تخدعه أسماء أو عناوين أو كثرة. قال عليه السلام: (إن الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله).

فالكثرة لا تمثل الحق ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام:١١٦، والرجال قد تزل أقدامهم وتنحرف مساراتهم، وقد يخطؤون وتشتبه عليهم الأمور.

• رسالة إلى الشيخ القرضاوي:

فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، وبكل اختصار، إن كنت كما قلت حول أحداث البحرين: (لا أجد عندي معلومات لما يحدث)، فلم صدر عنك الحكم على الأحداث بصورة قطعية في نفس الخطبة، وأثرت نعرات طائفية بغيضة، وأنت أحد أبرز علماء أهل السنة المتصدين للشأن الإسلامي، وموقع تقدير في العالم الإسلامي؟ وهل يحق لك وأنت في الموقع والامتداد الذي تمثله أن تقول ما قلته في الخطبة اتباعاً للظن ورجماً بالغيب؟

إننا نربأ بك يا فضيلة الشيخ أن تزل قدمك ثالثةً، كما زلَّت من قبلُ بعد العدوان الصهيوني على لبنان عام ٢٠٠٦ حين وقعتَ في شراك الفرقة بين المسلمين وتفتيت اللحمة التي تحققت أبان ذلك العدوان وذلك حين وقفت تستصرخ العالم السني للوقوف في وجه المد الشيعي المزعوم! فلمن قدمت تلك الخدمة حينذاك؟ ولمن تقدمها اليوم؟ إن مسؤولية العلماء في الأمة أن تكون مواقفهم وكلماتهم بعيدةً عن ضغوطات الأهواء، قائمةً عى أساس التثبت والحجة والدليل، فإذا كان الفقيه في بحوثه العلمية يراجع الأدلة مرات ومرات حتى يتثبت، فإن من الأولى به أن يفعل ذلك وهو يتصدى لقضايا الأمة، لأن الخطأ هنا قد يكلف الأمة كثيراً.

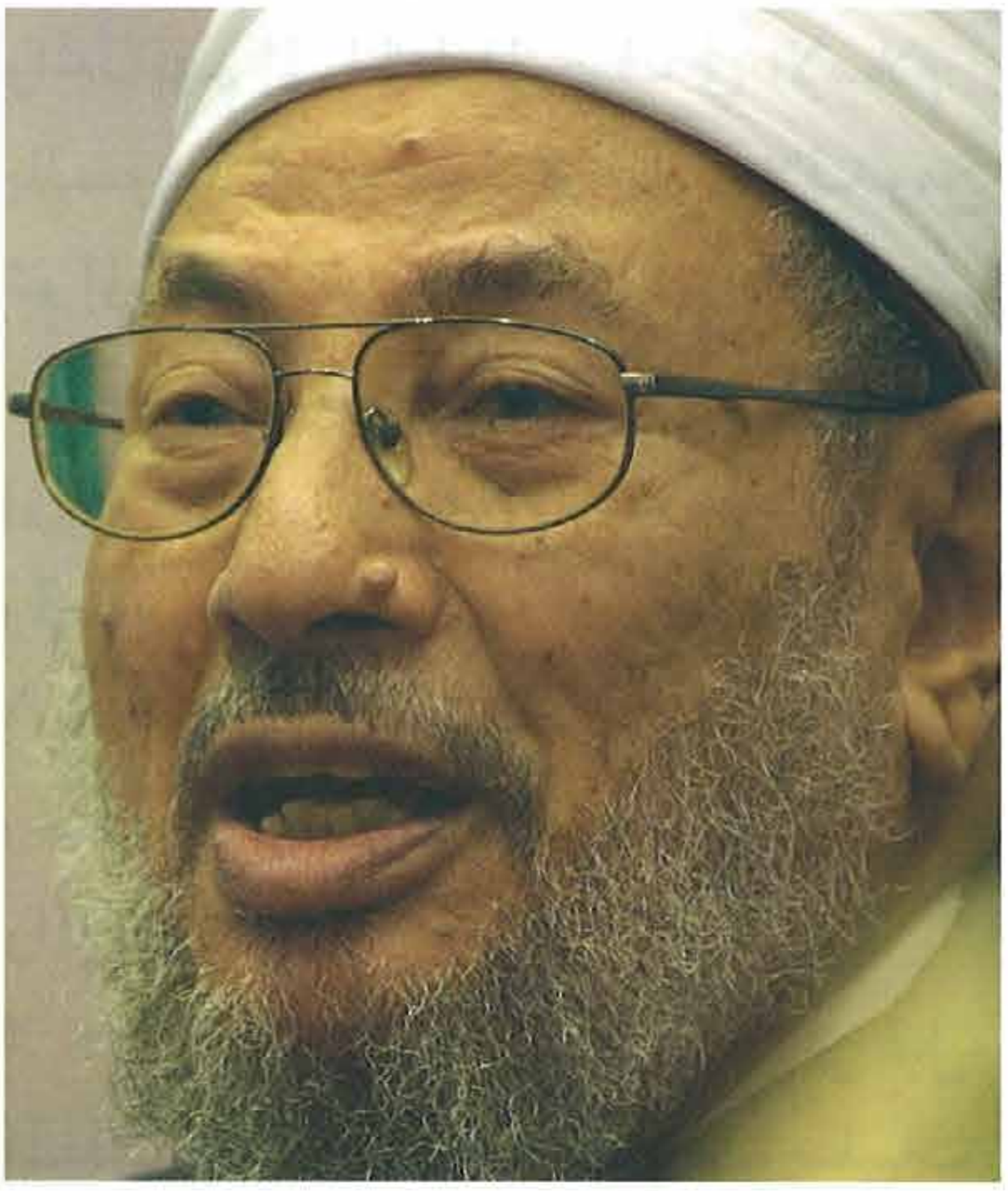

٦ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ
٩ إبريل ٢٠١١ مـ

بين الإبداع والابتداع

ما هو إبداع قد يتهمه البعض بأنه ابتداع، والعكس صحيح. وليست القضية جديدة ، وبالتالي كيف يمكن أن نميز بين الإثنين ؟

مفهوم الاجتهاد والإبداع فيه، واضح بشكل إجمالي لكثير من الناس، وكذلك بالنسبة إلى مفهوم البدعة، ولكن يقع الارتباك عند السعي للتمييز بينهما عملياً، فما هو إبداع قد يتهمه البعض بأنه ابتداع، وما هو من البدع قد يعتبره البعض أمراً خلاقاً وجديراً بالأخذ. وليست القضية جديدة على الساحة الفكرية والفقهية، إذ لها جذورها التاريخية. وبالتالي كيف يمكن أن نميز بين الإثنين؟

• البدعة في القرآن:

في القرآن الكريم أربع آيات استعملت كلمة (بدع) باشتقاقاتها، والآية الوحيدة التي لها علاقة بالموضوع هي قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ الحديد:٢٧. ومعنى ذلك أنّهم ابتدعوا رهبانيةً لم يكتبها الله تعالى عليهم، إما من حيث المبدأ أو من حيث الطريقة والأسلوب المتبع، ومن الواضح أن الآية قد جاءت في موقع الذم.

• البدعة في السنة:

أما إذا جئنا إلى الحديث الشريف، وجدنا عدّة محاور تعرّضت لها النصوص:

المحور الأوّل: رفض البدعة، كما في الحديث المشهور بين المسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم: (كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار). وقد ورد هذا الحديث أو ما بمضمونه عن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام .

المحور الثاني: قطيعة أهل البدع، كما في الصحيح المسند إلى عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: (لا تَصحبوا أهل البدع، ولا تجالسوهم، فتصيروا عند الناس كواحد منهم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:المرء على دين خليله وقرينه).

المحور الثالث: مواجهة البدع وأهلها، كما في صحيح داوود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا





لنفترض أن غير المؤهل قال بنظرية ضمن أدلة طرحها، فحكمنا ببدعيتها، ثم جاء المجتهد وقال بها، فهل يصبح ذلك الرأي إبداعاً ؟

البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم، والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم، كيلا يطمعوا في الإفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس، ولا يتعلّموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم الدرجات في الآخرة).

ولكن ذكر الإكثار من السبّ بل البهتان، بمعنى جواز الكذب عليهم لتشويه صورتهم جعلت في المتن تعارضاً مع مبادئ قرآنية وأخلاقية، مما دفع بعض المحققين الى الشك في صحة هذا الخبر وإن صح السند. فمعارضة نص أو ظاهر القرآن توجب طرح الحديث ولو كان صحيح السند. وهناك أحاديث أخرى تحث على المواجهة ولكن ليس بهذه الصورة.

• نظريات للتمييز:

هناك عدة نظريات طرحها المحققون كمعايير للتمييز بين البدعة والإبداع:

١. المعيار الشخصاني: وذلك بأن يكون المعيار هو صاحب القضيّة أو المقولة، فإن كان ممّن لا يملك حقّ إبداء الرأي باعتباره غير متخصص في هذا المجال فسيكون رأيه بدعة، بينما لو كان مجتهداً في الفقه الإسلامي مثلاً وقدّم رأياً فقهياً جديداً، فهنا لا يكون كلامه بدعةً، مهما كانت نظريّته غريبة.

ويمكن أن يثار أكثر من إشكال ورد على هذا المعيار، وعلى الأقل يمكن أن يقال بأنّنا لا نشك في ضرورة حمل صاحب الفكرة مؤهلات في شخصه، لكن فلنفترض أن غير المؤهل قال بنظرية ضمن أدلة طرحها، فحكمنا ببدعيتها، ثم جاء المجتهد وقال بها، فهل يصبح ذلك الرأي إبداعاً بعد أن كان ابتداعاً؛ لأنّ صاحب الرأي تغيّر؟! من الصعب قبول ذلك، ولعل في ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام إشارة إلى ذلك حيث قال: (لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال).

٢. المعيار التاريخي: فإن وجدنا أن هذه المقولة الجديدة لا جذور تاريخياً على





إذا قلنا بالمعيار التاريخي فسنحكم على كثير من فقهائنا المتقدمين والمتأخرين بالابتداع إذ جاءوا بنظريات لم يقل بها من سبقهم

مستوى آراء أصحاب الاختصاص، فعندها سنعتبر المضمون بدعياً، بخلاف ما لو وجدنا لها قائلاً. ووفقاً لهذا لا يعود مضمون البدعة هو المهم من حيث وجود دليل عليه أو عدم وجود دليل، ولا يعود المهم أن يكون صاحب البدعة عالماً مفكّراً أو يكون نكرةً جاهلاً.

إلا أن هذا المعيار يواجه إشكالات عدة، من بينها: ـ ماذا لو أقام صحب المقولة الجديدة الدليل المحكم من الكتاب والسنة، فهل ستبقى بدعة؟ ـ ثم إننا بهذا المعيار سنحكم على كثير من فقهائنا المتقدمين والمتأخرين بالابتداع إذ جاءوا بنظريات لم يقل بها من سبقهم من العلماء. ثم ما هو الفاصل الزماني الذي نعتبر أن ما جاء بعده بدعه، وما قبله إبداع؟ ـ كما أن الأخذ بهذا المعيار سيدفع إلى إغلاق باب الاجتهاد إلا في ضمن مقولات المتقدمي، وهذا مرفوض حتماً.

٣. المعيار العرضي: بأن نعرض المقولة على الكتاب والسنّة، فإذا لم يرد فيها نصّ بخصوصه في الكتاب والسنّة، ولم يشمله عام أو مطلق فيهما، فهو إذاً بدعة.

ولكن المشكلة في هذا المعيار أن لكل مجتهد تفسيراً للآية أو الحديث، وعليه سيختلف التقييم، وبالتالي سنرجع إلى المربع الأول.

٤. المعيار التنوعي: بأن يتمّ اكتشاف البدعة عبر سبل ثلاثة: ـ أن يرد نصّ قرآني أو حديثي معتبر من حيث السند والدلالة، ويدل على أنّ القضيّة الفلانية بدعة أو أن فلاناً مبتدع. ـ أن لا يقيم صاحب المقولة نظرية تفسيرية تبرّر نسبة هذا الرأي إلى الدين. ـ أن نعلم أنّ صاحب هذه المقولة يتعمّد إقحام ما ليس من الدين فيه بنيّة خبيثة.

• الأسلوب الأمثل:

ومما سبق تتبين حساسة الموضوع وتداخلاته، الأمر الذي يدفعنا ـ من باب الالتزام بالقيم والأمانة العلمية ـ إلى التريث في اتهام أصحاب المقولات الجديدة بالبدعية، وضرورة إدارة عمليّة

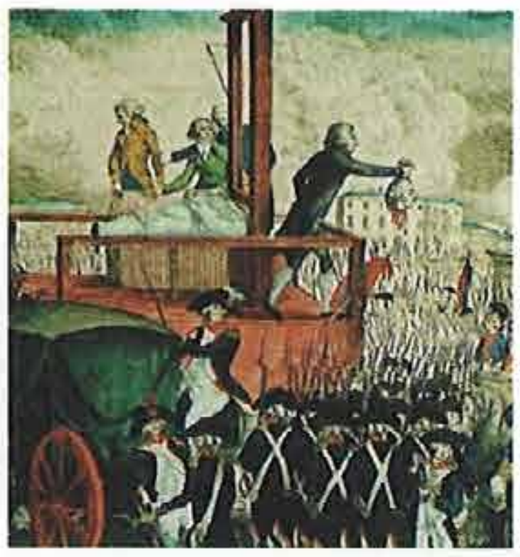

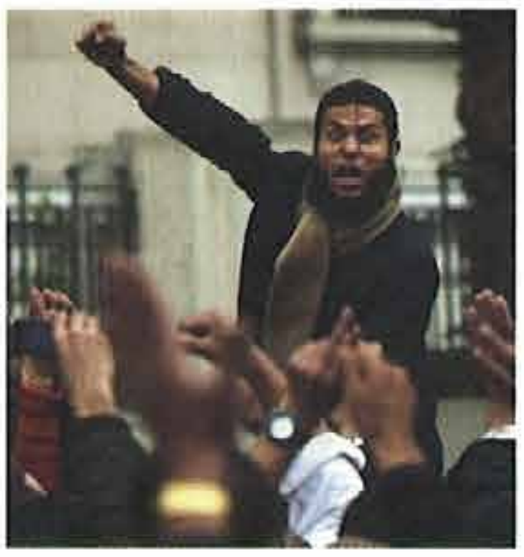

لابد من التريث في اتهام أصحاب المقولات الجديدة بالبدعية ، وضرورة إدارة عمليّة الاختلاف في الداخل الإسلامي برويّة

الاختلاف في الداخل الإسلامي برويّة مع الحفاظ على حقّ الاختلاف، بشرط أن لا يؤدي هذا الاختلاف إلى التنازع المضعِف للأمّة. ولنلاحظ هذا الخبر الذي صححه السيد الخوئي رحمه الله وغيره، عن أبي العباس البقباق، قال: (تدارء ـ تذاكر ـ ابن أبي يعفور ومعلّى بن خنيس، فقال ابن أبي يعفور: الأوصياء علماء أبرار أتقياء، وقال ابن خنيس: الأوصياء أنبياء. قال: فدخلا على أبي عبد الله عليه السلام، قال: فلمّا استقرّ مجلسهما، قال: فبدأهما أبو عبد الله عليه السلام، فقال: يا عبد الله، أبرأ ممّن قال إنّا أنبياء). فعلى الرغم من هذا البون الشاسع بين رأيي اثنين من أصحاب الصادق عليه السلام في فهم مسألة الإمامة والوصية، لكن مع ذلك كانا يتذاكران ويتجالسان، ولم يطبّق الإمام على أي منهما مبادئ العلاقة مع أهل البدعِ، فحريّ بنا أن نتعلم من ذلك درسا مهماً بأن لا نفسّق بعضنا ولا نجهّله ولا نقصيه، بل نحترمه ونمارس النقد عليه، كما يمارس هو بنفسه النقد علينا، وأن يكون شعارنا مع من يخالف هذا الأسلوب هو دلالة قوله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾المائدة:٢٨.

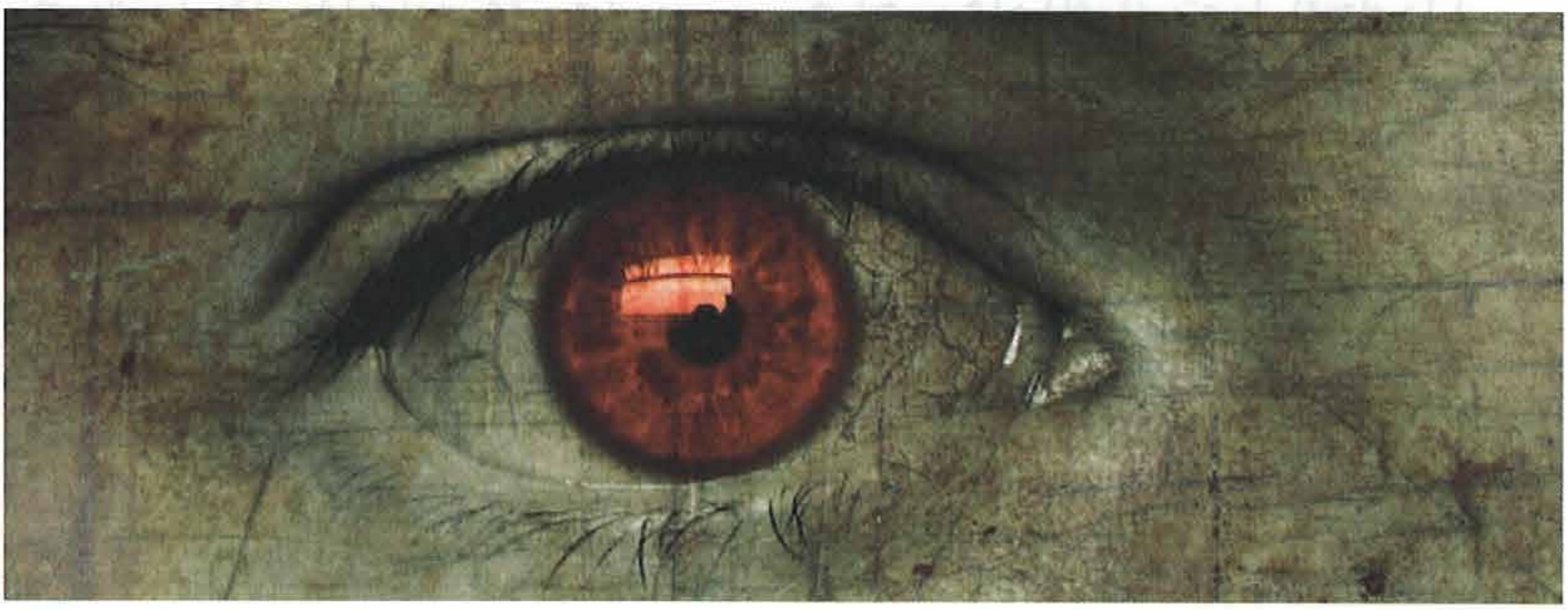

١٣ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ
١٦ إبريل ٢٠١١ مـ

بين الدولة و السلطة

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الزخرف:٥١-٥٢. تطرقت في مقالات سابقة إلى بعض عوامل الثورات التي شهدتها وتشهدها المنطقة العربية اليوم. ويمكن أن نضيف إليها عاملاً آخر مهماً وهو طبيعة العلاقة بين مفهومي الدولة والسلطة في الوعي العام، لاسيما عند الشباب.

• انكشاف الحقيقة:

فمن خلال عامل الهجرة ـ المشروعة وغير المشروعة ـ إلى العالم الغربي، ومن خلال تأثير العولمة والانفتاح غير المسبوق لوسائل الاتصال والمعلوماتية، انفتح الشباب على مفهوم الدولة الحديثة، وهو شئ مختلف تماماً عما تعلموه وتلقوه وحُفّظوه وقرؤوه كل يوم في الصحف، وعما شاهدوه على شاشات التلفزة الرسمية وشبه الرسمية.

وبالتالي أدركوا أن الدولة لا تعني

انفتح الشباب على مفهوم الدولة الحديثة، وهو شئ مختلف تماماً عما تعلموه وعما شاهدوه على شاشات التلفزة الرسمية وشبه الرسمية

السلطة، والسلطة لا تعني الدولة في المفهوم الحديث للدولة، فالدولة فيها مكوّنات كالسكان والإقليم، والسلطة مكوِّن من مكوناتها الدولة. وعلى هذا تترتب عدة أمور:

١ـ دور السلطة يتمثل بالمهام الإدارية لشؤون الدولة.

٢ـ تقوم الدولة بتحديد السلطة بطريقه ما، انتخابية أو تعيينية أو غيرهما، وتحدد سلطاتها ونفوذها، كي لا تستبد، ثم تجعل عليها الأدوات الرقابية والمحاسبية.

٣. يفترض بكل مكونات الدولة أن تخدم جميع المكونات السكانية دون تمييز، وتغطي احتياجاتها باعتبار أن هذا المكوِّن هو العنصر الأهم.

٤. يتمثل عدل الدولة في قوة المؤسسات وقدرتها على الالتزام بقانون يحمي الأفراد وفق نظام معياري للقيم العامة.

• تأزيم سياسي اجتماعي:

ولكن الخلط بين وظائف الدولة ووظائف السلطة أدى إلى تأزيم الأداء





تم تصوير المواطنة بحيث يكون أي نقد أو احتجاج هو بمثابة تمرد على الوطنية، وانعدام ولاء. ومن هنا اختل مفهوم المواطنة ومفهوم الولاء

السياسي والاجتماعي في تلك الدول.

فالدولة وفق التصور القديم إقطاع خاص للسلطة، وما يقدَّم للمواطن إنما هو منّة عليه، سواء الوظيفه أو الصحة أو السكن، تماماً كما صوّر فرعونُ الأمر: (يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ). وبالتالي وفق هذا التصور السابق فإن أي نقد أو احتجاج هو بمثابة تمرد على الوطنية، وانعدام ولاء. ومن هنا اختل مفهوم المواطنة ومفهوم العدل ومفهوم العلاقة بالدولة ومفهوم الولاء وغير ذلك من المفاهيم الحساسة للغاية. واستُغلت أيضاً هذه اللخبطة في المفاهيم في هدر كرامة الناس وكبت حرياتهم وسلب حقوقهم وتهجيرهم وما إلى ذلك من ممارسات تعسفية.

• في الاتجاه الصحيح:

وأما فيما يخصنا نحن في الكويت، فنحن ـ بحمدالله ـ منذ أن تم وضع الدستور نسير في اتجاه الدولة الحديثة وإن كان ببطء وتلكؤ أحياناً، ومع العوائق أحياناً أخرى، ولكن المسيرة مستمرة، ولكن لدي تعليقان: ١. هناك من لا تتوافق مصلحته مع هذه المسيرة، أو المصالح الفئوية أو القبلية أو الطائفية. وهناك من هو على شاكلة المثل العامي: (عمره ما تبخر تبخر احترق!)، ولذا تختلط الأوراق وتتحول الممارسة الديمقراطية إلى فوضى سياسية. ٢. وهناك من لم يهضم أو لا يستطيع أن يهضم المفهوم الحديث للدولة، وأن المواطنين بكافة تنوعاتهم هم المكون الآخر للدولة وبصورة متساوية، فكلما برزت مشكلة أو أطلت الفتنة برأسها نهض البعض مستصرخين الطرف الآخر أن أثبتوا ولاءكم.. اصرخوا، هرّجوا، العنوا، في صورة مشابهة لما كانت عليه الأمور في الثمانينيات، ومن لا يستجيب لهم يفترض أن تسحب جنسيته، أو يرحّل من الوطن وما إلى ذلك من ترهات.

وللأسف لم يستطع هؤلاء أن ينضجوا ويواكبوا مسيرة الحداثة، أو أنهم لا يريدون ذلك، وهم على إصراراهم



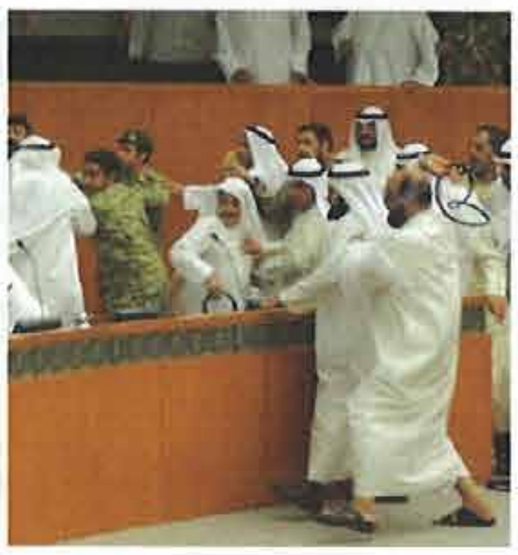

يا أبناء هذا الوطن ارتقوا وواكبوا مسيرة التقدم مع المحافظة على أصالتكم ، وإلا تجاوزتكم أجيال الشباب

في إعادة الاسطوانة المشروخه والتي يستخدمها كل طرف للتشفي أو لاستفزاز الحكومة ضد الطرف الآخر.

• امتدادات تاريخية:

مَن مِن الكويتيين ليس له امتداد في السعودية أو إيران أو العراق أو البحرين أو غيرها؟ وأية جماعات سياسية أو دينية ليس لها امتداد خارجي، إن لم تكن هي امتداد خارجي لأصلها الخارجي؟ دينية أو قومية أو ليبرالية فلم كل هذه السهام الموجهة ضد طائفة بخصوصها تهماً وتشكيكاً وتحريضاً كلما حدث حادث؟

وهل الاشتراك المذهبي مع بعض مواطني دول الجوار يعتبر ولاءً مزدوجاً؟ إن كان كذلك فكلكم محكومون بها.

أيها السادة.. يا أبناء هذا الوطن الذي لم يبخل عليكم بشئ.. يا أبناء الكويت التي ضحيتم بالكثير من أجل استقلالها ثم تحريرها ثم نهضتها.. ارتقوا وواكبوا مسيرة التقدم مع المحافظة على أصالتكم الإسلامية وامتدادكم التاريخي، وإلا تجاوزتكم أجيال الشباب الذين إن لم يقولوا كلمتهم اليوم فإن أصواتهم سترتفع غداً لا محالة.

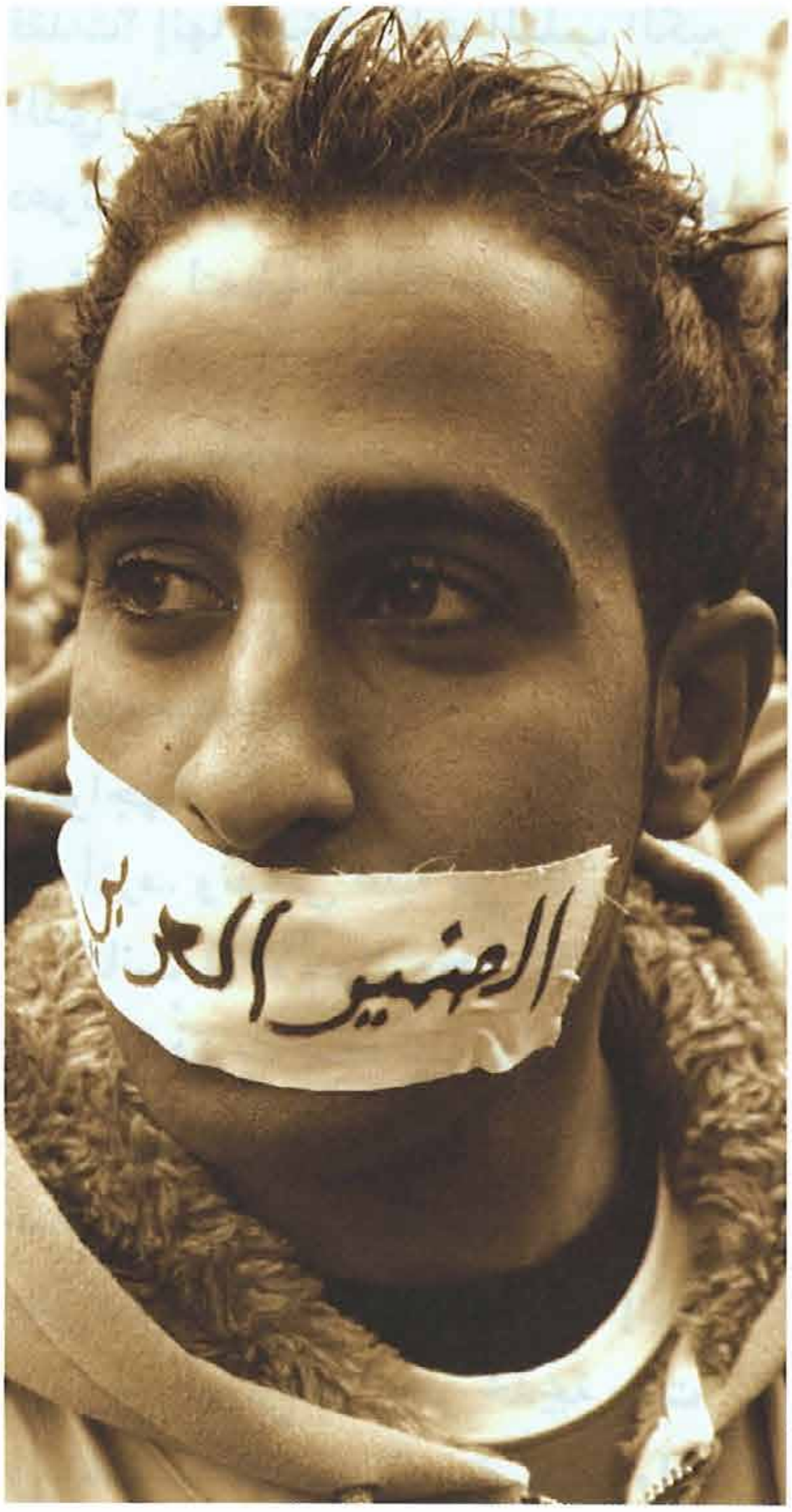

٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ
٢٣ إبريل ٢٠١١ مـ

اعلموا أني فاطمة

أيها الناس اعلموا أني فاطمة و أبي محمد.. أنا فاطمة يتيمة هذه السيدة العظيمة التي أقرأها ربُّها السلامَ بوحيٍ منه حملَه أمينُ الله جبريل

أيها الناس اعلموا أني فاطمة و أبي محمد.. أنا فاطمة التي عشت يُتمَ الأم ولم أتجاوز الخامسة، وأيُّ أمٍّ تلك التي فقدتُ؟ إنها خديجة.. ذاتُ القلب الكبير الذي احتضنت به كل معاناةِ أبي في دعوته الناس إلى دين الله.. فكانت سلواه في محنته.. لتعطيه الطاقة من طاقتها.. والصلابة في الحق من صلابتها..

وكانت يدَه التي تجود في عطائه.. ليُعينَ بها الضعفاء.. ويفكَّ بها أسرَ المستضعفين.. وينشرَ بها كلمةَ التوحيد.. وكانت عينَه التي ترقُبُه في أيام الشدة والمواجهة.. لتخفف عنه معاناتَه.. وتشدَّ من أزره.. وتَفيضَ عليه من حنانها..

فكانت له الأمَّ والزوجةَ والنصير.. حتى إذا ذُكرَت عنده ليلةَ أرادوا إدخالي على علي قال: (خديجة! وأين مثلُ خديجة؟ صدَّقْتني حين كذَّبني الناس، ووازرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها، إنّ الله عزّ وجلّ أمرَني أنْ أبشِّر خديجة ببيت في الجنةِ من قصب، لا صخَبَ فيهِ ولا نصَب). جزاءً لصبرها على كل ذلك الصخب الذي تحملته في سبيل الله.. وكلِّ ذلك النصب والتعب الشديد الذي قاسته نصرةً لدين الله.

أيها الناس اعلموا أني فاطمة و أبي محمد.. أنا فاطمة يتيمة هذه السيدة العظيمة التي أقرأها ربُّها السلامَ بوحيٍ منه حملَه أمينُ الله جبريل.. وبشّرها أنها من سيداتِ نساء أهل الجنة.. فهل تدركون عن أي يتم أتحدث؟

أيها الناس اعلموا أني فاطمة و أبي محمد.. أنا فاطمة التي فتحتُ عينيَّ طفولتي على أبٍ مكلوم بفقد أعظم إنسانة نصَرته.. فعاهدتُ ربي أن أكون له الأم التي لا تنام حتى ترى ابنَها يهنأ في منامه.. فهل كان أبي ينام في تلك الليالي ـ تفكراً وتعبداً ـ فيهنأ، كي تذوقَ عيني لذيذ المنام من بعده؟

وعاهدتُ ربي أن أكون له الناصرةَ في دعوته، في شعابِ مكة وبِطاحِها، حتى إذا رأيتُ أشقى قريش قد جاء بفرثِ جزورٍ

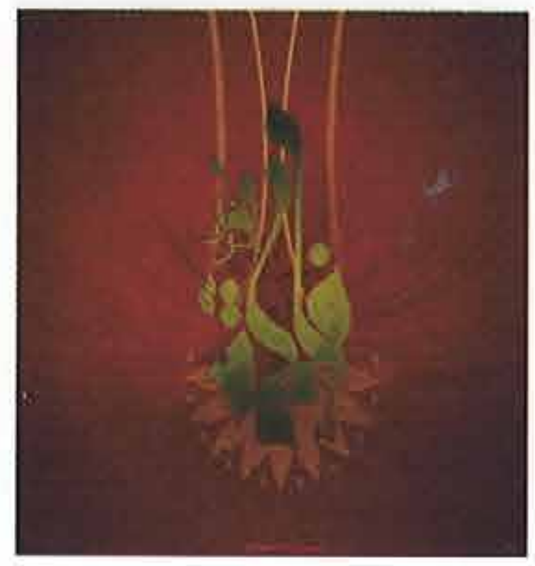



أنا فاطمة التي فتحتُ عينيَّ طفولتي على أب مكلوم بفقد أعظم إنسانة فعاهدتُّ ربي أن أكون له الأم التي لا تنام حتى ترى ابنَها يهنأ في منامه

وسلاها فألقاه على أبي وهو ساجد، والقومُ قد أخذ منهم الضحكَ كلَّ مأخذ، سارعتُ إليه حين خشيَ أصحابُه فعلَ شئ، فطرحتُ الفرثَ عن أبي، وأقبلتُ على أشراف قريش أعيبُهم قبيح ما فعلوا وألبسُهم ثوبَ الخزي والعار.

وعاهدتُ ربي أن أكون له الناصرةَ في دعوته، في يثرب وما سواها، حتى إذا رأيتُه مصاباً في أحد، قد شُجّ في وجهه، وأدمي فوه إدماءً، لم أملك إلا أن فزعتُ وصحت كما تفزع الأم على ابنها المصاب، وجعلتُ أمسحُ الدمَ وأقول: اشتدّ غضبُ اللّه على من أدمى وجهَ رسول اللّه.. ولما رأيتُ أنّ الدم لا ينقطع، أخذتُ قطعة حصير فأحرقتُها حتى صارت رماداً ثم ذروتُه على الجُرح فاستمسك الدمُ واستكان الجُرح.. ولكن قلبي لم يستكن ولم يهدأ.. فقد كانت عينا رسول الله تجولان في أرض المعركة أسفاً على حال المسلمين، وحُزناً على المصاب العظيم.

وفي الخندق.. حين كان الجميع يشارك في الحفر.. وأبي.. رسولُ الله.. محمد.. معهم يحفر.. ويحمل الحجارة.. ويشد من أزرهم.. ويُفيضُ عليهم من همته.. جئتُه بكسرةٍ من خبز.. فرفعتُها إليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قلت: مِن قرصٍ اختبزتُه لابنيّ.. جئتك منه بهذه الكِسرة. فقال: يا بُنيّة: أما إنّها لأوّل طعام دخلَ فمَ أبيك منذ ثلاثةِ أيّام! أأسمحُ لدموعي أن تنهمل فأكسر قلبَ أبي؟ أم أختزنُ الألم في قلبي وأسكنَ دموعي في محاجرها؟ وآليت على نفسي الصبر.. واستلهمتُ من أبي القوة.. فشددتُ من عزمه ودعوتُ الله أن يكتبَ له النصر والفرج.

أيها الناس اعلموا أني فاطمة و أبي محمد.. أنا فاطمة التي لم أقبل على الدنيا.. ولم تكن ليَ فيها رغبة.. تزهّداً وقناعة.. ولكنني كنت زوجةً يحبُ زوجُها أن ينظر إليها وقد تزيَّنت وهيأت له مسكنَه.. فأخذتُ شيئاً مما أغنمنا الله إياه من أرض خيبر، فلبست قلادةً وقرطين ومَسكتَين، وعلّقت ستراً ملوناً على الباب.. حتى





أنا فاطمة التي إذا رآني أبي قام لي وقد تهلل وجهُه سروراً لرؤيتي فيقبلُني ويحتضنُني يشمَّ فيّ ريح خديجة وطيبَ الجنة

إذا رأيت في وجه أبي الكراهةَ لذلك سارعتُ فنزعتُ ما لبست، وما علقت.. فبعثت به الى أبي وهو على منبره.. وقلت لرسولي إليه: اجعل هذا في سبيل الله. فلما أتاه الرسول قال أبي: قد فعَلَت، فداها أبوها.. قد فعلت فداها أبوها.. قد فعلت فداها أبوها.. ما لآل محمد وللدنيا؟ فإنهم خلقوا للآخرة وخُلقت الدنيا لغيرهم.

أيها الناس اعلموا أني فاطمة و أبي محمد.. أنا فاطمة التي أقبلتُ أمشي كأنّ مِشيتي مِشيتَه، فقال لي أبي: مرحباً بابنتي، ثم أجلسني عن يمينه، ثم أسر لي أن جبرئيل كان يعارضه القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضه العام مرتين، وأنه لا يراه إلاّ قد حضر أجلُه.. فبكيتُ.. بكيتُ لأنه أبي.. وما أعظمَ فقدُ الأب.. وبكيتُ لأنه رسول الله الذي بفقده تفقدُ الدنيا بركاتَها.. وبكيتُ لأنه صاحبُ القلبِ الكبير الذي طالما احتضنني وأحبني كما لم يحب أحداً.. فكنت آخرَ مَن يفدُ عليه إذا أراد السفر.. وكنتُ أولَ من يفدُ عليه إذا رجع من السفر.. فإذا رآني قام لي وقد تهلل وجهُه سروراً لرؤيتي.. فيقبلُني ويحتضنُني يشمَّ فيّ ريح خديجة.. وطيبَ الجنة.. ثم أسرّ لي ثانيةً أنني سيدةُ نساء أهل الجنة.. وأنني أولُ أهل بيته لحوقاً به.. فدخلني من السرور ما دخلني.. فلن يطول عهدُ الفراق.. وسأجتمع به من جديد عند رب رحيم غفور.. فابتسمتُ لذلك وأسلمتُ أمري إلى الله.

أيها الناس اعلموا أني فاطمة و أبي محمد.. أقول عوداً وبَدواً ولا أقولُ ما أقولُ غلطاً ولا أفعلُ ما أفعلُ شططاً، لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابنِ عمي دون رجالِكم ولنعمَ المُعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ
٣٠ إبريل ٢٠١١ مـ

يا ليتني ياباني

في اليابان وبعد كارثة الزلزال المدمر عندما انقطعت الكهرباء في المحال أعاد الناس ما بأيديهم إلى الرفوف ومشوا بهدوء

تناولت منتديات الإنترنت خلال الفترة الماضية تحت عنوان (شعب احترم نفسه قبل أن تحترمه الناس) مظاهر في المجتمع الياباني الذي نكب بالزلزال المدمر الأخير أثارت إعجاب الشباب من أصحاب المدونات ومستخدمي الإنترنت، وطالبت بالتدبر فيها. عشرة عناوين ذكرت في المقام:

١. الهدوء.. فلا منظر للامتعاض أو النواح. فالحزن بحد ذاته يسمو.

٢. الاحترام.. طوابير مرتبة للملء والمشتريات. لا كلمة جافة ولا تصرف جارح.

٣. القدرة.. معمار فائق الروعة. فالمباني تأرجحت و لم تسقط.

٤. الرحمة.. الناس اشتروا فقط ما يحتاجونه للفترة الحالية حتى يستطيع الكل الحصول على شئ.

٥. النظام.. لا فوضى في المحال. ولا أصوات تزمير سيارات.

٦. التضحية.. خمسون عاملاً بقوا في المفاعل النووي يضخون ماء البحر فيه مع ارتفاع مستوى الخطورة.

٧. الرفق.. المطاعم خفضت أسعارها. أجهزة الصرف الآلي تُركت في حالها. القوي اهتم بالضعيف.

٨. التدريب.. فالكبار و الصغار، الكل عرف ماذا يفعل بالضبط.

٩. الإعلام.. أظهروا تحكماً رائعاً. لا مذيعين تافهين. فقط تقارير هادئة.

١٠. الضمير.. عندما انقطعت الكهرباء في المحال أعاد الناس ما بأيديهم إلى الرفوف ومشوا بهدوء.

• حيرة أمريكية:

هذا الإعجاب لم يقتصر على المدونين العرب، ولم يثر إعجاب شبابنا فقط، بل في أثناء بحثي في الإنترنت حول الموضوع باللغة الإنجليزية وجدت مقالاً في صحيفة أمريكية يتحدث فيها الكاتب عن حيرة علماء الاجتماع الأمريكيين من انعدام ظاهرتي النهب وهمجية التصرف على أثر الزلزال. ويضيف الكاتب أنه إذا



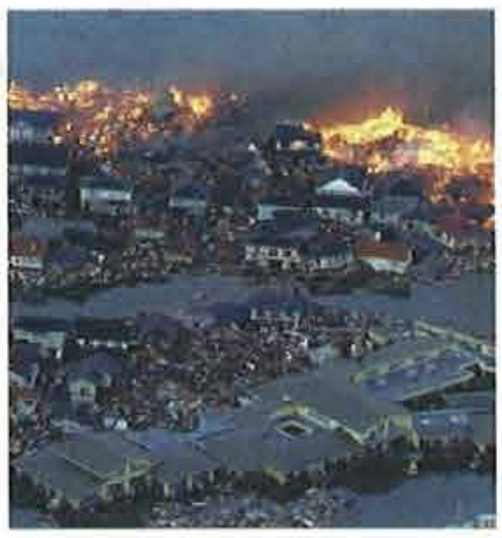

لم يكتف الإسلام بوضع القوانين ونظام العقوبات ، بل اعتبر أن ترسيخ الأخلاق الفطرية علاوة على التربية الأخلاقية رديف لها

عدنا بالذاكرة إلى إعصار كاترينا الذي ضرب نيوأورليانز نجد أن كل النظام الاجتماعي انهار، وأعمال النهب والسرقة والقتل أصبحت هي الأساس والمعيار.
ثم تعرض الكاتب الذي عاش في اليابان ١٠ سنوات إلى ذكر ثلاثة عناوين تحكم تصرفات الشعب الياباني وتدفعهم ليظهروا بصورة مشرّفة:

١. (Giri): المسؤولية والعدالة والإخلاص والضمير.
٢. (Tatemae) رعاية التصرفات الاجتماعية التي يتوقعها المجتمع من الفرد.
٣. (Honne) الاحتفاظ بالمشاعر الحقيقية للأفراد ورغباتهم، ولا يتم إظهارها إلا للمقربين.

• القيم الإسلامية:

ويتساءل كثيرون: ألا نمتلك في الإسلام شيئاً من هذا القبيل؟ فقد طرح الإسلام ثلاثية القانون ـ الأخلاق ـ التقوى، والتي يمكنها أن تنظم العلاقات وتصل بالسلوك الإنساني إلى أرقى مستوياته:

١. القانون: كل الأمم متفقة على ضرورة وجود القانون المنظم للعلاقات في أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويردف القانون نظام العقوبات والجزاءات في حال وقوع المخالفة. ومنظومة القوانين الإسلامية في كل المجالات السابقة حاضرة، وهي إن كانت في البداية في صورة آيات وأحاديث، ثم مسائل فقهية، إلا أنها بجهود الباحثين تحولت إلى منظومة قانونية ذات مواد واضحة مفصلة.
٢. الأخلاق: لم يكتف الإسلام بوضع القوانين ونظام العقوبات، بل اعتبر أن ترسيخ الأخلاق الفطرية علاوة على التربية الأخلاقية رديف لها، بلٍ من المفترض أن تغدو عاملاً بديلاً للقانون إذا وجد ضعف في أجهزة التنفيذ والقضاء أو حالة من استشراء الفساد فيها، أو لصعوبة تحقيق حالة الرقابة على تصرفات كل فرد في كل المواقع، أو لعدم وجود عقوبات رادعة. وهذا العامل يمثل قوة ذاتية بغض

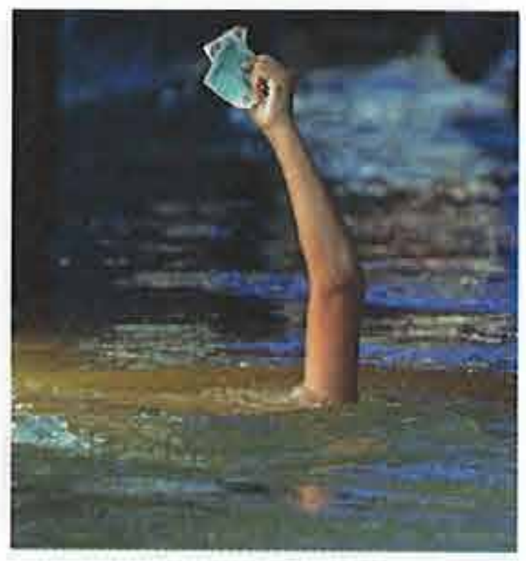

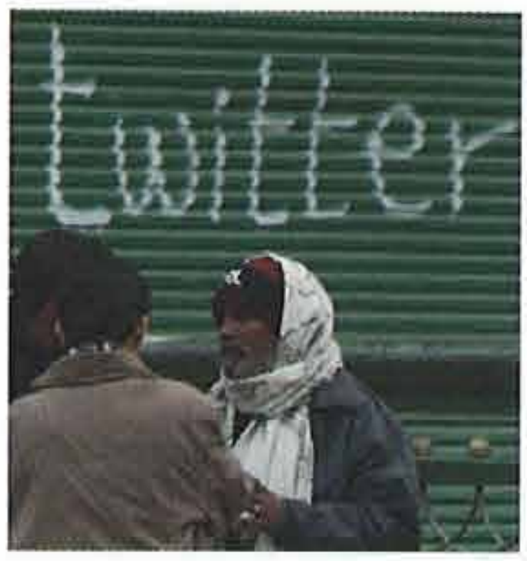

التقوى والإحساس بالرقابة الإلهية تمثل صمام الأمان وحالة من الرقابة الذاتية التي تعضد القانون والأخلاق أو تحل محلهما لو فقدا

النظر عن وجود القانون أو فعاليته أو تفعيله من عدمه.

٣. التقوى: والذي يمثل صمام الأمان وحالة من الرقابة الذاتية التي تعضد العاملَيْن الأولَيْن، أو تحل محلهما لو فقدا. ولذا نلاحظ أن مجموعة من الآيات القرآنية لم تكتف بالتشريع، بل تلحقه بذكر التقوى، لأن حضور الله الدائم في وعي الإنسان والإحساس بالرقابة الإلهية يدفع نحو الاستقامة في السلوك.. ومن نماذج ذلك ما جاء في الآية القرآنية: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾ النساء:٩، بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن حكم أكل مال اليتيم.

• مكارم الأخلاق:

إن العناوين الثلاثة التي ذكرها الكاتب الأمريكي كقوى محركة للسلوك المهذب



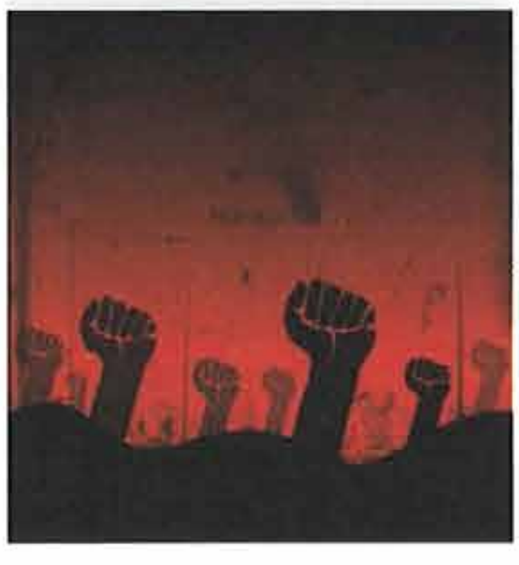

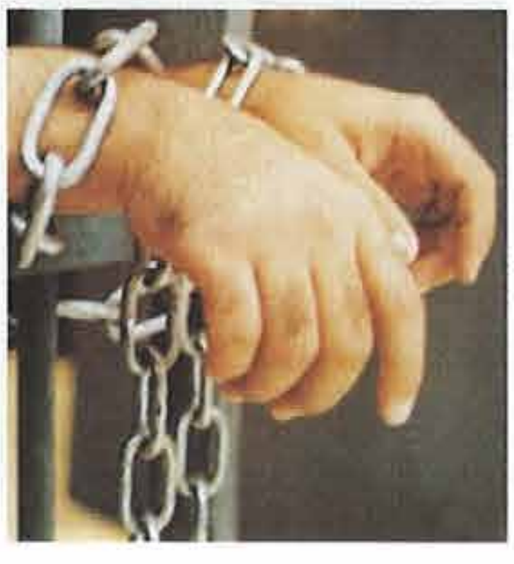

بإمكان الشباب أن يثوروا أيضا على الأوضاع الأخلاقية والقيمية المتعارضة مع السلوك الإنساني الراقي

عند الفرد الياباني حاضرة بوضوح في النصوص الإسلامية، وتجاوزتها إلى تفاصيل ولا أروع، ويمكن للقارئ التمعن في دعاء مكارم الأخلاق الوارد في الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام ليكتشف جانباً من ذلك.

وتبقى مشكلة العالم الإسلامي بكل بساطة واختصار:

١. فيما يخص القانون: ما جاء في الحديث النبوي: (أيم الله مالكم ايها الناس اذا سرق فيكم الشريف تركتموه واذا سرق الضعيف أقمتم عليه الحد؟).

٢. فيما يخص الأخلاق: تحولت إلى عناوين نظرية يتغنى بأمجادها، وليست قيماً راسخة في الأفراد، مع ازدواجية بين القول والعمل.

٣. التقوى: تحولت عوامل تحقيق التقوى إلى مظاهر سلوكية قشرية، كالصلاة والصيام والحج، وأفرغت من محتواها، وهي إن أريد تحقيقها لم تتعد أن تكون ذات بعد فردي، فهو يتقي الله في أن يصلي ويصوم ويحج، ولكن لا تقوى في التجارة وفي العهود والعلاقة الزوجية والأداء الوظيفي والشهادة وحقوق الناس ..إلخ.

• ثورة شبابية:

وبودي هنا أن أوجه كلمة للشباب الذي يتغنون برقي السلوك في اليابان ويمتعضون من أوضاع عالمنا الإسلامي.. هل تكتفون بذلك؟ إذا كان العالم العربي شهد ويشهد ثورات شبابية عديدة على المستوى السياسي بكل تحدياته، فبإمكانكم أن تثوروا أيضاً على الأوضاع الأخلاقية والقيمية المتعارضة مع السلوك الإنساني الراقي. أطلقوا ثورتكم في هذا الاتجاه، وقودوا حركة التغيير إلى الأفضل، بتكتيكاتكم الذكية، وانطلقوا عبر الإنترنت والوسائل الأخرى المتاحة بأيديكم، وأنتم قادرون على ذلك إن كنتم صادقين فيما تحبون، وإلا كنتم شركاء فيما نعيشه من أوضاع قيمية تمتعظون منها وتُكبرون الآخرين لأنهم تجاوزوها.

٤ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ
٧ مايو ٢٠١١ مـ

دولة دينية أم مدنية
١ من ٢

دار خلال الأشهر القليلة الماضية جدال قديم متجدد في الأوساط العربية حول الدولة الدينية والدولة المدنية، وشنت حملة عنيفة ضد الدولة الدينية الإسلامية مخافة قيامها في مصر أو غيرها.. فما الفرق بينهما؟ ولم كل هذا التخويف من الدولة الدينية الإسلامية؟

• أسس الدولة المدنية:

جاءت الدولة المدنية في أوروبا ابتداءً كردة فعل على أوضاع الحكم الملكي والمسانَدة الكنسية لها، حيث انتشر الفساد والفقر والظلم ومصادرة الحقوق والحريات بصورة مفجعة ومقززة، فأدى ذلك كله لقيام ثورات طالبت بعضها بتأسيس دول مدنية قائمة على أمور هي بمثابة أسس لها، وسأذكر أربعة منها، وأرجئ الحديث عن الأساس الخامس للقسم الثاني من الموضوع:

١. سلطة عليا تطبق القانون وتحفظ الحقوق لكل الأطراف، وتجعل كلمة القانون هي العليا على الجميع.

٢. نظام وثقافة مدنية تؤسس لعلاقات تقوم على احترام القانون والسلام والتسامح وقبول الآخر والمساواة فى الحقوق والواجبات، والثقة فى عمليات التعاقد والتبادل المختلفة.

٣. مواطنة سليمة مفهوماً وتطبيقاً، فالفرد لا يُعرّف بمهنته أو بدينه أو بإقليمه أو بماله أو بسلطته، وإنما بكونه عضواً في المجتمع يتساوى من خلال ذلك مع سائر الأعضاء في الحقوق والواجبات، ويشارك بفاعلية في تحسين أحوال المجتمع ويخلص للصالح العام، والملكية العامة، والمبادئ العامة.

٤. ديمقراطية تسعى لتحقيق الاتفاق العام للمجتمع، ووسيلة لتفويض السلطة وانتقالها من خلال تنافس حر يتحقق من خلاله المصلحة العليا للمجتمع.

• كلمة القانون هي العليا:

أكثر العناوين والأسس السابقة حاضرة بقوة في المفاهيم والتشريعات والآداب الإسلامية، وعلى عجالة أذكر نصوصاً في هذا الإطار:

المواطنة السلمية تعني أن الفرد لا يُعرّف بمهنته أو بدينه أو بإقليمه أو بماله أو بسلطته، وإنما بكونه عضواً في المجتمع يتساوى مع سائر أعضائه

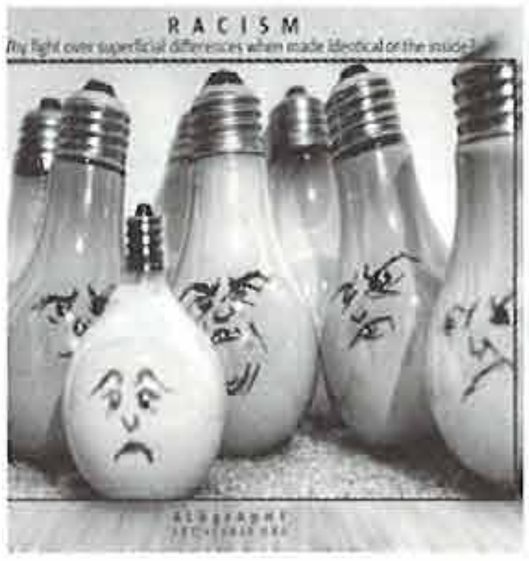



ليس في الإسلام نظام حكم محدد الصيغة لكل مجتمع وزمان، فالمهم هو تحقيق العدالة الاجتماعية وسائر العناوين والأسس والقيم

قال تعالى في بيان الهدف من إرسال الرسل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد:٢٥، أي تحقيق العدالة الاجتماعية في متفرعاتها المختلفة، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ النساء:١٠٥، والآية كما ذكرت في بحث سابق جاءت لتنبه أن كون المتهم البرئ من تهمة السرقة من ملة اليهود لا يجب أن كون سبباً لمساندة المسلم الذي كان هو السارق الحقيقي، فالجميع متساوون أمام القانون ولو كان الخصم من ملة أخرى. والأمثلة التطبيقية في السيرة النبوية وسيرة الإمام علي عليه السلام كثيرة، ومنها قضية الدعوى التي رفعها يهودي على الإمام علي عليه السلام في الكوفة أبان حكمه للدولة الإسلامية التي كانت بمثابة القوة العظمى في ذلك الزمان.. ووقف الإمام كمدعى عليه، ونبّه القاضي أن لا ينادي عليه بالكنية، في الوقت الذي ينادي فيه اليهودي باسمه، كما نبهه إلى ضرورة أن يتساويا في الوقوف والجلوس.. فلا الدين له دخل في ذلك، ولا العناوين التي يحملها أحد الطرفين ولو كان حاكم الدولة.

- السلام والتسامح:

وقد أسس الإسلام لإرساء احترام القانون ونشر السلام والتسامح وثقافتهما وغير ذلك من العناوين الواردة في الأساس الثاني، والنصوص والأمثلة في هذا الباب كثيرة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أواخر حياته وهو يدعو الآخرين ليقتصوا منه إن كان لأحد حق عليه، وحاشاه في ذلك: (لا يقولن أحدكم إني أخاف الشحناء من محمد، ألا وإن الشحناء ليست من شأني، إن أولى الناس بي رجل كان له عندي شئ من ذلك، فحللني أو أخذه، ألا إن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة).

- المواطنة السليمة:

أما المواطنة السليمة فتتمثل في قوله

صلى الله عليه وآله وسلم: (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لا فضل لعربيّهم على عجميّهم، ولا لأبيضهم على أسودهم إلاّ بالتقوى) وهذه المفاضلة بالتقوى إنما هي في ميزان الله لا في المواطنة. وفي خصوص الفاعلية قوله: (خيركم أنفعكم للناس). وقوله: (إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليزرعها).

• نظام الحكم:

ليس في الإسلام نظام حكم محدد الصيغة لكل مجتمع وزمان، كالملكية مثلاً أو الجمهورية أو غيرهما، ولذا نجد الملكية في مثل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ البقرة:٢٤٧، ولا نجدها في عهد النبي، ولا في عهد الخلافة، فالمهم هو تحقيق العدالة الاجتماعية وسائر العناوين والأسس التي ذكرناها. واليوم نجد دولاً مدنية ذات نظام ملكي ولكنها دستورية وديمقراطية. وبالتالي فيبدو أن المسألة في شكلها من المتغيرات، أما الثوابت فهي الأسس والقيم. والمشاركة الشعبية من خلال عنوان الشورى بتطويراتها المعاصرة تفسح المجال للمشاركة الشعبية في اختيار السلطة التشريعية والتنفيذية وغيرهما.

هذا كله لا يعني أن الاتفاق تام بين الرؤيتين، فهناك قضايا تحتاج إلى نقاشات ومعالجات فقهية متجددة على ضوء القراءة المتجددة للنصوص وفق تطور الحياة، فهناك عناوين فقهية كبرى تسمح للتغيير مع تغير الظروف، كما أن نماذج الدولة المدنية في العالم اليوم ليست سواسية، فهناك تجارب عديدة تمارس السلطوية والفساد ونهب الخيرات، كما أنها على المستوى العالمي فشلت في التعامل الصادق والعادل مع كثير من القضايا.

إن الدولة الدينية الإسلامية لا تعني سلطة الفرد، ولا منطق القهر، ولا إلغاء دور المجتمع والمؤسسات في إدارة الأمور، وليست هي دولة الفوضى وسلب الحريات والتخلف ونهب الثروات.. بل هي دولة القانون والعدالة وحقوق الإنسان والحداثة والعمران والتطوير.. فإذا فشلت بعض التجارب، فإن أمثالها من الدولة المدنية قد فشلت داخلياً وخارجياً.. وإذا كانت الصراعات الدينية خلال التاريخ البشري قد قتلت الملايين من البشر، فإن صراعات الدول المدنية في القرن العشرين وحده قد قتل عشرات الملايين.

١١ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ
١٤ مايو ٢٠١١ مـ

دولة دينية أم مدنية

٢ من ٢

يدعي البعض أن مزج الدين بالسياسة يعني الأخذ بالشريعة وبالتالي فإنه يعني أوّلاً تطبيق الحدود، وليس إرساء الحقوق

كان حديثي في الأسبوع الماضي حول الاختلاف بين الدولتين الدينية والمدنية، وعن سبب التخويف من الدولة الدينية الإسلامية. وذكرت أن الدولة المدنية قائمة على أمور هي بمثابة أسس لها وهي: سلطة القانون، وترسيخ السلام والتسامح والمساواة فى الحقوق والواجبات، والمواطنة السليمة، والديمقراطية.

• فصل الدين عن السياسة:

بقيت نقطة وهي الفصل بين الدين والسياسة. فوفق الدولة المدنية يمنع (استغلال) الدين لتحقيق الأهداف السياسية، ولذا لابد من فصل الدين عن السياسة، بحيث يكون لكل فرد حق التعبد بما شاء، على أن لا تكون لهذه المعتقدات أية علاقة بالحياة السياسية العامة.

أقول: إذا كان هذا بمعنى رفض استغلال الدين في السياسة فهو أمر متفق عليه، وقد قال الإمام الحسين عليه السلام منددا بهذا: (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم). أي أنهم يستغلون الدين في المصالح الدنيوية، ومنها السياسية.. وهذا أمر مرفوض.

وإن كان المراد عدم الأخذ بأي تشريع ديني، وتحييد الدين عن الحياة العامة بصورة تامة، فلاشك بأننا ـ كإسلاميين ـ لا نوافق على ذلك، بل إننا نعتبر أن الدولة الإسلامية قائمة على أساس ديني سماوي ينطلق من الإيمان بالله خالق الإنسان الذي أراد له أن يعمّر هذه الأرض ويحقق فيها العدالة الاجتماعية، ويضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.. ولكن لماذا يطرح أنصار الدولة المدنية هذا العنوان؟

• حدود أم حقوق؟

يقول هؤلاء أن مزج الدين بالسياسة يعني الأخذ بالشريعة الإسلامية وبالتالي فإنه يعني أوّلاً تطبيق الحدود، وليس إرساء الحقوق، وأن الحديث عن الحقوق في الإسلام شبه غائب.. فهناك حاكم ذو سلطة متفردة يكتسب شرعية حكمه من





التخويف الدائم من الدولة الدينية الإسلامية لا أساس له ، إلا إذا كان المقصود هو تقديم الدولة الطالبانية كنموذج على ذلك

الله بعنوان الخليفة أو ظل الله، وبالتالي فإن كل ما يفعله مشرعن، وهناك رعية يجب عليها أن ترضخ وترضى بما تناله من ظل الله وخليفته، عادلاً كان أم ظالماً.. أما مسألة الحقوق فشبه غائبة وليست لها الأولوية.. على عكس الدولة المدنية حيث السعي أولاً لإرساء الحقوق، وأما مسألة العقوبات فتأتي كمرحلة متأخرة جداً.

• نموذج إسلامي:

إلا أن هذه الصورة المغلوطة لفكرة الدولة الدينية الإسلامية لا تتوافق مع النصوص التي تؤكد على أن مسألة الحقوق تأتي أولاً، وأن الدولة لا تقوم بهدف القمع وسلب الإرادة والحريات، وهذا ما نجده جلياً في بداية عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، حيث قال له: (هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ في عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبْوَةَ خَرَاجِهَا ـ تأمين الجانب الاقتصادي للدولة ـ وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ـ الجانب الأمني ـ وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا ـ التنمية الاجتماعية ـ وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا ـ التنمية المدنية والعمرانية).

• الحقوق أولاً:

ثم يشرع الإمام في تفسير ذلك كله بقوله: (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ.. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ.. أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ.. وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ..).

ومن الواضح أن كل ما سبق مِن أسس سيبني عليها الإمام عليه السلام سائر خطبته التي هي بمثابة دستور للدولة وفق المنطلق الإسلامي إنما تطرح أسس السلم

الأهلي وطرق التنمية والمشاركة الشعبية وتطبيق القانون والعدالة والتكافل الاجتماعي والحريات العامة وفق القانون.. كلها تدخل في إطار الحديث عن الحقوق لا الحدود.. وهذا مجرد نموذج تردفه نصوص كثيرة.

• تخويف غير مبرر:

ومن هنا فإن هذا التخويف الدائم من الدولة الدينية الإسلامية لا أساس له، إلا إذا كان المقصود هو تقديم الدولة الطالبانية كنموذج على ذلك.. وهل دولة طالبان هي صورة الدولة الدينية الإسلامية على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال لأحدهم وقد وقف أمام النبي في حالة من الرهبة: (هوِّن عليك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة) ودولة الإمام علي عليه السلام الذي قال: (أترى إلى هذه النعل، والله لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً).

إن الدولة الدينية الإسلامية لا تعني سلطة الفرد، ولا منطق القهر، ولا إلغاء دور المجتمع والمؤسسات في إدارة الأمور، وليست هي دولة الفوضى وسلب الحريات والتخلف ونهب الثروات.. بل هي دولة القانون والعدالة وحقوق الإنسان والسلم الأهلي والحداثة والعمران والتطوير والتكافل.. فإذا فشلت بعض التجارب، فإن أمثالها من الدولة المدنية قد فشلت داخلياً وخارجياً.. وإذا كانت الصراعات الدينية عبر التاريخ قد قتلت الملايين من البشر، فإن صراعات الدول المدنية في القرن العشرين وحده قد قتلت عشرات الملايين. وإذا كانت بعض المجتمعات المدنية قد نجحت داخليا في إرساء القانون والعدل والسلم وحقوق الإنسان، فإنها فشلت كل الفشل في تحقيق ذلك حين تعاملها مع سائر المجتمعات التي تعتبرها رقعة الشطرنج التي تتلاعب بأحجارها كيفما شاءت لتحقيق مصالحها الخاصة وهي تطأ بأحذيتها العسكرية على مبادئ العدل والمساواة وحقوق الإنسان.

إنّ الدّين الّذي يجعل الإنسان يتحمّل المسؤوليّة أمام الله، هو الدّين الّذي يدفع به ليعيش الحياة بكامل أبعادها، ويمارس السّياسة من موقع مسؤوليّته أمام الله في إقامة العدل وفي إسقاط الظّلم.



١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ
٢١ مايو ٢٠١١ مـ

خلود أم دخول ؟

هل يتوافق العدل الإلهي مع تخليد العصاة في النار ؟ وهل يكفي أن نقول بأن هؤلاء العصاة لو أعيدت لهم الكرة لعادوا إلى المعصية ؟

هل يتوافق العدل الإلهي مع تخليد العصاة في النار؟ إشكال قديم يطرح بصورة متكررة.. فمهما حسبنا عدد هذه المعاصي والمدة الزمنية التي عاشها الإنسان في هذه الحياة فلن نجد أن الخلود جزاء متناسب معها؟

• لو أعيدوا فيها:

والجواب الذي عادة ما يتكرر في البين هو أن هؤلاء العصاة لو أعيدت لهم الكرة في الدنيا لعادوا إلى المعصية من جديد، وهذا بحد ذاته كاف لكي يستحقوا من خلاله الخلود في نار جهنم. ولكن هذا الجواب لا يقنع الكثيرين، لاسيما بلحاظ أن الله تعالى لا يحاسب على النوايا السيئة، فكيف يعاقب على نوايا وأفعال لم تصدر؟ ولذا سأحاول البحث عن الإجابة من خلال إعادة قراءة الآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع، وتصنيف المعاقبين بالخلود وفق ذلك. مع التأكيد على أن عدم الخلود لا يهوّن من العذاب نفسه، ولا يسوّغ ارتكاب المعصية، فمن ذا الذي يتحمل دقائقٍ معدودة من الاحتراق في نار الدنيا، فضلاً عن نار الآخرة؟

١. الكفر المساوق للتكذيب بالآيات: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة:٣٩. والآيات هي الحجج والأدلة الواضحة البينة من قبيل المعاجز. فليس الكفر لوحده من موجبات الخلود. وإن كان الكافر معاقباً على كفره.. ولكن الخلود أمر آخر.

٢. التمادي في إضلال الناس: عن عمد، بالافتراء على الله مع الإصرار على ذلك، قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ، وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾





التدقيق في الآيات يبين أن المسألة ليست مجرد عصيان بل تعدّي للحدود، وكأنه إنسان يتجاوز كل القيم والمبادئ والعقيدة والتشريعات

البقرة:٧٩-٨١. فاكتساب السيئات بهذا المستوى الذي يجعل المجرم محاطاً بالخطيئة مقطوع الطريق عن الخير، فيستحق الخلود.

٣. ارتكاب بعض الجرائم: تكون من البشاعة والآثار السيئة بمستوى يستحق معها المجرم العذاب الأبدي، لاسيما بلحاظ أن الله سبحانه يريد لها أن تختفي من المجتمع نهائياً حرصاً على المجتمعات البشرية من الفساد والحروب والدمار، ومنها:

أ. العودة لأكل الربا بعد التوبة: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة:٢٧٥. ويذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان أن الله شدد في أمر الربا وفي تولي أعداء الدين بما لم يشدد بمثله في شئ من فروع الدين.. بل حتى الزنا وشرب الخمر والقمار والظلم كلها أقل شدة من الربا وتولي أعداء الدين، وذلك لآثار الربا التخريبية وما يسببه من فتن تصل إلى حد الحروب وتدمير الحياة البشرية والإفساد في الأرض على نطاق واسع.. ولكن ينبغي ملاحظة أن الآية لم تتحدث عن الخلود في مقابل المراباة، بل: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وفيه قال العلامة: (المراد به العود الذي يجامع عدم الانتهاء، و يلازم ذلك الإصرار على الذنب و عدم القبول للحكم و هذا هو الكفر أو الردة باطناً و لو لم يتلفظ في لسانه بما يدل على ذلك).

ب. نهب الإرث وأكل مال اليتيم: فبعد أن تحدثت الآيات القرآنية عن النهي عن أكل مال اليتيم وضرورة الالتزام بأحكام الإرث قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ النساء:١٤، والمسألة

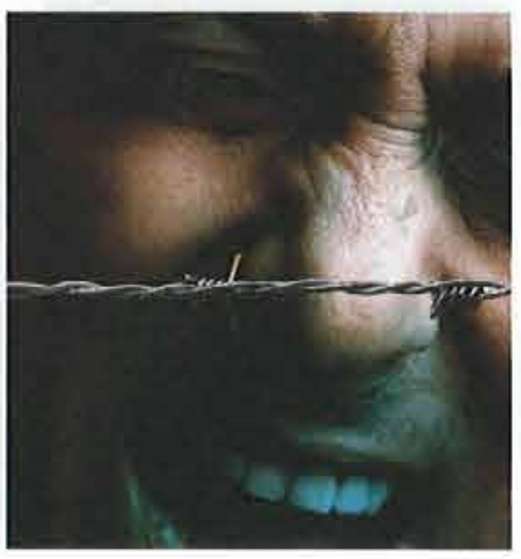

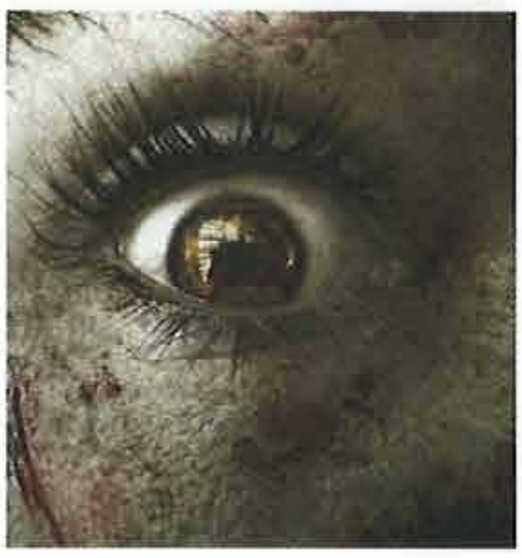

ذكر بعض المفسرين أن الخلود في النار قد يكون من باب الاستحقاق لا من باب الفعلية، فقد يعفو الله عنهم بعد قضاء مدة في العذاب

ليست مجرد عصيان بل تعدّي للحدود، وكأنه إنسان يتجاوز كل القيم والمبادئ والعقيدة والتشريعات من خلال نهب أموال اليتامى، والتلاعب في الإرث وغير ذلك.

ج. قتل المؤمن عمداً ظلماً: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) النساء:٩٣. وعظم هذه الجريمة أمر لا يخفى، وهي تهدد الأمن السلمي في المجتمعات.. وقد قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة:٣٢.

• استحقاق أم فعلية:

هذا، وقد ذكر بعض المفسرين أن هذا الخلود في النار قد يكون من باب الاستحقاق، لا من باب الفعلية، فقد يعفو الله عنهم بعد قضاء مدة في العذاب، ولربما يستشهدون بقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ هود:١٠٦-١٠٧، مما قد يعطي انطباعاً عند البعض أن الخلود الأبدي هو أمر نسبي مرتبط بطبيعة السماوات والأرض التي لا تقبل الدوام حتى بعد تبدلها يوم القيامة.. هذا علاوة على الاستثناء الوارد في الآية والتي قد توحي أن الله قد يعفو عن الخلود في النار لأنه فعّال لما يريد وكل شيء بيده.

• قراءات خاطئة:

قد يعمد البعض لاقتطاع عبارة من آية قرآنية، فيربط بين المعصية المذكورة فيها وبين الخلود في النار، مع إهمال سائر العناوين التي ذكرتها الآية، الأمر الذي تترتب عليه حالة من التشويش في المفاهيم، وتعطي بالتالي مدلولاً غير دقيق في خصوص الخلود في النار. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فيؤتى بها كشاهد على أن المتكبر خالد





من أسباب تشوش الصورة أن البعض يعمد لاقتطاع عبارة من آية ويهمل العناوين التي ذكرتها والتي تكمل صورة الجريمة

في النار، الأمر الذي يصعب قبوله من منظور العدل الإلهي. ولكن لو نعود إلى الآية ونقرأها كاملة ستتضح صورة أخرى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ النحل:٢٧-٢٩، فالكلام عن المشركين المستكبرين المحاربين المعاندين.

وهكذا يستشهد البعض على أن عقوبة الزاني هي الخلود في النار بقوله تعالى بعد ذكر الزنا: ﴿وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ الأمر الذي يثير التساؤل عن مدى تناسب هذه المعصية الكبيرة مع الخلود في النار.. ولكن بقراءة الآية كاملة تتضح صورة أخرى، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ الفرقان:٦٨-٦٩.



٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ
٢٨ مايو ٢٠١١ مـ

صراع الانتماء

إن الله يريد إغناء التجربة الإنسانية بالتعارف والتواصل والتجربة المتنوعة بهدف الوصول إلى التكامل الإنساني

لماذا نحوّل انتماءاتنا ـ ولا أخص طائفة بعينها ـ إلى مبررات للصراع؟ وبأي دليل نشرعن هذه الصراعات؟ ولماذا يخيّل إلينا أننا كلّما تعصبنا أكثر كلما كنا متدينين أكثر؟ هل التعصب لما ننتمي إليه هو جزء من تعاليمه أم هو خلل في الفهم.. أم خلل في التربية.. أم خلل في الشخصية؟

• الانتماء الشعبي والقبلي:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الحجرات:١٣، وهذا نوع انتماء.. قد يتعصب له الإنسان، ولكن الله لا يريد لنا أن نتعصب من خلال ذلك، بل يريد لنا أن نعيش التعارف مع الآخر.. فهل يمكن للإنسان تحقيق الإرادة الإلهية هنا ـ أي التعارف ـ مع ترسخ حالة التعصب؟ وهل يكون الولاء لله بالتعصب أم بالتعارف؟ إن الله سبحانه يريد إغناء التجربة الإنسانية بالتعارف والتواصل والتجربة المتنوعة بهدف الوصول إلى التكامل الإنساني، فهل سيتحقق ذلك من خلال التعصب أم من خلال نبذه؟ ومن الواضح أن النداء بـ (الناس) لا يخص المؤمنين فقط ممن يعيشون وحدة الانتماء كي يقال أن هذا التعارف محدود بدائرتهم فقط، بل هو لكل الناس.

• البر بالكافر غير الحربي:

بل الصورة أوضح من ذلك في الآية التالية: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة:٨، والبر بأن نقدم إليهم الخير بكل مجالاته على مستوى القضايا المادية والمعنوية.. فإذا كان التعصب غير مطلوب مع من هو كافر لم يدخل حالة الحرب معنا، فكيف بمن هو مسلم؟

• وصية الإمام الحادي عشر:

وفي وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى مَنِ ائتمنكم من بَرٍّ أو فاجر،

وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم. صلّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسَّن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك، اتقوا الله وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرُّوا إلينا كل مودّة وادفعوا عنا كل قبيح).

وقد جاءت هذه الوصايا في أجواء التحدي والتعصب المفرط الذي كان يعايشه الإمام، إلا أن هذا لم يثنه عن التأكيد على ضرورة التمسك بأصول التعامل الإنساني المبادئ الأخلاقية الإسلامية. ولم يكن ذلك منه تقيةً اتقاء شر من يكنّ لأنصاره العداء ويتربص بهم الدوائر.. لأنه علل السبب تارة بقوله (فبهذا جاء محمد) بمعنى أن هذا من أسس تعاليمه، وتارة بقوله (قيل: هذا شيعي فيسرّني ذلك) للتأكيد على أن هذا من صلب منهج أهل البيت، وثالثة بقوله: (جرُّوا إلينا كل مودّة وادفعوا عنا كل قبيح) لا على المستوى الشخصي، بل بما يمثلونه من الإمامة والمنهج. فهل يتحقق هذا كله مع التعصب؟

• تداعيات أحداث المجلس:

إن القلق من مظاهر وسلوكيات التعصب لم يعد مقتصراً على شريحة الشباب، بل يشمل مَن يُفترض فيهم أنهم يمثلون القدوة لقواعدهم الشعبية ـ ولا أخص هذا الطرف أو ذاك ـ وإنما أتحدث من موقع المسؤولية العامة كمسلم وكمواطن.. عندما يكون الإنسان في موقع القدوة فإن سلوكه وأقواله ستنعكس على المعجبين به والمتعصبين له ولما يمثله من توجّه. ولذا يفترض في كل مَن يضع نفسه في هكذا موقع أن يكون حساساً في تقييم ما يصدر عنه من قول أو فعل، لأن تبعاته لا تخصه وحده.

من جهة أخرى فإن ما جرى في بيت الأمة ـ للأسف ـ هو بمثابة شرارة قابلة لأن تخلق بؤر صراعات لاحقة ولأتفه الأسباب، لما خلقه من شحن في النفوس، يضاف إلى الرصيد السابق للشحن المتنامي من خلال السلوكيات اللامسؤولة من هذا الطرف أو ذاك، وتأثراً بما تعيشه الساحة العربية من حالة اللاإستقرار والشحن المذهبي.

• تغليب صوت العقل:

قد يعجبني وينسجم مع عاطفتي كلام من يدافع عن هذا المذهب أو ذاك، أو عن رموز هذا المذهب أو ذلك.. ولكن هل نحن بحاجة إلى مثل هذا الخطاب في مثل هذا الوقت؟ أم نحتاج إلى تغليب صوت العقل، وتجاهل الأصوات التي ترتفع وترتفع حتى إذا لم تجد من يستجيب لها





يفترض في كل مَن يضع نفسه في موقع القدوة أن يكون حساساً في تقييم ما يصدر عنه، لأن تبعاته لا تخصه وحده

اختفت وتلاشت؟ لقد ماتت فتنة (مركز وذكّر) في العام الماضي في أجواء التحدي الذي أثاره، وذلك بالتجاهل الذي لاقاه حينئذ، وتغليب صوت العقل على العاطفة، فماتت الفتنة في مهدها.. فهل كان الموقف الأنسب الانجرار إلى ساحة الصراع؟

إن الساحة تعيش حالة من تأصيل التعصب المذهبي بشكل متنام، ولما يدور حولنا من أحداث في البحرين وسوريا وانفعالات الساحة العربية عموماً أثر كبير في ذلك، وهذا يستدعي منا جهداً مضاعفاً في هذه الفترة الحرجة، ومسؤوليتنا جميعاً أن نتعامل بمسؤولية دينية ووطنية، لا بالعاطفة والانجرار وراء نداءات المتعصبين.

• نداء مكرر:

وسبق أن وجّهت ندائي إلى وزارة الأوقاف وإلى وزارة التربية والتعليم العالي وإلى الإعلام بضرورة التحرك التربوي والإعلامي المدروس من أجل الترسيخ الحقيقي للمواطنة، ونبذ التعصب، من خلال مشاريع مشتركة على مستوى القنوات الفضائية والمدارس والكليات والساحات العامة.. وأكرر هذا النداء مجدداً لعل في البين من يتحمل هذه المسؤولية. ثم إن مسؤولية مَن هم وراء الخطاب السياسي والديني والخطاب الإعلامي إدراك خطورة التلاعب بنيران التعصب.

نحن في هذا البلد مواطنون، لكلٍّ منا موقع في بلده، ولد فيه وعاش ولا بد أن يعيش مع الآخر، فالأرض تنتج للجميع والينابيع تسقي الجميع.. وهكذا في الحياة، فلماذا لا نعيش هذه الحالة ونشعر بأننا نرتبط ببعضنا ارتباطا عضويا؟ لماذا يحاول كل واحد منا أن يقيس وطنه على عصبيته، ليسقط في نهاية المطاف هذا الوطن؟

٢ رجب ١٤٣٢ هـ
٤ يونيو ٢٠١١ مـ

المعجزة والكرامة

لابد من التفريق بين المعجزة بالمعنى الاصطلاحي، وبين ما هو دارج على ألسنة البعض من حصول (معجزة) بشفاء فلان بواسطة النذر أو بالدعاء

لاشك بأن على كل مسلم أن يؤمن بوجود المعجزة، فالقرآن الكريم حدّثنا عن معاجز الأنبياء عليهم السلام بصورة لا تقبل الترديد أو التأويل، ولكن هل الأصل بالنسبة إلى تصرفات الأنبياء عليهم السلام هو خرق قوانين الطبيعة والإتيان بالمعاجز، بحيث يكون انتظام الأمور وفق القوانين والسنن الكونية هو المخالف لها؟ وما أثر الخلل في تفسير ذلك على الإنسان؟ وهل هناك فرق بين المعجزة والكرامة؟

كي نصل إلى الإجابة على هذه التساؤلات علينا أن ندقق ـ أولاً ـ في مفهوم المعجزة، ثم في الغرض من حدوث المعجزة وحدود ذلك.

• تعريف المعجزة:

عرّف العلامة الشيخ جعفر السبحاني في كتابه (محاضرات في الإلهيات) المعجزة بأنها: (أمر خارق للعادة، مع دعوى النبوة، ومقرون بالتحدي، مع عدم المعارضة). وأضاف مفسّراً: (ثم إن الإتيان بما هو خارق للعادة لا يسمى معجزة إلا إذا كان مقترناً بدعوى النبوة، وإذا تجرد عنها وصدر من بعض أولياء الله تعالى يسمى [كرامة] وذلك كحضور الرزق لمريم عليها السلام بلا سعي طبيعي).

• إحضار عرش بلقيس:

وأضيف ـ بدوري ـ مثالا آخر على ما كان خرقاً للعادة دون أن يكون من المعاجز وفق التعريف السابق، وذلك في مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿قالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ النمل:٤٠. فهذا الأمر الذي صدر منه بإحضار عرش بلقيس من سبأ إلى القدس في أقل من لحظة، يحتمل احتمالين:

١. أن يكون توظيفاً للقوانين العلمية التي كان يعرفها ذلك المتحدث، لاسيما بلحاظ قوله تعالى (قالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ) وهو ما لربما يعني أنه كان يمتلك من المعرفة في القوانين العلمية ما أمكنه من توظيفها لتحقيق المطلوب، على تقدير





المتمعن في القرآن يدرك أن خرق القوانين بالمعاجز ليس هو الأصل في سلوك الأنبياء، ولا تتحقق إلا في ظروف خاصة وشروط معينة

أن (علم الكتاب) هنا هو العلم بـ (كتاب التكوين) أي (القوانين الإلهية المودعة في الطبيعة). وبهذا التفسير لن يدخل الحدث في ضمن المعجزة أو الكرامة، إلا على قول بعض العلماء الذين يفسرون المعجزة بأنها توظيف للقوانين الطبيعية بصورة يعجز عنها سائر الناس.

٢. أن يكون خرقاً للقوانين الطبيعية، ولكنه لما لم يكن مقروناً بدعوى النبوة، فلن ندخله في إطار المعجزة، ويمكن أن نسمي ذلك العمل (كرامة) على سبيل المثال.

وبالتالي فلابد من التفريق بين المعجزة بالمعنى العلمي الاصطلاحي، وبين ما هو دارج على ألسنة البعض من حصول (معجزة) بشفاء فلان بواسطة النذر أو بالدعاء وما إلى ذلك.. لابد من أن نكون دقيقين في مصطلحاتنا كي لا تختلط المفاهيم والحقائق ببعضها البعض فتحدث عندنا ربكة على مستوى المفاهيم وعلى مستوى الأفعال.

• معاجز الأنبياء:

والمتمعن في القرآن الكريم يدرك أن خرق القوانين بالمعاجز ليس هو الأصل في سلوك الأنبياء، ولذا قرر المحققون أن المعجزة لا تأتي ابتداءً من عند الله أو استجابةً لطلب أحد إلا في ظروف خاصة وشروط معينة، ولابد من وجود مبررات قوية لذلك. ثم إن المعجزة ليست ملازمةً للنبوّة، فقد بعث الله عدداً من الأنبياء دون أن يسددهم بالمعجزة، ولعلنا نجد مثال ذلك في قوله تعالى على لسان قوم النبي هود عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هود:٥٣، وأحياناً كان الأنبياء إذا ما طلب النّاس منهم معجزةً، لا يستجيب الله لطلبهم، بل يأتي الجواب: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ الإسراء:٩٣. وهذه نقطة مهمَّة، وهي أنّ الإسلام يعلّمنا أنّ الحياة لا بدّ من أن تسير وفق منطق السّنن، منطق العلّة والمعلوليّة.

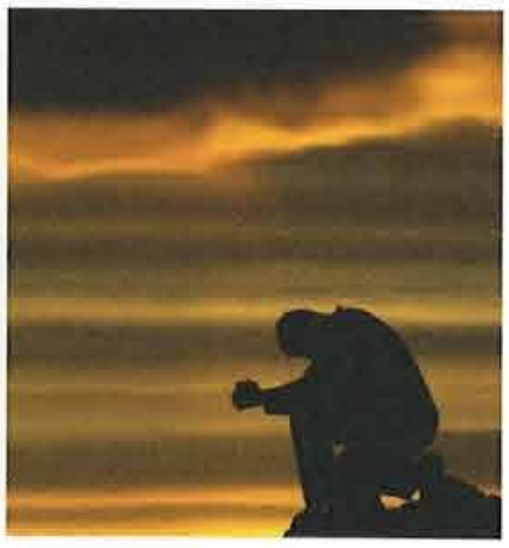



لا يريد الله للناس أن يكون إيمانهم وهدايتهم من خلال ما هو خارق للعادة ، بل من خلال القناعة القائمة على الدليل الفطري أو العقلي

• إيمان العقل والفطرة:

لذلك، لم تكن الرسالات السماوية تعتمد في دعوة الناس إلى الإيمان على المعاجز، بل كانت تعتمد على الاقتناع بالدليل الفطري أو العقلي، لتكون لفطرتهم السليمة وعقولهم الفاعلة الدور المهم في حركتهم في الحياة.

ولعل إلى ذلك أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام حين قال: (وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّات وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَار، جَمَّ الْأَشْجَارِ، دَانِيَ الثمارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّة سَمْرَاءَ، وَرَوْضَة خَضْرَاءَ، وَأَرْيَاف مُحْدِقَة، وَعِرَاص مُغْدِقَة، وَزُرُوع نَاضِرَة، وَطُرُق عَامِرَة، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمُرُّدَة خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَة حَمْرَاءَ، وَنُور وَضِيَاء، لَخَفَّفَ ذلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ الْنَّاسِ. وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَلْوَانِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلْ ذلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ).

فيمكن أن نستفيد ـ ضمنيا ـ من هذه الفقرة من الخطبة القاصعة أن الله سبحانه لا يريد للناس أن يكون إيمانهم وهدايتهم من خلال ما هو خارق للعادة، بل من خلال القناعة القائمة على الدليل الفطري أو العقلي، بعد أن التخلّي عن الكبرياء الزائفة التي تدفعهم للعناد، فالتكبر والعناد كلاهما من حجب العقل والفطرة.

• خلود معجزة القرآن:

ولو تمعنا قليلاً في المعاجز سنجد أنها مؤقتة، إلا القرآن الكريم، فهو المعجزة الخالدة، ولعل ذلك يعود ـ في جانب منه ـ إلى أن تطور الحياة قائم من خلال العلم التجريبي أو التأملي الذي ينتجه العقل،

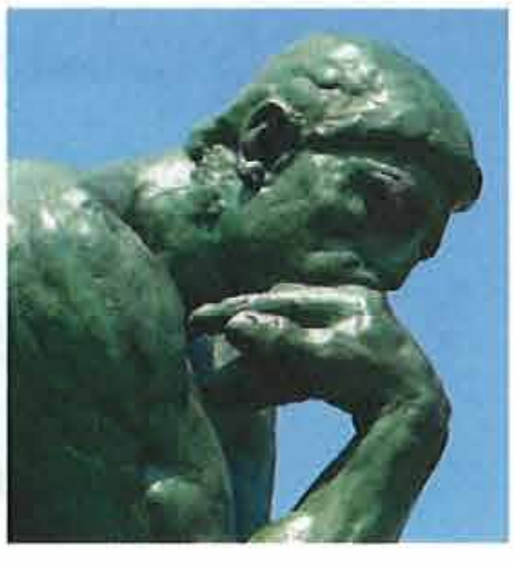

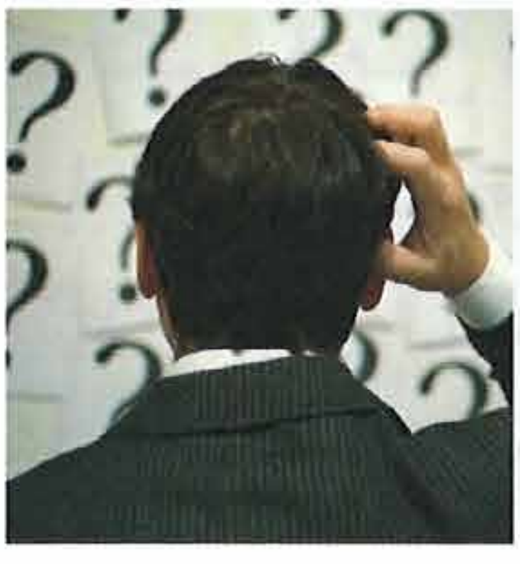

خطابنا الديني غير الدقيق أدى إلى خلق عقلية يسهل عليها قبول أية قصة أو أي نص يتضمن ما يُدّعى أنه معجزة أو كرامة

والقرآن يعيد للعقل موقعه في حياة الإنسان، لذا فهناك تناغم بين الإثنين، بين طبيعة تطور الحياة، وبين ما يؤسس له القرآن، فهو معجزة متناغمة مع العقل، بل ومعجزة ترسخ دور العقل والعلم عند الإنسان المسلم.

• العقلية المعاجزية:

إن خطابنا الديني غير الدقيق ـ أحياناً ـ في استعمال المصطلحات وخلط المفاهيم وعدم التدقيق في النصوص أدى إلى خلق عقلية يسهل عليها قبول أية قصة أو أي نص يتضمن ما يُدّعى أنه معجزة أو كرامة. على الرغم من أن ذلك خلاف الأصل في الحياة، وإلى هذا أشار المحقق الشيخ محمد هادي الغروي حيث قال: (إن المعجزة فارقة للنظام الطبيعي، فإذا أردت أن تثبت شيئاً مختلفاً مع النظام الطبيعي فمن المنطقي أن تكون خطواتك هذه أكثر صعوبةً وعسراً ممّا أردت أثبات شيء غير خارق منسجم مع الطبيعة. إذاً المعجز لا يثبت إلا بدليل قطعي أو مقارب للقطعي، أي المتواترات أو ما يمكن الاعتماد عليه من النصوص المستفيضة. وهذا معناه أنه لا يمكن اعتماد في مثل المعاجز على أخبار الآحاد). هذا التساهل يؤدي إلى تشويش في المفاهيم وبالتالي يؤدي إلى التأثير على سلوكيات الإنسان.

وليس توجه البعض ـ عند المرض مثلا ـ إلى بعض الدجالين ممن يبيعون الوهم إلا من نتائج ذلك.

• الخلاصة:

١. نحن نؤمن بالمعاجز بالمعنى الاصطلاحي، ونعتبرها حالة استثنائية في دورة الحياة وفي تصرفات الأنبياء.

٢. الرسالات السماوية تعتمد في دعوة الناس إلى الإيمان على الاقتناع بالدليل الفطري أو العقلي.

٣. المعجزة خلاف الأصل، وما هو كذلك فإنه سيحتاج إلى دليل قطعي أو مقارب له.

٤. التساهل في قبول أخبار المعاجز والكرامات يؤدي إلى خلق عقلية تختلط فيها المفاهيم، وتؤثر سلباً على السلوك.

٩ رجب ١٤٣٢ هـ
١١ يونيو ٢٠١١ مـ

مكر الله

قد تكون لبعض الكلمات دلالات سلبية في أذهاننا واستعمالاتنا، إلا أنها في دلالتها اللغوية الصحيحة لا تحمل مثل هذا المعنى السلبي

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ النحل:٢٦-٢٧. قد تكون لبعض الكلمات دلالات سلبية في أذهاننا واستعمالاتنا، إلا أنها في دلالتها اللغوية الصحيحة لا تحمل مثل هذا المعنى السلبي، ومثال ذلك كلمة (هلك)، قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ النساء:١٧٦، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ غافر:٣٤. ففي لسان العرب: (هلك: مات)، بينما نجد أن هذه الكلمة لا تستعمل اليوم إلا في دلالة سلبية.

ولذا عندما نريد أن نفهم معنى (المكر) كما في: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آل عمران:٥٤، فلابد من العودة إلى المعنى اللغوي عند العرب لهذه الكلمة لنرى هل تحمل دلالة سلبية أم لا.. قال الراغب في المفردات: (المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، و ذلك ضربان: ضرب محمود وذلك أن يتحرى به فعل جميل، وعلى ذلك قال: وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، و مذموم و هو أن يتحرى به فعل قبيح، قال: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾).

• مكر الظالمين:

وعلى طول صراع الحق والباطل كان هناك مكر وتدبير بخفاء من قبل أنصار الباطل، فهذا مكر واجهه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأنصاره، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آل عمران:٥٢-٥٤. ومن قبله نوح عليه السلام يقول: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ

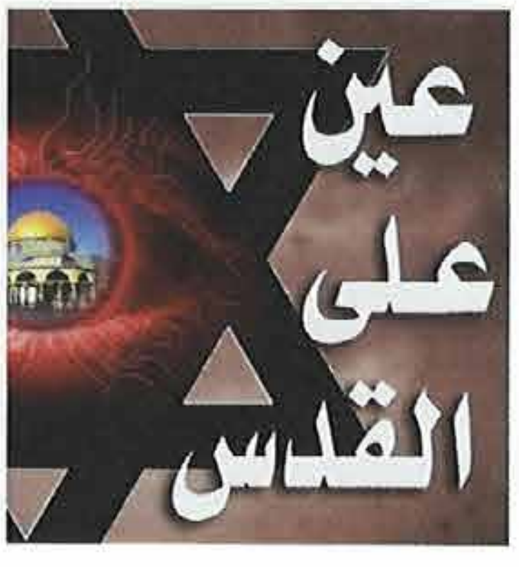



مكر الصهاينة بكل خبثهم وتحالفاتهم من أجل أن يحققوا حلم إسرائيل الكبرى، إلا أنه اصطدم بواقع المؤمنين الثابتين المضحين

وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا، وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ نوح:٢١-٢٢. ولم يكن مكرهم عادياً بل كان (كُبَّارًا)، وهو صيغة مبالغة للدلالة على عظم ما خططوا له.

• مكر عظيم:

وهناك حقيقة لابد أن نعيها، وهي أنه مهما كان مكر الظالمين كبيراً، فإنه قابل لأن يكون هباءً منثوراً، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إبراهيم:٤٦. فالله لا يغيب عنه شيءٌ مما يخفيه الناس من مؤامراتهم وخططهم الخبيثة، وذلك هو ضمان حماية المسيرة الإيمانية ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بما يمثله من ضخامةٍ ودهاءٍ.

إن غفلة هؤلاء الظالمين عن حقيقة أن ﴿عِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ فالله محيط بكل شئ، وأن كل الأمور بيده، جعلتهم يتمادون في التخطيط والمكر، ولكن الله لهم بالمرصاد متى ما صدق عباده في إيمانهم وصبرهم وثباتهم ومقارعتهم للباطل وأنصاره، فهذا المكر الإنساني الظالم وإن ألحق الأذى بالمؤمنين لكنه سيزول ولا يدوم، ولن يستقر إلا في أهله ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ فاطر:٤٣. هذه هي الحقيقة القرآنية.

وقد مكر المستكبرون من قريش بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبصحبه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ الأنفال:٣٠ فكانت النتيجة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ النصر:١-٣.

• المكر الصهيوني:

وهكذا مكَر الصهاينة بكل ما أوتوا من خبث وتحالف مع العالم المستكبر من أجل أن يحققوا حلم إسرائيل الممتدة ما بين الفرات والنيل، فكان احتلالهم لمساحات شاسعة من أرض لبنان في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، إلا أنه



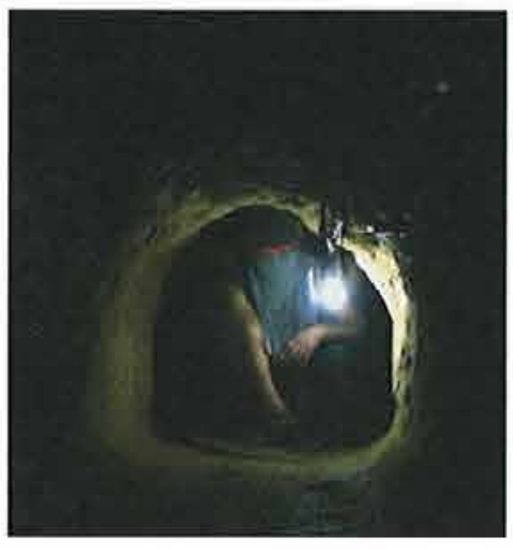

انهارت دولة الظلم ، وقال الشعب المصري كلمته .. وغاب الإعلام العربي عن الوعي من جديد إلا في القضايا التي ترسّخ الهزيمة النفسية

اصطدم بواقع المؤمنين الذين ثبتوا وقدّموا التضحيات، فأخزى الله سبحانه المعتدين و ﴿أَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾.

ولكن مرّت ذكرى ٢٥ مايو وانتصار المقاومة اللبنانية البطلة التي اضطرت الصهاينة للهروب أذلاء صاغرين ولم تنل سوى الإهمال أو تغطية إعلامية خجولة لأول انتصار حقيقي للعرب وللمسلمين على الكيان الصهيوني.

• فتح معبر رفح:

وهكذا يتعامل الإعلام العربي بكل إهمال مع حدث آخر له دلالاته الإنسانية والسياسية والأمنية والاستراتيجية المهمة، ألا وهو انهيار المكر الصهيوني والاستكباري في حصار غزة من خلال إعادة فتح معبر رفح بصورة كاملة، ومن خلال انهيار مشروع الجدار الفولاذي الذي كلّف الخزانة المصرية ١٢ مليار جنيه ـ وباعتراف الخارجية المصرية آنذاك والتي نفت أن يكون التمويل أمريكياً، الأموال التي كان شعب مصر أولى بها وهو يعاني اقتصادياً ـ كل ذلك بادّعاء حماية الأمن المصري، وهو في واقعه لم يكن سوى حماية لأمن الكيان الصهيوني.. لقد مكروا في تحالفاتهم ومشاريعهم، و لكن مرة أخرى ﴿أَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ). وإن شاء الله يأتيهم ﴿الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾.

• معادلات جديدة:

كل هذا حدث بصورة لم تكن متوقعة أبداً ولم تكن في حسبان أي بشر.. لقد تغيّرت الكثير من المعادلات، ودخل الوضع السياسي والأمني في معادلات مختلفة تماماً.. فأي مكر بشري يمكن له أن يثبت في مقابل المكر الإلهي.. ولكن المعادلة دائماً بحاجة إلى أن يتحرك الإنسان أولاً في مواجهة مكر الظالمين والمستكبرين.

انهارت دولة الظلم، وقال الشعب المصري كلمته.. وغاب الإعلام العربي





استرحنا للتخلف المثقف والتخلف المتدين حين عزل المثقف والمتدين العربي نفسه عن الواقع الذي يحيط به وحين فتحنا كل ملفات الماضي

عن الوعي من جديد إلا في القضايا التي ترسّخ الهزيمة النفسية في تهويل قوة الاستكبار ومكره، وترسيخ حالة التدمير الذاتي لمواقع القوة في واقعنا الإسلامي والعربي، لنعطي المجال للاستكبار العالمي مرة أخرى ليربح معركة المكر السئ الذي يتحرّك فيه.. لا من جهة أن مكرَه لا يقاوم، ولكن لأننا استرحنا لمكره، واسترحنا للتخلف المثقف والتخلف المتدين حين عزل المثقف العربي والمتدين العربي نفسه عن الواقع الذي يحيط به، والمستقبل الذي يخططه الآخرون لهم، وفتحنا كل ملفات الماضي لا لنأخذ منها العبر، بل لنستغرق في تدمير أنفسنا بأنفسنا، ولنمكر ببعضنا البعض.. ولكن الأمل باق في الثلة المؤمنة الصابرة المجاهدة الواعية أينما كانت لكي تحقق المعادلة الإلهية ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ولكي ﴿يَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.



١٦ رجب ١٤٣٢ هـ
١٨ يونيو ٢٠١١ مـ

علي والحق

كان علي (ع) دائماً على مفرق الطريق بين الحق والباطلِ لينقذ من أراد النجاة ، وليعيد أيضاً الحق إلى صاحبه متى ما أخذ منه بالقوة

يمثّل الحقُّ بالنسبة إلى الإمام عليّ عليه السلام هدفاً من أسمى الأهداف التي سعى لتحقيقها ما أمكنه ذلك، فكان شديداً في ذلك، لا يداهن، ولا يتنازل، لأن مسألة الحق عنده هي مسألة الحياة، فإذا سلبت الحق من أحد فكأنما حياته تسلب.

وهذا ما ترعرع عليه الإمام في أوج صراع الحق مع الباطل وقهر المستكبرين للمستعضفين في مكة المكرمة، فكانت أمنية المشركين أن يتنازل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو عن شئ بسيط مما كان يدعو إليه، كما قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ القلم:٩، إلا أن رسول الله صمد، ولم يتنازل، وقاوم ولم يمالئهم حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً.. وهكذا عرف علي عليه السلام موقع الحق في الحياة وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ الحجر:٥٨.. وهذا ما شخّصه النبي الأكرم في ربيبه علي فقال فيه: (عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، يدور معه حيثما دار).

• الهداية للحق:

وقد تحدث أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيان هذه العلاقة اللصيقة بينه وبين الحق، فقال: (بنا ـ أي بمحمد وآله ـ اهتديتم في الظلماء، وتسنّمتم العليلء، وبنا انفجرتم عن السرار ـ كنتم في الظلمات فصرتم إلى ضياء ساطع ـ .. أقمت لكم على سَنَن الحق في جواد المَضَلّة ـ فالحياة كالأرض المليئة بطرق الضلال، وللحق من بينها طريق واحد، وقف عليه علي عليه السلام ـ حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون ولا تميهون ـ لا تجدون ملءً ـ.. غرب ـ غاب ـ رأي امرئ تخلف عني، ما شككت في الحق مذ أريته.. اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل).

وهكذا كان علي عليه السلام دائماً على مفرق الطريق بين الحق والباطل لينقذ من أراد النجاة، وليعيد أيضاً الحق إلى صاحبه متى ما أخذ منه بالقوة والاستكبار وهو القائل: (الذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقَّ له، والقويّ عندي

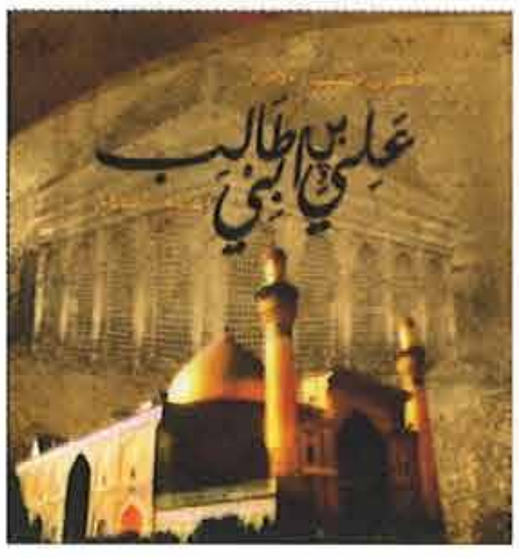

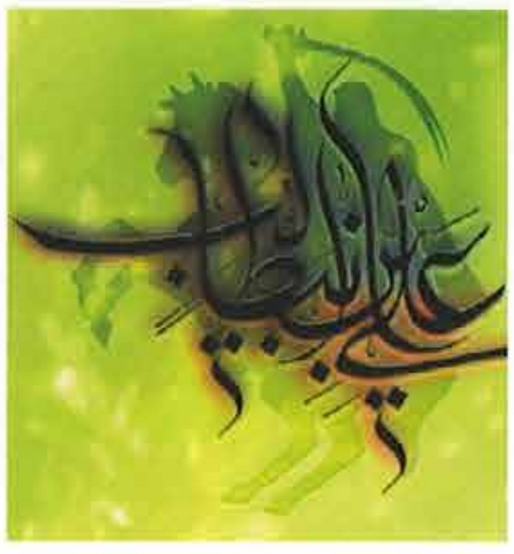

لابد من التبصّر في المواقف وردود الأفعال عند الاختلاف ، فالمشكلة أحياناً أننا نشخصن خلافاتنا العامة ذات البعد الديني أو المذهبي

ضعيف حتّى آخذ الحقَّ منه). وقال عليه السلام: (فلأنقبنّ الباطل حتى يَخرجَ الحقُّ من جنبه).

• طلب الحق فأخطأه:

وقال عليه السلام: (لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه)، فهو يطالب بالتبصّر في المواقف وردود الأفعال عند الاختلاف، فليس الموقف واحداً مع كل أحد، بل الدوافع تمثّل إحدى المقوّمات التي تحدد طبيعة الموقف ورد الفعل..

ولكن المشكلة أحياناً كثيرة هي أننا نشخصن خلافاتنا العامة ذات البعد الديني أو المذهبي أو السياسي وأمثالها..

وشخصنة هذه الخلافات ستجرّنا إلى اتخاذ المواقف الخاطئة وردات الفعل العنيفة، لأن الإنسان بطبعه يحب ذاته أكثر مما يحب أي شئ آخر، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ عبس:٣٣-٣٧..

هذه هي الصورة الحقيقية لمشاعر الإنسان.. فنفسه تأتي في المرتبة الأولى، وبالتالي إذا شخصن الإنسان خلافاته في القضايا العامة فإنه سيتطرف في مواقفه، ويحيد عن الحق، لأنه يريد أن ينتقم لنفسه وكبريائه، أو يريد أن يثبت أنه الأقوى أو الأفضل.

• صور متعددة:

وهذا الأمر نلاحظه في العلاقات الاجتماعية، ففي الأسرة قد يكون اختلاف الأطباع من عوامل الخلاف بين الزوجين، أو قد يكون ذلك للطريقة الخاطئة في إدارة الأسرة، وعلى كل حال فالمسألة ليست موجهة للطرف الآخر بشخصه، ولكنه متى ما اعتبرها موجهة إليه بشخصه، وأنها مسألة كرامة مجروحة وعزة مفقودة فإنها ستتحول إلى ساحة نزاع عنيف قد يدمر هذه الأسرة.

وهكذا هو الحال في الخلافات السياسية في دائرة التكتل السياسي الواحد حين تبرز الانشقاقات، فيشكل كل طرف تكتلاً صغيراً بمفرده تحت شعار العودة إلى المبادئ

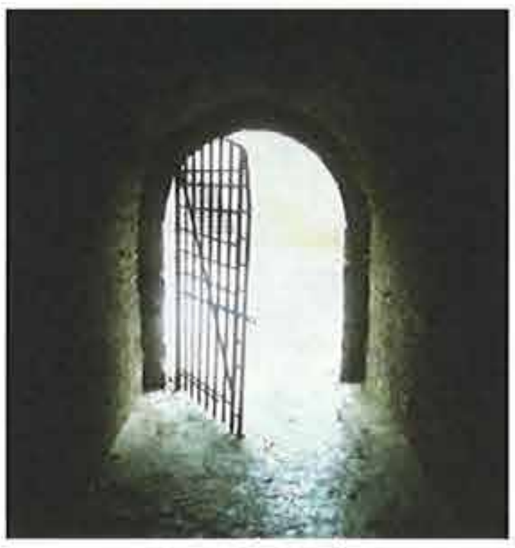



قد يتخذ طرفٍ موقفا سياسيا قد يكون خاطئاً ، ولكنه اتخذه عن حسن نية ، ولكننا نتعامل معه كما نتعامل مع من يطلب الباطل ويريد الباطل

وما إلى ذلك، بينما قد يكون الدافع في حقيقته هو الذات. وكذلك هو الحال في الحراك السياسي حين يتخذ هذا الطرف موقفاً قد يكون خاطئاً، ولكنه اتخذه عن حسن نية وهو يطلب الحق فأخطأه، ولكننا نتعامل معه كما نتعامل مع من يطلب الباطل ويريد الباطل ويعمل للباطل.. لأني أعتبر نفسي مع الحق، فكيف له أن يأخذ موقفاً مغايراً لما اخترته أنا.. وليست المسألة في حقيقتها: لِمَ يأخذ موقفاً مغايراً للحق!

وعلى ذلك فقس الخلافات الدينية والمذهبية والفقهية التي قد يتعصب لها الإنسان ويعادي من خلالها الآخرين حتى أولئك الذين طلبوا الحق فأخطؤوه، حيث تكون نواياهم سليمة، ولكن مشكلتهم أنهم لم يهتدوا إلى الحق.. إلا أن المسألة تبقى غالباً: كيف لهم أن يختاروا غير ما اخترت أنا!! كيف لهم أن يخالفونني أنا!!

ولكل واحدٍ منا أن يراجع نفسه في منطلقات مواقفه وردود أفعاله تجاه الآخر الذي يختلف معه.. إنها ليست دعوة إلى التساهل في أمر التمسك بالحق، ولكنها دعوة لتجريد المواقف عن الذاتيات، لأن شخصنة مسألة الحق والباطل يحيد بها عن الحق.



٢٣ رجب ١٤٣٢ هـ
٢٥ يونيو ٢٠١١ مـ

تصحيح مفهوم النقد

اعتبر الإسلام أن النقد إن كان بمعنى التصيّد فهو أمر مرفوض ، فللإنسان حرمة ، وليس لأي شخص أن يقتحم حياته الخاصة دون رضاه

حب الإنسان أو تعصّبه لنفسه أو لسواه يدفعه للإفراط في الحساسية من النقد.. وقد تساعد على ذلك حساسية الدائرة التي يرتبط بها النقد، كأن يكون نقداً لشخصية يقدسها، وإن لم تكن مقدسة في واقعها. فما هو الموقف السليم من النقد؟

• المفهوم اللغوي:

للنقد ـ لغوياً ـ أكثر من معنى، وما يهمنا معنيان:

١. التمييز بين الجيد والردئ من الدراهم والدنانير، فيقال: نقدت الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت المزيف منها.

٢. العيب والثلم والتجريح، فيقال: نقدت رأسه بإصبعي إذا ضربته، وفي الحديث: (إن نقدتَ الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك). أي: إن عبتهم أو اغتبتهم قابلوك بمثله.

وغالباً ما نتجه في تصورنا لمعنى النقد إلى المعنى الثاني، فنعتبره حالة من ملاحقة العيوب وتصيدها وفضحها، ولهذا اعتُبر النقد في كثير من المجتمعات مظهراً من مظاهر العداوة والبغضاء وسبيلاً من سبل الإهانة والتحقير. أما المعنى اللغوي الأول، فلعله الأنسب الذي يجب أن نعمل لترسيخه في وعي الناس، وهو الأليق بالمراد من كلمة النقد في الاصطلاح الحديث من ناحية، وفي اصطلاح أكثر المتقدمين من ناحية أخرى، فإن فيه معنى الفحص والموازنة والتمييز والحكم.

• الموقف الإسلامي:

وقد اعتبر الإسلام أن النقد إن كان بمعنى التصيّد وفضح المعايب فهو أمر مرفوض، فللإنسان حرمة، وليس لأي شخص أن يقتحم حياته الخاصة دون رضاه، أو يعتدي على أسرارها دون إذنه، ولذا حرّم التجسس ﴿وَلا تجسَّسُوا﴾ الحجرات:١٢، وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يؤاخي الرجلُ الرجلَ على دينه، فيحصي عليه عثراته وزلاّته ليعيّره بها يوماً ما). بل

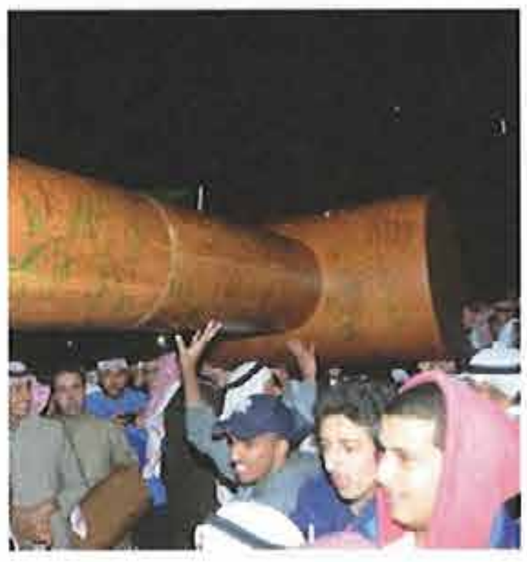

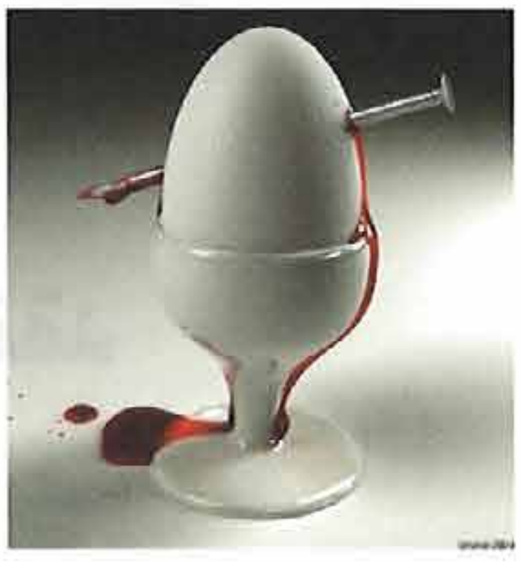

مشروعية النقد بمعنى التقييم والتمييز بين الجيد والردئ يعتمد الحكم فيه على الدافع ، هل هو التعيير أم النصح أم التقييم

نجد المنع في بعض النصوص من هتك الإنسان لحرمة نفسه من خلال التحدث عن أسراره الخاصة بما يسقط شخصيته، وفي الحديث: (إذا بُليتم فاستتروا).

وأما النقد بالمعنى الآخر، أي بمعنى التقييم والتمييز بين الجيد والردئ فالحكم فيه يعتمد على الدافع، فإن كان الدافع هو:

١. التعيير والتحقير والإهانة: فيدخل في الدائرة السابقة، وتشمله نصوصها.

٢. النصح والإرشاد: فيدخل في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله)، وفي هذا وغيره من النصوص تشجيع على النقد بهذا المفهوم وبهذا الدافع، لأن أخاك بمثابة نفسك، وهذا ما أكدته الآيات القرآنية العديدة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ النور:٦١. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة:٨٤-٨٥. ثم إن انحراف الفرد يترك أثره الكبير على استقامة المجموع كنتيجة طبيعية للارتباط العضوي بين المجتمع وأفراده.. ولذا فإن على الطرف الآخر تقبّل النقد بهذا المفهوم وبهذا الدافع، وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام علي زين العابدين عليه السلام: (ووفقني لطاعة من سدّدني ومتابعة من أرشَدَني).

٣. التقييم الشخصي: فالإسلام لا يريد للمؤمن أن يكون ساذجاً سطحياً في نظرته إلى الآخرين، لأن ذلك قد يورّطه في أمور عديدة، وقد يربك حياته وحياة الآخرين بسبب ذلك، ولذا فهو بحاجة إلى التقييم القائم على أسس سليمة، وهذا ما نلاحظه في النص التالي المروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام حيث قال: (إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرّكم، فما أكثر مَن يُعجزُه





تناولُ الدنيا وركوبُ الحرام منها لضعفٍ بنيّته، ومهانته، وجبن قلبه.. فنصب الدّين فخّاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه...) إلخ هذا النص الرائع في تحليل سلوك الآخر، لا بغرض التعيير، بل لحسن التقييم.

• ثلاث رسائل:

الرسالة الأولى: للقائمين على القانون وتنفيذه: النقد بمفهومه السليم جزء من مساحة الحرية التي ننعم بها في الكويت، ومعالجة الأخطاء والتجاوزات لا يكفي فيها استخدام القانون وتنفيذ العقوبات وما إلى ذلك، بل لابد من أن يكون للتربية وللإعلام دورهما في ترسيخ المفاهيم والممارسات الصحيحة، لأن الاقتصار على القانون والعقوبة قد يعطي نتائج عكسية، وقد يذهب ضحية ذلك أناس لم نرفعهم إلى مستوىً من الوعي يمنعهم عن الوقوع في المحظور، بل لربما نشجعهم على الخطأ حين يتم التعامل مع الأمر بانتقائية واضحة.

الرسالة الثانية: لمن يستغلون القانون لتصفية الحسابات: كفاكم عبثاً بهذا الوطن، جمّدوا أجنداتكم الخاصة التي توظّفونها للانتصار لمذهبياتكم وانتمءاتكم، وللانتقام من خصومكم السياسيين، ولفرض كلمتكم على الآخرين بالأساليب العنترية، فكل المؤشرات والدلائل تؤكد أن الجميع سيخسر، ولربما تكون الخسائر غير قابلة للجبران.

الرسالة الثالثة: للمستفيدين من مساحة الحرية في الكويت: للكلمة مسئولية، وللتعبير آداب وحدود، وللنقد أخلاقيات، وللظروف حُكم فيما نقول وفيما نفعل، فلكل مقام مقال، ورب كلمة سفكت دماً حراماً، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ). وليس في هذا مطالبة بالسكوت عن الحق، ولكن بالكلام بعد التدبر والتعقل.

للكلمة مسئولية، وللتعبير آداب
وحدود ، وللنقد أخلاقيات ،
وللظروف حُكم فيما نقول وفيما
نفعل ، فلكل مقام مقال

١ شعبان ١٤٣٢ هـ
٢ يوليو ٢٠١١ مـ

رساليّة فقيه

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ... إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ، قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس:٢٠-٢٧.

بهذَه الروح الرسالية انطلق هذا النموذج الإنساني في تحمل مسئوليته تجاه ربه ومجتمعه، بكل عزيمة وقوة وإصرار وعطاء، ولم يثنه عن ذلك صدود القوم عن الاستجابة لكلامه، كما لم يُعِر أهمية للخسائر التي سيتكبدها على مستوى الذات، مادام الأمر مربحاً على مستوى العلاقة مع الله سبحانه والمصير في الآخرة، ولذا استمر حتى الرمق الأخير، وهدأ جسده بموته، ولكن روحه ما زالت في عنفوانها، وقلبه ما زال متعلقاً بمجتمعه المستكبر على الحق، فأطلق تمنياته الأخيرة التي لا ترتبط بذاته ـ وقد حاز على رضوان الله ـ بل بقيت روحه متعطشة لهداية قومه الذين لربما كانوا هم من قتلوه ظلماً.. ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

• فضل الله الرسالي:

وكلما تلوت هذه الآيات المباركة تمثّلت الفقيه الراحل والمفكر الإسلامي الكبير السيد محمد حسين فضل الله الذي نعيش الذكرى الأولى لرحيله في علاقته بالله سبحانه والتي من خلالها كان يرسم منهجه في الحياة ويستمد قوته في العطاء، وفي روحيته العالية التي عرفه بها كل من عايشه أو تعامل معه عن قرب، وفي عطائه الذي لم يهدأ حتى وهو على فراش المرض، لأنه كان عطاءً خالصاً لله سبحانه ومن أجل الناس الذين كان يعاني بمعاناتهم، ويعيش آمالهم، ويعمل من أجل أن يأخذ بأيديهم ما أمكن.

• فضل الله المجدِّد:

لم يركن المرجع الراحل فضل الله ـ على المستوى الفقهي والفكري ـ إلى جهود من سبقه بحيث يعيش التجديد

لم يُعِر السيد فضل الله أهمية للخسائر التي سيتكبدها على مستوى الذات، مادام الأمر مربحاً على مستوى العلاقة مع الله والمصير في الآخرة

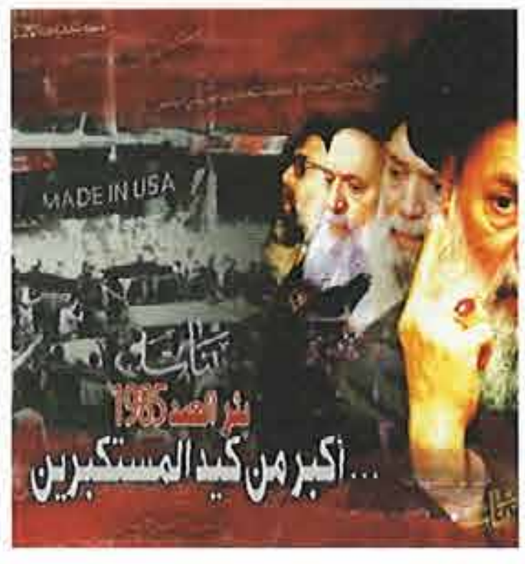



إذا كان البعض قد عاب عليه تجديده الفقهي ، فإن الكثيرين ممن يعايشون معاناة الناس ، يدركون أهمية جهوده التجديدية في هذا الإطار

في فهم القرآن وفي المعارف الإسلامية والتشريعات الفقهية فقط في فلك مَن تقدّموا عليه، ممن قدّموا للإنسانية ما قدّموا مأجورين بإذن الله تعالى، لأنه كان يعتبر أن طبيعة الحياة تفرض التجديد لا بمعنى التمرد على الأصول والأسس، بل بمعنى إعادة قراءة التراث من خلال معطيات الواقع والتطور الفكري الإنساني.. ولذا تميّز بتحرره في فتاواه حتى عن الإجماعات التي لم تبلغ مستوى الإلزام في الأخذ بها، مادام الدليل قائماً على ما هو مخالف لها.. بينما يتردد آخرون عن مخالفة أساتذتهم في الرأي، أو في مخالفة ما هو مشهور الفقهاء.

وإذا كان البعض قد عاب عليه ذلك، فإن الكثيرين ممن يعانون أو يعايشون معاناة الناس في التعامل مع الحياة في صورتها المنفتحة اليوم، على الصُّعُد المختلفة، يدركون أهمية جهوده التجديدية في تقديم الفقه الإسلامي المنبثق في أصالته من القرآن والسنة، والمتناغم مع مستجدات العصر، بما تشرق معه صورة هذه التشريعات، ويرفع من خلالها الحرج عن الناس في تعاطيهم مع مناحي الحياة المختلفة.

ولم يأتِ ذلك من فراغ، كما لم ينطلق من خلال ترف بحثي في قضايا قد لا تكون لها تطبيقات عملية خارجية، بل جاء من خلال إحساسه بمسئوليته الرسالية ومن موقعه المرجعي الذي يحتّم عليه أن يقدّم الفقه الإسلامي الذي شرّعه الله:

١. لا لتعقيد حياة الناس، بل من أجل أن يبعث فيهم الحياة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) الأنفال:٢٤، فالأحكام ليست هي الغاية، والعبادات ليست هي المرادة في ذاتها كي يستغرق فيها الإنسان آلياً، فيتمسك بجسدها ويقتل روحها، بل الهدف هو تحقيق الحياة الطيبة على الفردي والاجتماعي والأخروي، وعلى الفقيه أن يأخذ ذلك في الحسبان وهو يستنبط الأحكام.



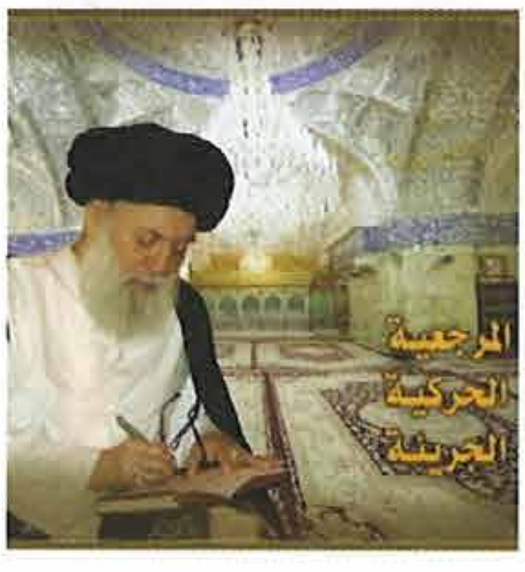

مثّل السيد فضل الله المرجعية التي لم تنغلق على ذاتها، ولم تتقولب في العناوين المذهبية، ولم تحبس نفسها في أطر العصبيات

٢. ولأن التشريعات جاءت من أجل أن تخفف من معاناة الناس وتحررهم من القيود التي اصطنعوها لأنفسهم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف:١٥٧.

٣. ولأن فيها من السعة والمرونة ما يرفع الحرج عن الناس بعناوين مختلفة تمكّن الفقيه الذي عايش عن قرب وانفتاح حياة الناس وتواصل معهم بشكل يومي في سلمهم وحربهم.. في سعتهم وضيقهم.. في غناهم وفقرهم.. في صحتهم وسقمهم.. في سلامتهم وإعاقاتهم.. في علاقاتهم الشخصية والسياسية والأمنية والاقتصادية والثقافية.. تمكنه من أن يدرك المفهوم العملي لقول الله سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة:٦.

لقد مثّل فقيهنا الراحل المرجعية الإسلامية الكبيرة التي لم تنغلق على ذاتها، ولم تتقولب في العناوين المذهبية، ولم تحبس نفسها في أطر العصبيات، لأنه كان يكرر دائماً ما آمن به منذ أن انطلق في حياته العلمية والعملية أنه يحمل همّ الإسلام وهمّ الإنسان، وأنه سيعمل من أجل ذلك، ولن تأخذه في الله لومة لائم، فعمل وصبر وأعطى حتى رجع إلى ربه، وكان يكرر: (وأقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً الله عز وجل: [إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي]، فحساباتي ليست مع الناس، بل مع رب الناس، وأرجو أن تكون حساباتي معه موضع رضاه وقبوله).

٨ شعبان ١٤٣٢ هـ
٩ يوليو ٢٠١١ مـ

تاريخية السنّة

هل من الصحيح أن يتم التعامل مع السنّة بطريقة واحدة ، بحيث تكون بأجمعها قاعدة عامّة على مر الزمان أم لا بدّ من التمييز بين رواية وأخرى ؟

تمثل ذكرى المبعث النبوي الشريف محطة من محطات التفكّر في ما قدّمه النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم للبشرية، ولخّصته الآية المباركة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران:١٦٤.

فتلاوة القرآن بما يشمل مفاهيمه وأحكامه، ثم التزكية الروحية والسلوكية، وتعليم الناس الحكمة في الحياة، وتعليم الكتاب الذي لربما يشير إلى ما تمثله سنته الشريفة باعتبارها ما كتبه الله على الناس وأوحاه إلى النبي خارج إطار القرآن، هي لعناوين الرئيسية في ما حمله النبي وأداه من مسؤوليته الرسالية.

وبالتالي غدت السنة الشريفة مصدراً من مصادر التراث العقدي والفقهي والأخلاقي والمعرفي لاسيما وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ الحشر:٧.

• المراد من التاريخية:

ولكن هل من الصحيح أن يتم التعامل مع السنّة بطريقة واحدة، بحيث تكون بأجمعها قاعدة عامّة على مر الزمان؟ أم لا بدّ من التمييز بين رواية وأخرى؟ وهذا البحث يعنون أحياناً بـ (تاريخية ـ تاريخانية ـ السنة).

نحتاج ـ بدءً ـ إلى أن نميز بين ثلاثة معان لمفهوم (تاريخانية السنة) في الاصطلاح المتداول اليوم:

١. التحقّق في التاريخ: بمعنى أنه شئ حادث وليس بقديم كقِدم الله. ولتقريب المعنى نستذكر فتنة خلق القرآن، فمن قال أن القرآن قديم منذ الأزل كما أن الله قديم، فهو لا يقول بتاريخانية القرآن، والذين يقولون بأنه حادث وليس بقديم فإنهم يقولون بتاريخانيته. ومن المتفق عليه أن لا أحد يقول بأن السنة ليست تاريخانية بهذا المعنى، فهي حادثة حتماً.

٢. التاريخية المعرفية: أي أن ندرس المحيط التاريخي للنص الذي هو من السنة،

ونفهم النص من خلاله. ففي زمن صدور السنة كانت الخمرة تسمى قهوة، ولذا ورد النهي عن شربها، فحرّم عدد من الفقهاء شرب البن في زمن لاحق بناء على ذلك، بينما الدراسة التحقيقية لتطور التاريخي لهذا المصطلح عند العرب يكشف أن تسمية البن بالقهوة لم تحدث إلا في حدود القرن العاشر الهجري (١٥ ميلادي)، حيث اعتبرت (قهوة الصالحين) أي خمرتهم، وهم قوم من المتصوفة كانوا يشربون القهوة ليسهروا الليل للتعبد.. ولذا اختلط الأمر على من أفتى بالحرمة.

٣. التاريخيّ بمعنى الموقّت: والمقيّد بالظرف التاريخي الذي تحقّق فيه. وهو مرتبط بالعنوان السابق نحو ارتباط. وهذا هو ما نريد أن نبحث فيه.. فهل في السنة ما هو تاريخي أي مؤقت زال بتغير الزمان والمكان؟

لو عدنا إلى النصوص سنجد فيها ما يدل على ذلك، وفي البين عدة أمثلة منها ما جاء في مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الفار من الطاعون كالفار من الزحف، والصابر فيه كالصابر في الزحف). هنا يصطدم النص مع مجموعة من العناوين الصحية والدينية كعدم إلقاء النفس في التهلكة وغيرها، وقد حاول البعض أن يعتبر الأمر الوارد في الخبر نوعاً من الحجر الصحي.. ولكن وضع النص في سياقه التاريخي يحل المشكلة، ولا يضطرنا إلى فهم خاطئ وبالتالي إصدار فتوى خاطئة كما وقع فيه البعض. وهذا ما بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في الخبر الصحيح الي رواه عنه الحلبي قال: (سألت عن الوباء يكون في ناحية المصر فيتحوّل الرجل إلى ناحية أخرى، أو يكون في مصر فيخرج منه إلى غيره؟ فقال: لا بأس، إنّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك لمكان ربيئة ـ قوة مراقبة عسكرية ـ كانت بحيال العدوّ، فوقع فيهم الوباء فهربوا منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الفارّ منه كالفارّ من الزحف، كراهية أن يُخلُوا مراكزهم).

فلو كنا نحن والنص الأول لأفتينا بحرمة الهروب من الوباء، ولكن عندما عرفنا أن النهي مقيّد بظرف تاريخي محدد انحلت المشكلة.

- نظرية الشهيد الصدر:

ولكن بما أننا لا نملك دائماً نصوصاً من هذا القبيل توضح الظرف التاريخي، لنقيّد الحكم بذلك الظرف، وبالتالي فإننا نحتاج إلى ما يدلنا على ذلك، لأن الأصل هو ثبات النص وديمومة الحكم، أما تاريخانيته فاستثناء. وقد عمل بعض فقهائنا من أجل وضع أسس للتمييز بين السنة في هذا الإطار، ضمن نظريات عديدة.





بالغ البعض بالقول بتاريخانية السنّة كلّها، وهذا مجافٍ للصواب وتعطيل مذموم للشريعة التي تمثّل السنّة أحد أهمّ أركانها

وقد طرح السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت١٩٨٠) نظرية (الأحكام الحكومية الولائية)، معتبراً أن بعضاً مما صدر عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إنما صدر لا باعتباره نبياً مبلّغاً لرسالة، بل باعتباره حاكماً فرضت الظروف الموضوعية صدور ذلك الحكم منه، لا أن ما صدر عنه يمثل الحكم الشرعي الواجب تنفيذه في كل زمان ومكان. وضرب على ذلك عدة أمثله من قبيل تحريم النبي على أهل المدينة أن يحتفظوا بما يفيض عندهم من مياه السقي. وقد اعتبر السيد الشهيد أنه إجراء ولائي مؤقت حسب مقتضيات الظروف؛ لأن مجتمع المدينة كان بحاجة شديدة إلى إنماء الثروة الزراعية والحيوانية، فألزمت الدولة الأفراد ببذل ما يفضل من مائهم وكلأهم للآخرين، ويمكن للحاكم أن يصدر منعاً مجدداً مع تجدد ذات الظرف.

• خطأ التاريخية المطلقة:

وقد بالغ البعض بالقول بتاريخانية السنّة كلّها، وهذا مجافٍ للصواب، وتعطيل مذموم للشريعة التي تمثّل السنّة أحد أهمّ أركانها، ولعلي أطرح هذا الموضوع على بساط البحث في مناسبة أخرى. وخلاصة القول أننا عندما نتعامل مع نصوص السنة نحتاج إلى التروّي في الحكم عليها بالصحة أو البطلان عندما نجد فيها ما قد يتعارض مع بعض الحقائق العلمية مثلاً.. كما يحتاج الفقيه إلى التروي في استنباط الحكم الشرعي منها، فمن الروايات ما صدر وقُيّد بظرفه التاريخي، ومنها ما صدر ليكون قاعدة عامّة.



١٥ شعبان ١٤٣٢ هـ
١٦ يوليو ٢٠١١ مـ

علائم الظهور.. بشارات و إسقاطات

تنتظر الأمم الإمام المهدي بعناوين مختلفة ، ليكون مخلّصها ، إلا أن المشكلة كمنت في الادعاءات الكاذبة لمدّعي المهدوية

عرفت الإنسانية البشارات ببعض رجالاتها عبر التاريخ، ومن ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن البشارة بنبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الصف:٦.

ولذا كان بنو إسرائيل ينتظرون بعثته ويترقبون علائم ظهوره كما حكى ذلك القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ البقرة:٨٩.

وينتظر المسيحيون نزول السيد المسيح عليه السلام لتكون المعركة الفاصلة بين الحق والباطل والمعروفة باسم (هرمجدون) كما جاءت في سفر الرؤيا.

• بشارة وانتظار:

وذات الأمر ينطبق على المهدي الذي ينتظره المسلمون بهذا العنوان، وتنتظره الأمم بعناوين مختلفة، ليكون مخلّصها في آخر الزمان من الظلم والجور الذي سيعصف بها، لربما إلى حد لم تعرفه من قبل بدلالة التركيز على عبارة: (بعدما ملأت ظلماً وجوراً) كما جاء في النص المشهور عند المسلمين.

إلا أن المشكلة كمنت طوال التاريخ الإسلامي في الادعاءات الكاذبة لمدّعي المهدوية منذ القرن الهجري الثاني إلى هذا العهد.

وقد أكدت النصوص الإسلامية ذلك أيضاً كما في الخبر التالي: (ولترفعن اثنا عشر راية مشتبهة لا يعرف أي من أي)، لتبرز معها مشكلة التطبيقات الخاطئة لعلائم الظهور التي حفلت بها الكثير من محفوظات وكتب المسلمين في تراثهم الذي تناقلوه عبر القرون، ومن ذلك الشخصيات المعروفة بأنها من الممهدين للمهدي أو من قادته الذين سينصرونه ويكونون على رأس حركته العالمية في المواقع المختلفة. ولابد من التنبيه في هذا الإطار على عدة ملاحظات:





التحقيق في روايات علائم الظهور والشخصيات المذكورة فيها يؤكد على أن كثيراً منها لا يصمد عند النقد في السند والمتن

• روايات ضعيفة:

١. أن التحقيق في روايات علائم الظهور والشخصيات المذكورة فيها يؤكد على أن كثيراً من هذه النصوص لا ترتقي إلى مستوى تصمد معه عند النقد في السند والمتن، فأكثرها روايات ضعيفة سنداً، لجهالة حال بعض رواتها، أو إرسالها ـ نقص في سلسلة السند ـ أو لغير ذلك.. هذا فضلاً عن الخلل في المتن من حيث التعارض في توصيفاتها لنفس العلامة من حديث لآخر، أو لوجود قرائن على أنها نصوص موضوعة أو محرّفة لغرض سياسي أو توظيفي معين. وقد أكد على هذه الحقيقة عدة من المحققين والباحثين في هذا المجال.

• أحداث انقضت:

٢. كما أن من النصوص ما يتحدث عن وقائع أو شخصيات عرفها التاريخ وانتهى دورها، بينما ما زال البعض يتوقع أنها من القضايا التي تُستشرَف ضمن علائم الظهور أو شخصياته في قادم الزمان. كما هو شأن روايات الخراب الذي يلحق ببعض المدن، أو بعض الحروب وما شاكل.

• روايات مطلقة:

٣. ويضاف إلى ذلك بعضاً من النصوص التي لا علاقة لها بعلائم الظهور في مضمونها، بل هي تتحدث عن وقائع تاريخية مطلقة لا علاقة لها بالزمن القريب من عصر الظهور، كما لم يصرّح بأنها من مطلق العلامات، إلا أن القراءة الخاطئة لها، أو الرغبة في توظيفها في هذا الاتجاه دفع بالبعض إلى اعتبارها منها، ومن ذلك بعض الروايات التي تتحدث عن وقائع خاصة بالخلفاء العباسيين، دون ذكر لكونها من العلائم، بل ذكرت كأحداث تستشرف المستقبل، مع العلم بأن دولتهم انتهت قبل أكثر من ثمانية قرون.

• أحداث محتملة:

٤. وصرحت بعض الروايات الشريفة أن من العلائم ما هو محتمل ومتوقف على شروط معينة، وأنها تأتي في ضمن





ما فائدة ذكر علائم للظهور ينتظر المؤمنون تحققها ثم يظهر أنها لن تتحقق أبداً ، بل لربما يتحول إلى عامل تشكيكي في أصل القضية ؟

طبيعة التقديرات الإلهية التي تشاء أن تُغير في الأحداث وفق موازين القضاء والقدر: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾الرعد:٣٨-٣٩. ومن هذه النصوص ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إن من الأمور أموراً موقوفة وأموراً محتومة، وإن السفياني من المحتوم الذي لابد منه).

ولكن هذه النقطة في حد ذاتها تحتاج إلى وقفة نقدية إذ ما فائدة ذكر علائم للظهور ينتظر المؤمنون تحققها ثم يظهر أنها لن تتحقق أبداً لسبب أو لآخر، بل لربما يتحول ذات هذا الأمر إلى عامل تشكيكي في مصداقية المهدي عند الناس أو في التعامل مع تلك العلامات..

وقد اعتبر البعض أن الفائدة تتحقق بعد وقوع الحدث: (فيأتي حينئذ دور المقارنة بين ما هو مذكور في الرواية، وبين ما وقع فعلاً ويكون الإيمان به، أو عدمه على هذا الأساس).. والله أعلم بواقع الحال.

• قراءات انتقائية:

٥. وقد شهدت منطقة البحث في هذا المجال قراءة انتقائية للنصوص إما تحت تأثير البعد العاطفي في المسألة، لاسيما في الظروف العصيبة التي قد تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية فتبحث من خلال تلك النصوص عن بارقة أمل في هذه الحاثة أو تلك، أو في هذه الشخصية أو تلك.. أو توظيفاً للنصوص لمصالح سياسية أو دينية أو ما شابه ذلك مما لا يخفى على القارئ.. ولعل آخر تلك المحاولات ما ارتبط بأحداث الثورات العربية (الربيع العربي) خلال الأشهر الماضية حيث اعتُبرت أنها المصداق التطبيقي لما جاء في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام حول علائم الظهور: (إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع، وخلعت العرب أعنتها ورفع كل ذي صيصية صيصيته... إلخ).

• سلبيات عديدة:

ومن سلبيات الأسلوب الإسقاطي





في الظروف العصيبة التي قد تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية يبحث البعض من خلال النصوص عن بارقة أمل في هذه الحاثة أو تلك

الظني الذي يعتمده كثيرون في قراءة نصوص علائم الظهور وشخصياته وتأويلاتها:

١. إدخال القضية المهدوية في إطار مذهبي وسجال طائفي، لتخرج بذلك من فضائها الإسلامي الرحب.

٢. التسبب في السخرية من هذه العقيدة ومعتنقيها بمرور الوقت وانكشاف عدم صدقية التطبيقات المذكورة.

٣. المساهمة في خلق مناخ من الإحباط واليأس والتشكيك في أصل العقيدة لدى المؤمنين بها عندما يصطدمون بخطأ هذه التطبيقات مرات وكرّات.

٤. الوقوع في محظور ما هو منهي عنه في نفس تلك النصوص المتعلقة بالمهدي وظهوره من قبيل ما عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (كذب الوقّاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلّمون).

• الرايات المشرقية:

ومن نماذج التطبيقات والإسقاطات الظنية التأويلية ما يرتبط برايات أهل المشرق كما في سنن ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (... وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينتصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملؤوها جوراً). حيث وظّف العباسيون هذه الروايات لصالحهم معتبرين أن راياتهم هي الرايات المنشودة، حتى قال أبوالعباس السفاح، وهو أول خلفاء بني العباس: (يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين عن حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا... فاعلموا أن هذا الأمر فينا وليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم).

ويتكرر ذلك في عصر لاحق حين اعتبرت الدولة الصفوية وسلطانها الشاه إسماعيل الصفوي الذي ينتهي نسبه إلى البيت النبوي أنها هي المقصودة بهذه

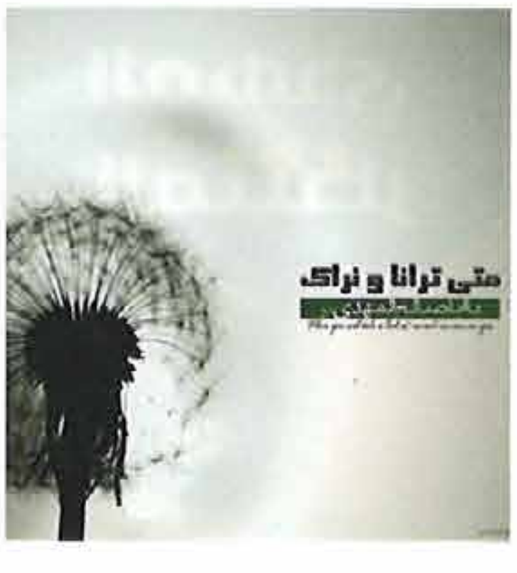



التعامل مع نصوص علائم الظهور وشخصياتها يحتاج إلى مزيد من الدقة والتحقيق وتجنب الاستعجال في التطبيقات بلا دليل مقنع

الرايات وأصحابها، وفي ذلك قال السيد نعمة الله الجزائري: (لا يخفى على أهل البصائر أنه لم يخرج من المشرق سوى أرباب السلسلة الصفوية، وهو الشاه إسماعيل أعلى الله مقامه في دار المقامة. وقوله عليه السلام، لا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، المراد به القائم عليه السلام. فيكون في هذا الحديث إشارة إلى اتصال دولة الصفوية بدولة المهدي عليه السلام، فهم الذين يسلمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال). ويستمر الأمر ذاته في هذا العصر من خلال المحاولات الظنية التي يقوم بها البعض في الانتصار لهذا الطرف أو ذاك، أو لأسباب أخرى.

• الدقة والتأنّي:

وينطبق ذلك أيضاً على شخصيات ورد ذكرها في الأخبار كالسفياني والخراساني واليماني والحسني وشعيب بن صالح، حيث امتلأت المنتديات الإسلامية عموماً في شبكة الإنترنت بمحاولات التطبيق والتأويل ـ بما لا يخفى على المتتبعين لها ـ في الوقت الذي قد لا ترتقي فيه بعض هذه النصوص المشتملة على ذكرهم إلى مستوى يُطمأن معه إلى صدورها عن النبي أو أحد من أهل بيته عليهم السلام.

إن التعامل مع نصوص علائم الظهور وشخصياتها يحتاج إلى مزيد من الدقة والتحقيق وتجنب الاستعجال في التطبيقات التي لا تعتمد على الدليل، بل تنساق وراء العواطف والتحليلات غير العلمية، مما قد يترتب على ذلك الكثير من السلبيات، وعلى رأسها ما يؤدي إلى الوقوع في المحظور بتكذيب أصل القضية المهدوية عند من يتبعون الظنون ثم ينتهون في آخر مطافهم إلى تكذيب الحقائق بعينها.. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ يونس:٣٦.

٢٢ شعبان ١٤٣٢ هـ
٢٣ يوليو ٢٠١١ مـ

وادي العظام !

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ، وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ... وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا... فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ... فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ...﴾ البقرة:٢٤٣-٢٥١.

لاتبدو هذه الآيات القرآنية ـ في الوهلة الأولى ـ ذات صلة ببعضها البعض، إلا أن البحث عن أصل قصة أولئك القوم الذين أماتهم الله ثم أحياهم قد ترشدنا إلى الرابط بينها، وإلى الرسالة الأساسية التي تريد أن توصلها الآيات السابقة في مجموعها إلى المسلمين.

• النبي حزقيال:

احتكاك أهل يثرب ـ ومن ثم المهاجرين ـ باليهود جعل عندهم مخزوناً معرفياً ببعض ما في كتبهم من قصص، ولعل القرآن الكريم في الآيات السابقة ـ كما في موارد أخرى عديدة ـ يستحث هذا المخزون المعرفي الذي تختلط فيه الحقائق بشئ من الوضع والتحريف ليقدّمه خالصاً منها، وليثير من خلاله مفهوماً حياتياً عملياً.. ولربما إلى هذا تشير الآية ٢٥٢: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ففي سفر حزقيال قصة هذا النبي حين خرج في فترة السبي البابلي إلى وادٍ ملئ بالعظام اليابسة لأناس قد ماتوا: (فأخرجني بروح الرب و أنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاماً.. فقال لي: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد

احتكاك أهل يثرب والمهاجرون باليهود جعل عندهم مخزوناً معرفياً ولعل القرآن يستحث هذا المخزون المعرفي لتصحيح ما حُرّف

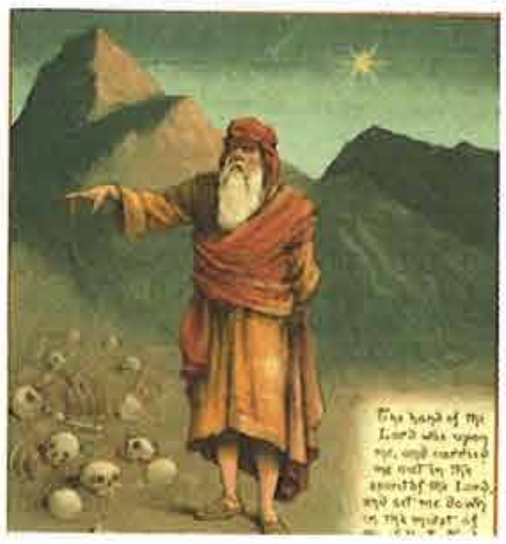

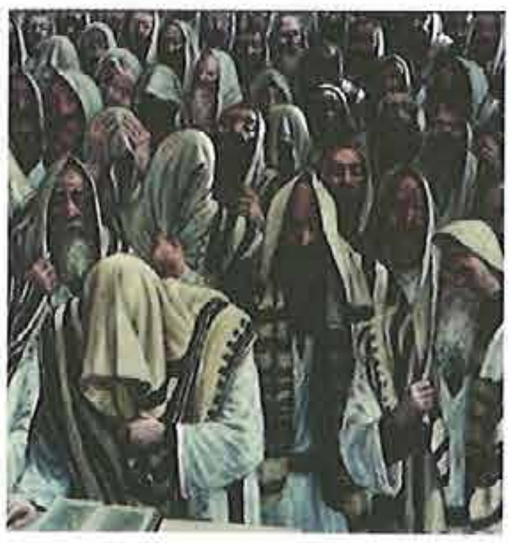

تنبأت كما أمرت ، و بينما أنا أتنبأ
كان صوت .. فتقاربت العظام
كل عظم إلى عظمة ونظرت وإذا
بالعصب واللحم كساها

الرب، أنت تعلم. فقال لي: تنبّأ على هذه العظام.. فتنبأت كما أمرت، و بينما أنا أتنبأ كان صوت، وإذا رعش، فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمة، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها، وبسط الجلد عليها من فوق.. فدخل فيهم الروح فحيوا و قاموا على أقدامهم، جيش عظيم جداً جداً).

• الهدف من الموقف:

ثم يتجه هذا الموقف نحو تقديم الفكرة، فبلحاظ حالة السبي والتشرذم وتكالب الأمم على بني إسرائيل وضعفهم الذي جعلهم يعيشون حالة من اليأس في الخلاص مما هم فيه، جاء التأكيد الإلهي أن الجماعة الميتة معنوياً يمكنها أن تعود إلى الحياة من جديد تماماً كما عادت تلك العظام: (ثم قال لي: يا ابن آدم، هذه العظام هي كل بيت إسرائيل. ها هم يقولون ييبست عظامنا وهلك رجاؤنا، قد انقطعنا. لذلك تنبّأ و قل لهم: هكذا قال السيد الرب، هاأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي.. و اجعل روحي فيكم فتحيون وأجعلكم في أرضكم، فتعلمون أني أنا الرب تكلمت وأفعل).

ثم يستمر الحوار مع النبي حزقيال ليذكّره بقصة النبي داود الذي جعله الله ملكاً على بني إسرائيل واستطاع أن ينقلهم من حالة التشرذم إلى التوحد، ومن حالة الضعف إلى مملكة قوية ذات نفوذ وسلطان عظيمين: (وداود عبدي يكون ملكاً عليهم ويكون لجميعهم راع واحد فيسلكون في أحكامي ويحفظون فرائضي ويعملون بها) الإصحاح:٣٧.

• عودة إلى الآيات:

وبالعودة إلى الآيات من سورة البقرة سنجد أنها مترابطة بذات الصلة في ما جاء في سفر حزقيال، فالمسلمون كانوا يعيشون حالة من الضعف المعنوي بعد هجرتهم من مكة وشعورهم بتكالب المشركين عليهم وحصارهم اقتصادياً واجتماعياً من خلال تحركات قريش



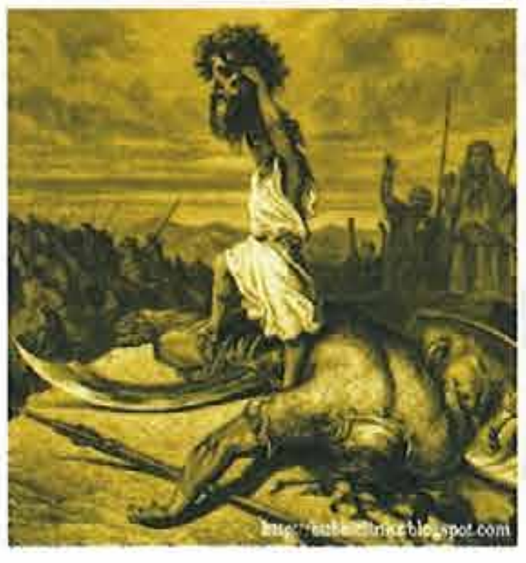

أمر الله حزقيال بأن يذكّر قومه بقصة داود وطالوت وجالوت ليكون مثالاً عملياً لينتشلوا أنفسهم باللجوء إلى الله واستمداد القوة منه

ضدهم في تحالفاتها مع القبائل المحيطة بالمدينة وبالطرق التجارية، فجاءت الآيات لتثير ذلك المخزون المعرفي حول قصة حزقيال النبي، لتقول لهم: تذكروا تلك القصة التي تعرفونها ودلالاتها في الإحياء المعنوي للمجتمع اليائس أو الضعيف، فهي تنطبق عليكم أنتم أيضاً، ولذا جاء الأمر بالقتال وعدم التردد فيه: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾، وضرورة تقديم التضحيات: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾، ثم ذكّرتهم الآيات بقصة طالوت وجالوت والنبي داود عليه السلام في صورتها الحقيقية كما أمر الله حزقيال بأن يذكّر قومه بها، ليكون مثالاً عملياً من التاريخ على الأمة التي تعيش الضعف، فتنتشل نفسها باللجوء إلى الله سبحانه واستمداد القوة منه، ومن ثم الأخذ بأسباب القوة ومواجهة الظلم وتقديم التضحيات في هذا الطريق لتحقيق النصر في نهاية الطريق.. إنها سنة الله في الأمم وقوانينه التي لا تتغير، بل تنتظر من يحقق الشروط والمقدمات، لتقدم له النتائج التي ينتظرها ويأمل في تحقيقها.. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ المعارج:٦-٧.



٢٩ شعبان ١٤٣٢ هـ
٣٠ يوليو ٢٠١١ مـ

الشيخ الطيّب في شهر رمضان ..

منذ مارس ٢٠١٠ وشيخ الأزهر لم يتوان عن التأكيد على ضرورة السعي لتحقيق الوحدة الإسلامية بين المذاهب الإسلامية

يمكن القول أن من معايير الحكم بإسلامية أية طائفة تدّعي الانتماء إلى الإسلام هي اشتراكها في أداء الشعائر الإسلامية العامة من قبيل مناسك الحج في الموسم، وصيام شهر رمضان، وأداء الصلوات اليومية في المساجد.

• استنفار إيماني:

ومع دخول شهر رمضان المبارك، يعيش المسلمون حالة من الاستنفار الإيماني لأداء فريضة الصيام، في وحدة جامعة تؤكّد انتماءهم جميعاً إلى المدرسة الإسلامية التي إن اختلفت في تحديد بداية الشهر القمري بين أتباع مذاهبها المختلفة، فإن هذا الاختلاف لا يعود إلى الاختلاف في الانتماء المذهبي وحده، بل إلى المعايير المعتمدة في تحديد بداية الشهر القمري، وهذا ما يجعل أبناء المذهب الواحد ـ أيضاً ـ قد يختلفون في تحديده من بلد إلى آخر، بل لربما في البلد الواحد.

• رمضان الوحدة:

ومما يهوّن الخطب أنهم إن اختلفوا في بدايته ونهايته، فإنهم يشتركون في قرابة ٢٧ يوماً يصومونها مع بعضهم البعض، فلِمَ نركّز على يومين يُختلف حولهما، وننسى سائر الأيام التي يُشترك فيها في الصيام؟ ولذا يفترض بهذا الشهر أن يكون عامل تقريب بين المسلمين على اختلاف انتماءاتهم المذهبية، والتخفيف من حالة الشحن التي قد يعيشها البعض في بداية الشهر ونهايته تبعاً لتلك المسألة.

• تصريحات الشيخ الطيب:

منذ مارس ٢٠١٠ وهو التاريخ الذي تم فيه تعيين فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب شيخاً للأزهر، وهو لم يتوان عن التأكيد على ضرورة السعي لتحقيق الوحدة الإسلامية بين المذاهب الإسلامية، ونبذ كل ما من شأنه بث الفرقة والشقاق بينهم. وتبرز قيمة تصريحات إمام الأزهر الشريف بصورة أكثر جلاءً من حيث أننا نعيش في فترة عصيبة تمر بها المجتمعات الإسلامية وتطغى عليها حالة من الشحن المذهبي العنيف، تُسخّر فيها أموال طائلة،



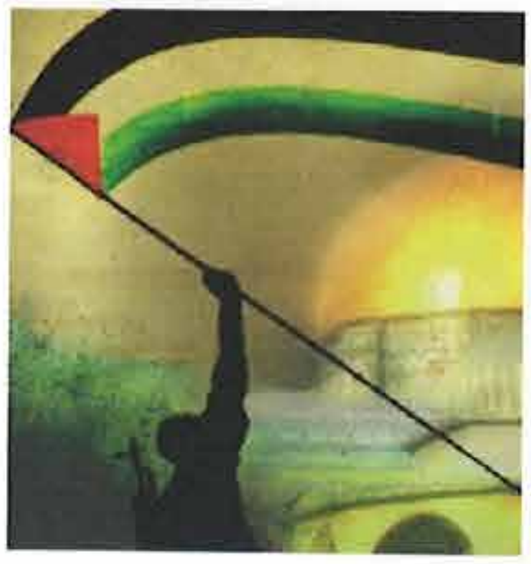

تصريحات شيخ الأزهر تعكس حالة من الوعي والمسؤولية تجاه قضية فلسطين والعدو الصهيوني ، وتجاه النزاع المذهبي الإسلامي

وتوجَّه من خلالها قنوات فضائية ومواقع إلكترونية لا تهدف إلا للطعن في الآخر، وتغلب عليها لغة الاستهزاء والتحقير بدلاً من الحوار والبحث العلمي.. وحتى ما يُعرف بـ (الربيع العربي) تلبّس ـ أو أُلبس ـ في بعض مواقعه اللباس المذهبي الصِّدامي.

• قالوا في الطيب:

شيخ الأزهر الحالي نجل الشيخ الطيب شيخ الطريقة الخلوتية الصوفية، ويتميز إمام الأزهر باتجاهاته الحداثوية مع الحفاظ على الأصالة الدينية الأزهرية، عمل أستاذاً في العقيدة الإسلامية، ويجيد التحدث باللغتين الفرنسية والإنجليزية بطلاقة، وسبق أن ترجم عدداً من المراجع الفرنسية إلى اللغة العربية، كما عمل فضيلته محاضراً جامعياً لبعض الوقت في فرنسا. ويقول علماء أزهريون عن فضيلته أنه بالفعل شيخ طيب، وهو رجل واسع العلم، لا يميل إلى القضايا الخلافية، ولم يصدر حين كان مفتياً لمصر فتاوى أثارت الجدل، وتولى رئاسة جامعة الأزهر في العام ٢٠٠٣م بعدما كان مفتياً للديار، وكان عضواً في مجمع البحوث الإسلامية وهي أعلى هيئة علماء في الأزهر، كما يرأس حالياً لجنة حوار الأديان.

• الشيعة وفلسطين:

تصريحات شيخ الأزهر تعكس حالة من الوعي والمسؤولية تجاه اثنتين من أهم القضايا التي تعصف بواقعنا العربي والإسلامي، الأولى قضية فلسطين والعدو الصهيوني، والثانية النزاع المذهبي الإسلامي، ويمكننا تلخيص رؤاه في المحاور التالية:

١ـ التأكيد على البُعد الأصيل لقضية الوحدة الإسلامية وتحمّل مسؤوليتها: ومن تصريحاته: (هذا شيء مهم وضروري ونحتاجه وبدونه لا نستطيع أن نرفع رؤوسنا في يوم من الأيام). وقال:(الأزهر واجبُه الأول وحدة الأمة الإسلامية وكذلك تجميع المسلمين على رؤية واحدة مع اختلاف الاجتهاد، ومستعد لزيارة





اعتبر الشيخ الطيب أنه لا يوجد خلاف يخرج به الشيعة من دائرة الإسلام ، بل استغلال السياسة لهذه الخلافات

أي مكان أجمع فيه المسلمين مع بعضهم، والنجف بصفة خاصة).

٢. رفض الحالة التكفيرية: (نحن نصلي وراء الشيعة، فلا يوجد عند الشيعة قرآن آخر كما تطلق الشائعات). واعتبر أنه لا يوجد خلاف يخرج به الشيعة من دائرة الإسلام، بل استغلال السياسة لهذه الخلافات. وقال: (حينما تكون هناك فضائيات تحكم بكفر الشيعة، هذا شيء مرفوض وغير مقبول ولا نجد له مبرراً لا من كتاب ولا سنة).

٣ـ تحديد الأيدي العابثة المحركة للقضايا الخلافية: (إننا لم نعد عرباً بثقافة عربية، ولا مسلمين بثقافة إسلامية)، معتبراً أن بعض الأفكار التافهة تتخطفنا، مشيرا إلى أن الغرب بحربته (إسرائيل) وراء كل

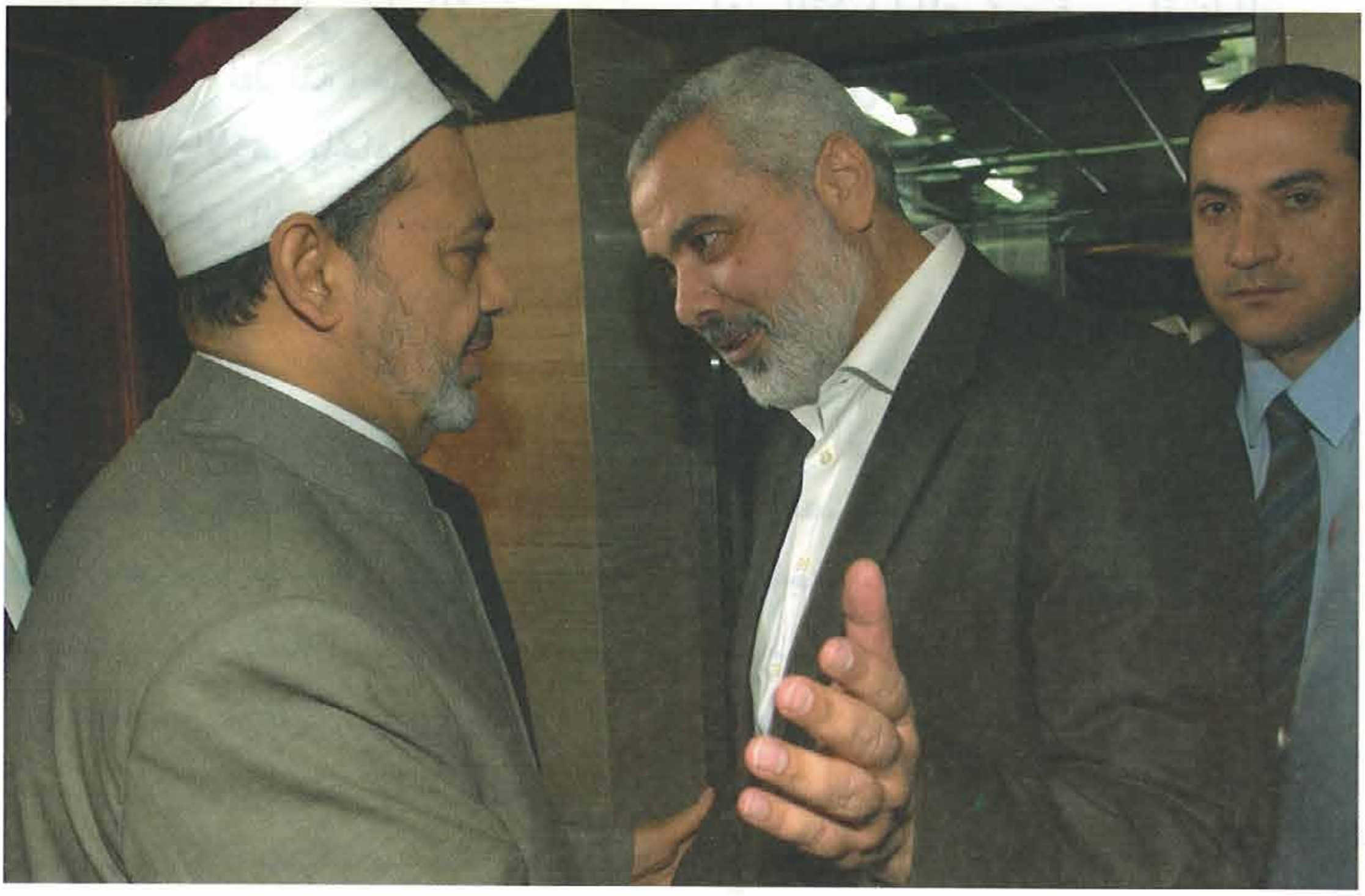

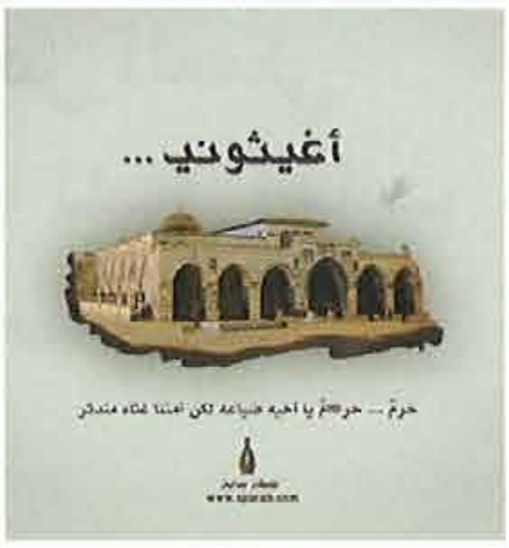

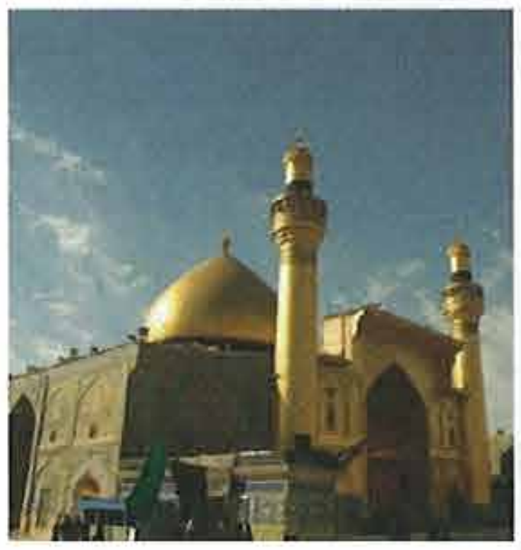

الموقف الوحدويّ الشّجاع لمما يُثلج
صدور كلّ السّاعين لجمع الشّمل
وقطع الطّريق على الأيادي الّتي
تسعى إلى تعميق الهوّة بين المسلمين

ذلك. (هناك فتنة يُخطَّط لها ويراد لها أن تنبعث في بلاد أهل الإسلام في وقت نحتاج فيه إلى وحدة الأمة الإسلامية لكل دولها).

٤. محورية القضية الفلسطينية: فقد اعتبر أنه بحكم مسؤوليته الشرعية لا يستطيع إلا أن يُعبِّر عن ضمير الجماهير الإسلامية تجاه العدوان الصهيوني الغاشم والاحتلال الآثم وتدنيس المقدسات، وحصار غزة الصامدة. وأضاف: (من هنا فإني أكرر موقفي بأنني لن أصافح مسؤولاً صهيونياً ما دامت الحقوق الشرعية للفلسطينيين مسلوبة).

٥. رفض الضغوط العاملة على تغيير مواقفه لتتماشى مع بعض المصالح السياسية: فقد كشف مؤخراً عن أنه تعرّض لضغط شديد من بعض أركان الحكومة المصرية ما قبل الثورة كي يشكك في عقيدة الشيعة من خلال بعض الفتاوى، ووصل الأمر أحياناً إلى حد تهديده بالقتل أبان شغله منصب مفتي الديار المصرية.. إلا أنه أصر على موقفه الرافض لكل ذلك.

• مسؤولية المرجعيات الإسلامية:

إن الموقف الوحدويّ الشّجاع، والحريص على الأمَّة لمما يُثلج صدور كلّ السّاعين لجمع الشّمل وقطع الطّريق على الأيادي الّتي تسعى دائماً إلى تعميق الهوّة بين المسلمين. إن المسؤولية الكبرى تفرض على كلّ المرجعيّات الإسلاميَّة، سنيّة وشيعيّة، إلى أن تضمَّ صوتها إلى هذا الصَّوت الإسلاميّ الوحدويّ، ليكون الموقف واحداً على مستوى الأمَّة كلِّها، وليمثِّل ذلك رسالةً إلى كلّ الأعداء، وإلى كلّ قوى التكفير والتفرقة، بأنّ قرار الأمّة في تماسكها والحفاظ على وحدتها، هو قرار واحد وموقف واحد، مهما عصفت العواصف وتعقّدت الظّروف.. إنَّ المسلمين يبقون أمّةً واحدةً، كما أراد لهم الله؛ أمّةً تحمل في داخلها كلّ هذا التنوّع، أمّةً تقوى بتنوّعها، ولا يمكن النيل منها إذا عرفت كيف تتوحّد وتجعل من اختلافاتها مادة للقوة.

٦ رمضان ١٤٣٢ هـ
٦ أغسطس ٢٠١١ مـ

الغايات الثلاث

ثلاثة عناوين كبيرة تحدثت عنها الآيات القرآنية كغايات متحققة أو مرجوّة من وراء تشريع الصيام في رمضان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة:١٨٣-١٨٥.

وبالتالي فهذه الغايات هي:

• أولاً، التقوى:

التقوى هي الدعوة التي يدعو الله إليها عباده في أغلب الآيات، لممارستها كأسلوبٍ تربويّ في نطاق العمل الإنساني من خلالٍ مراقبة الله والإحساس العميق بوجوده. ويمكن القول أن التقوى بمثابة التلخيص العملي لكلمة الإسلام، لأنها تشمل الجانب الفكري الذي يمثل العمق الداخلي للإسلام، والجانب العملي الذي يمثل الحركة الخارجية له؛ وذلك بأن ينطلق المسلم في فكره وعمله وعاطفته وعلاقته وتعامله مع الآخرين، من خلال رضا الله في أمره ونهيه في عملية التزام وانضباط؛ (فلا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك)؛ وأن يملك إرادته في مواقع حركة المبادىء في الحياة، بين يدي ربّه، فلا تسقط التزاماته أمام ضغط شهواته ومطامعه.

• ثانياً، التكبير:

الملاحظ أن الشُّكر في الآية الأخيرة قُرن بالترجّي، تماماً كما التقوى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، بينما لا نجد هذا الترجي في تكبير الله ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ﴾. ولعل السر في ذلك أن تعظيم

التقوى بمثابة التلخيص العملي لكلمة الإسلام، لأنها تشمل الجانب الفكري والجانب العملي الذي يمثل الحركة الخارجية له

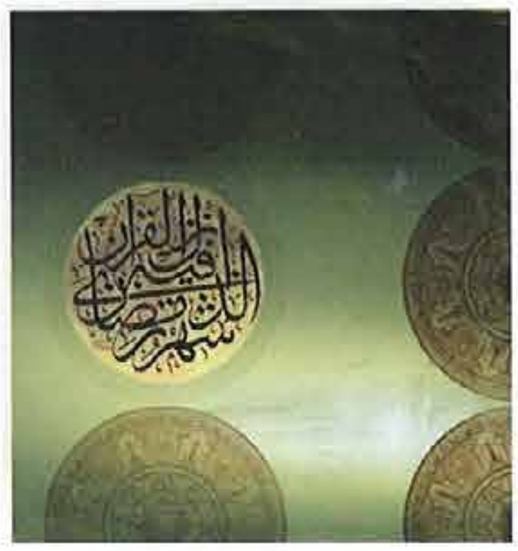



تكبير الله مطلوب من قبل جماعة المسلمين من خلال مظاهر صيام شهر رمضان ليتحقق في النفس الإنسانية باستشعار نعم الله

الله سبحانه متحقق في شهر رمضان من خلال الصيام، وذلك بالتزام عدد كبير من المسلمين بذلك، علاوة على الأجواء التي يعيشونها من خلال الصلوات المستحبة والحضور في المساجد وتلاوة القرآن والدعاء بما لا تشهده سائر الشهور، ومن خلال ذلك تتجلى صورة من صور تعظيم الله سبحانه، وإن لم يخلص البعض في نيته، وإن لم يحقق الكثيرون الشروط والأوضاع الحقيقية للصيام، فالتعظيم متحقق في الصورة الخارجية. تماماً كما في الحج حيث قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الحج:٣٧. فالصورة الخارجية لمناسك الحج وإقبال الملايين عليها والحركة التوحيدية العظيمة المتحققة فيها، تتجلى من خلالها صورة تعظيم الله وتكبيره، وإن لم يعش الكثيرون المفاهيم الحقيقية والكاملة للحج.

هذا بخلاف التقوى والشكر، فهما بحاجة إلى أن يسعى المسلم وراء الصيام الحقيقي، الصيام الواعي، والصيام الذي يشترك فيه العقل مع القلب ومع الجوارح في صورة متكاملة ترتقي بالإنسان ليحقق إنسانيته من خلالها ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) بعد أن اختار الكثيرون (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ التين:٤-٥.

• التكبير الذاتي:

وكما أن تكبير الله سبحانه المترتب تلقائياً مطلوب من قبل جماعة المسلمين من خلال مظاهر صيام شهر رمضان، كذلك هو مطلوب أن يتحقق في النفس الإنسانية باستشعار نعم الله تعالى المتحققة في شهر رمضان والمتمثلة في:

١. خصوصية نزول القرآن الكريم في هذا الشهر، وما فيه من هداية وفرقان بين الحق والباطل.

٢. الهداية المتحققة للناس تكوينياً في وجودهم من خلال العقل والفطرة وغيرهما، وكذلك في ما يحيط بهم.

٣. من خلال التغييرات التكوينية التي





يستشعر المسلم عظم الله فيصغر عنده كل من وما عداه ، فلا يدعو مع الله أحدا ، ولا يعطي المخلوق أية صفة من صفات الله المختصة به

تحدث في هذا الشهر العظيم كما في إغلال الشياطين وفتح أبواب الرحمة.

٤. بالهداية المتحققة من خلال الالتزام بتشريع الصيام فيه والبركات والفوائد المتحققة من وراء الصيام.

٥. برفع الحرج والضرر عن المريض والمسافر تخفيفاً وتيسيراً في التشريع.

٦. بجعل ليلة القدر ـ التي هي أفضل الليالي على الإطلاق وخير من مجموع عمر الإنسان ـ في هذا الشهر.

• قيمة التكبير:

إن إدراك كل هذه النعم العظيمة كفيل بأن يستشعر المسلم عظم الله، ليصغر عنده كلّ من عداه وكل ما عداه.

فلا يدعو مع الله أحداً، ولا يعطي المخلوق، مهما كان عظيماً أية صفة من صفات الله التي يختص بها كالخالقية والرازقية والقدرة المطلقة والعلم المطلق وما إلى ذلك. ولا يعطي المخلوق مهما كان قوياً أي قدرة على حرفه عن طاعة الله سبحانه ومواقع رضاه. ولا يعطي الشهوات والملذات مجالاً لتكون السبب في الوقوع في الآثام والكون في مواقع غضب الله سبحانه.

ومن هنا كانت هذه الكلمة (الله أكبر) هي بداية الصلاة، وهي التي تتغير من خلالها أفعال المصلي من قيام إلى ركوع إلى سجود إلى جلوس، ليشعر بعظمة الله سبحانه وتعالى وكبريائه الذي لا يدانيه فيها أحد، وكما روي عن علي عليه السلام في صفة المتقين: (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم).

• ثالثاً، الشكر:

الشكر هو تعبير عن إحساس الإنسان بإنسانيته، لأن الإنسان هو الذي يمتلك الشعور ويعترف بالجميل.. كما أنه انعكاسٌ لمعرفة الله، إذ أننا نعرفه من خلال ما نكتشفه من أسرار خلقه في أنفسنا وفيما حولنا، وقد جعل الله ما في هذا الوجود من مخلوقات مسخراً للإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ

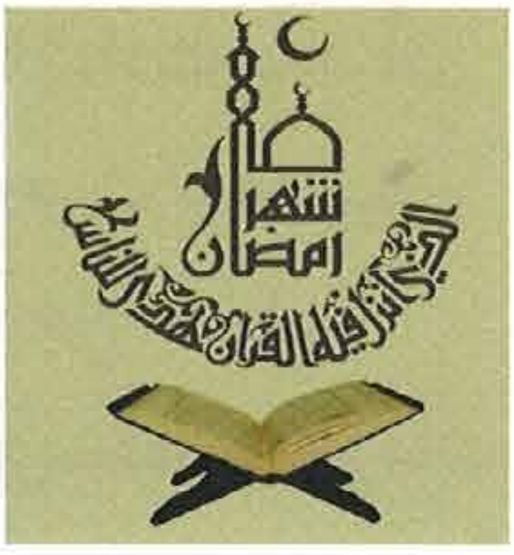

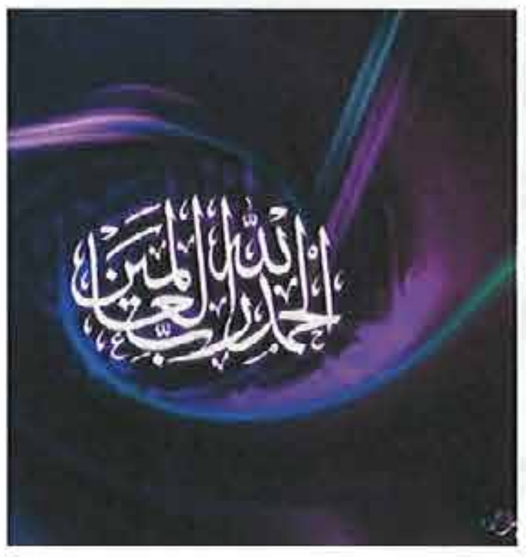

يتصل الشكر أيضاً بتوجيه النعمة الإلهيّة نحو الهدف الذي خُلقت من أجله ، لنشهد تزاوجاً بين مفهومي الشُكر والمسؤوليّة

نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان:٢٠. وهكذا نتعرّف الله تعالى في علاقتنا به من خلال هذه النعم.

ولا يتحقق الشكر فقط من خلال الكلمة التي هي من شؤون اللسان، بل الشكر يتمثل في طاعة الله سبحانه وتعالى في كل ما أمرنا أن نفعله، والانتهاء عن كل ما نهانا عنه فنتركه.

• الشكر والمسؤولية:

كما يتّصل الشكر أيضاً بتوجيه النعمة الإلهيّة نحو الهدف الذي خُلقت من أجله وتحقّقت النعمة من خلالها للإنسان. وهنا نشهد تزاوجاً بين مفهومي الشُكر والمسؤوليّة. ونلمح عند هذا التزاوج قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إنّ اللهَ لم يُنعم على عبد نعمةً إلا وقد ألزمه فيها الحجّة من الله؛ فمَن مَنّ الله عليه فجعله قويّاً فحجّته عليه القيام بما كلّفه، واحتمال من هو دونه ممّن هو أضعف منه؛ فمَن مَنّ الله عليه فجعله موسَّعاً عليه فحجّته عليه ماله، ثمّ تعاهده الفقراء بعدُ بنوافله؛ ومَن مَنّ الله عليه فجعله شريفاً في بيته، جميلاً في صورته، فحجّته عليه أن يحمد الله تعالى على ذلك، وأن لا يتطاول على غيره، فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله).

وربّما لأجل الجانب العمليّ للشُكر نجد هذا الاستهداف الإبليسي لبني آدم موجها نحو خصوصية سلب الشكر عنهم كما جاء في الآية القرآنية: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف:١٧. فهل سيكون صومنا في شهر رمضان من أدوات محاربة المخطط الشيطاني وإفشال مساعيه؟

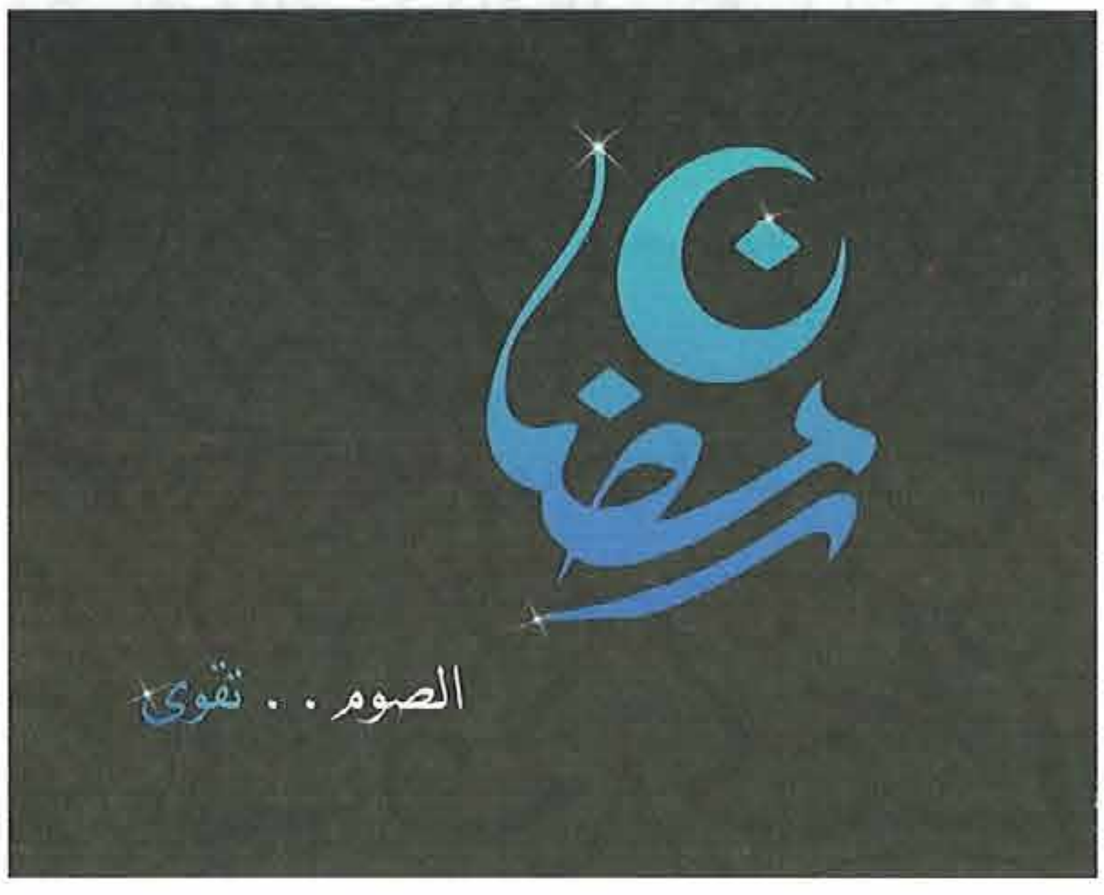

١٣ رمضان ١٤٣٢ هـ
١٣ أغسطس ٢٠١١ مـ

دراما الحسن والحسين

أهمية الإعلام اليوم ازدادت بعد أن بات جزءً من يومنا بحيث يصعب على الفرد أن ينفك عن مصادره وبات يحرّك شعوباً ويسقط حكومات

عندما ذم القرآن الكريم الشعراء الخاضعين لسلطان الدنيا بقوله عزوجل: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ الشعراء:٢٢٤-٢٢٧، فإنه في ذاتِ الوقت يكشف عن حجم تأثير الشعر على الإنسان العربي حينذاك، وعن أهمية التوظيف الصحيح له.

ولذا حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن يكون للشعر دور في سلمه وحربه، وألقى بردته على كعب بن زهير الذي كان يهجوه، وذلك بعد أن جاء مسلماً وألقى قصيدته المعروفة بقصيدة البردة.

أهمية الإعلام اليوم ازدادت بعد أن بات جزءً من يومنا، سواء على المستوى التحليلي أو الخبري أو العمل الفني أو غير ذلك، بحيث يصعب على الفرد أن ينفك عن مصادره، وبات الإعلام اليوم يحرّك شعوباً ويسقط حكوماتٍ ويوجه اقتصاديات وأموالاً بالمليارات.

• اعتراضات ودعاوى:

وقد أثيرت خلال الأسابيع الماضية موجة من الاعتراضات على مسلسل الحسن والحسين ومعاوية، بل هناك تهديد برفع دعاوى قضائية من قبل جهات وشخصيات عديدة. ومع التأكيد على أهمية صناعة السينما والمسرح وغيرهما من الوسائل الإعلامية، بل وضرورة ذلك، إلا أنه يمكن تلخيص الاعتراضات على مسلسل الحسن والحسين في أمرين رئيسيين:

١. تجسيد الشخصيات:

والسؤال المطروح: هل يحرم تجسيد الشخصيات المقدسة كالأنبياء؟ على مستوى علماء أهل السنة صدرت فتاوى عديدة، فالأزهر رفض إجازة العمل في بداية إنتاجه، وطالب بمنع عرضه استناداً لقرار مجمع البحوث الإسلامية الذي يحرّم





تجسيد الشخصيات ليس محرما ولكن يمكن أن يأتي التحريم لأن العرف السائد يعتبر التجسيد نوعاً من الإساءة لتلك الشخصية

ظهور الأنبياء والصحابة وآل البيت في الأعمال الدرامية.. وأخذت دار الإفتاء بمصر ذات الموقف.

وفي المملكة العربية السعودية توجد فتوى هيئة كبار العلماء، وكذك فتوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بتحريم تجسيد هذه الشخصيات.

وعلى مستوى فقهاء الشيعة فيمكن القول أنهم لايملكون الدليل النصّي من القرآن والسنة بحيث يحرّمون الأمر بعنوانه الأولي، أي من باب أنه تجسيد، وبالتالي يعتبرون أن الأصل فيه مباح، ولكن يمكن أن يأتي التحريم من باب أن العرف السائد يعتبر التجسيد نوعاً من الإساءة لتلك الشخصية، أو أن الممثل ـ بشخصيته ـ قد يسئ إليها، لأن هذا الممثل معروف بفسقه مثلاً، أو أنه صاحب أدوار هزلية، أو أن أداءه هزيل بما يعكس صورة هزيلة عنها، أو أن في النص كذب وتحريف.. وما إلى ذلك.

وقد سئل المرجع الديني سماحة السيد علي السيستاني: (ما هو رأي الشرع في تمثيل شخصية الإمام المعصوم في الأفلام والمسلسلات؟ فأجاب: إذا لم يكن فيه إساءة إلي شخصيته المقدسة في النفوس ـ ولو بلحاظ شخصية المتقمِّص ـ فلا مانع).

كما وسئل المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله عن ذلك فقال: (لا يحرم ـ من حيثُ المبدأ ـ أن نجسِّد صور الشَّخصيات المعظمة دينياً بالصُّورة أو بالتَّمثيل، لأنَّه لَم يرد هناك أيّ نصٍّ شرعي يُحرِّم ذلك، ولكن المسألة هي هل إنَّ إظهار شخصية النبيّ في هذا الفيلم أو المسرحية مسيء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أم لا؟ فإذا كانت تُسيء إليه في العُرف العام من أي جانب، فلا تجوز، وإذا كانت لا تُسيء إليه، فيجوز ذلك).

وهذا كان جوابه حول المسلسل حين سئل من قبل الجهة المنتجة، وهو لم يُجِز مضمون العمل كما فهم البعض من تصريح المنتج الذي قال: (السيد محمد فضل الله رحمه الله أعطانا فتوى خاصة



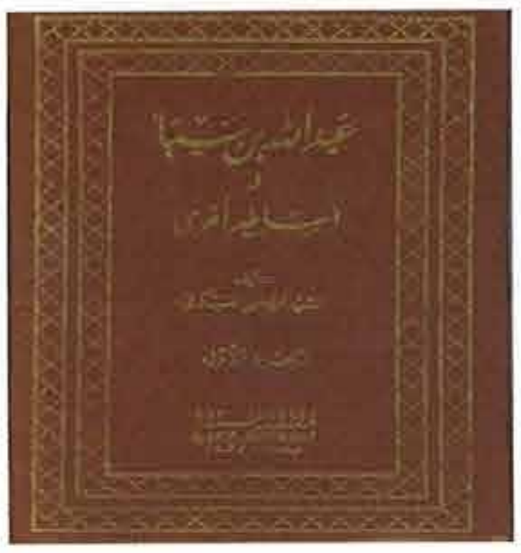

قال النبي للإمام علي في معنى خيرالبرية : (هم أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين و يأتي عدوّك غِضاباً مقمحين)

للعمل بجواز ظهور الحسن والحسين في المسلسل).

٢. المضمون:

لا أملك الحكم على مضمون هذا العمل الدرامي إذ لم أجد فرصة لمشاهدته ولم أقرأ نصَّه، ولكن تقييمي سيعتمد على ما صرّح به المنتج نفسه والذي قال: (تم وضع الروايات التي تخلو من الإساءة لأي طرف، وكذلك تخلو من الإساءة للصحابة. إنتاج المسلسل مبني على قاعدة حسن الظن بين الصحابة وإظهار مؤامرات اليهود التي أدت للخلافات فيما بينهم).

فلو أخذنا فقط هذه المفردة التي تركّز على دور عبدالله بن سبأ، فإنها ستؤكد بطلان ادعاء المنتج بعدم الإساءة للشيعة وآل النبي وأصحابه. فهذه الشخصية التي أثبت التحقيق أسطوريتها، وعلى الأقل هامشية دورها التاريخي، يمثِّل التركيز عليها أكبر إهانة للتشيع الذي نُتّهم عادة بأننا صنيعته، وقد قال رسول الله كما رواه عدة من أصحاب الحديث من أهل السنة، ومنهم الطبري في تفسيره، في تفسير سورة البينة عن ابن عباس أنه: (لما أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: هم أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، و يأتي عدوّك غِضاباً مقمحين). فالتشيع لعلي عليه السلام ليس صنيعة ابن سبأ.

كما أنه في ذات الوقت يمثل إهانة كبيرة لبعض الصحابة حيث يتم إظهارهم بصورة السذّج الذين يسمحون لشخصية مجهولة أن تتلاعب بهم وتوجههم وتستغفلهم إلى حد إحداث الفتنة وقتل الخليفة والدفع نحو الحروب التي تُسفك فيها دماء عشرات الآلاف من الأبرياء... علماً بأن أهم أسماء الصحابة الذين تذكرهم روايات ابن سبأ على أنهم من الذين انساقوا وراء مخططاته: أبوذر الغفاري وعمار بن ياسر ومحمد ابن أبي حذيفة وعبدالرحمن بن عديس،





إذا أردنا أن نحسن الظن في إنتاج دراما الحسن والحسين ، فنقول أن التقريب بين المسلمين لا يكون عبر الطعن في معتقدات الآخر ومتبنّياته

وكلهم ليسوا من مسلمة فتح مكة أو من أهل الوفود في العام التاسع أو العاشر الهجريين.

• سيف بن عمر:

ولا أستبعد ضمن هذا الاتجاه أن يكون المسلسل معتمداً على روايات سيف بن عمر التميمي مختلق شخصية ابن سبأ.. وسيف هذا المتهم بالزندقة، وقيل عنه أنه كان يضع الحديث على لسان الأثبات، وأن عامة رواياته منكرة، وأن فَلساً خير منه. ولو قارنت رواياته بسائر الروايات حول ذات الحدث التاريخي، فإنك ستجد الصورة دائماً مقلوبة، فالجاني يتحول إلى مجني عليه، والمظلوم ظالماً.. ومن أراد فليراجع كتاب عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى للمرحوم العلامة السيد مرتضى العسكري.

• إنتاج متوازن:

نعم، لا نتوقع من السني أن ينتج عملاً دراميا برؤية شيعية، كما لا نتوقع من الشيعي أن ينتج عملاً دراميا برؤية سنية، ولكن قارن بين هذا العمل وبين فيلم الرسالة مثلاً الذي حرص منتجوه على أن يحصل على موافقة أو مباركة المرجعيات الإسلامية على اختلافها، وأن يراعي الملاحظات التي قُدّمت إليه. صحيح أن ذلك العمل لم يخلُ من ملاحظات، إلا أنه مازال يحمل دلالات إيجابية في ذاكرة المشاهدين.

ولذا إذا أردنا أن نحسن الظن في أصل الغاية من إنتاج دراما الحسن والحسين، فنقول: ما هكذا تورد الإبل. فالتقريب بين المسلمين وإزالة أسباب الخلاف بينهم لا يكون عبر الطعن في معتقدات الآخر ومتبنّياته.



٢٠ رمضان ١٤٣٢ هـ
٢٠ أغسطس ٢٠١١ مـ

منابع الحرية عند علي عليه السلام

لم يكن مفهوم الحرية في ذلك الزمان يحمل دلالات كما يحملها اليوم ، أما عند علي (ع) فقد كانت لها دلالات أعمق جاوز بها الزمن قروناً طويلة

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف:١٥٧.

من أهداف إرسال الرسل ـ وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ فك القيود التي قيَّد الإنسان نفسه بها وحمل أثقالها فأرهقته، دون أن يكون لها أي مردود إيجابي يُذكر.. فكانت هذه قيود تكبّل حريته وتعيقها في حياته. وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام ربيب مدرسة الرسالة المحمدية، فعمل على ترسيخ الحرية في أكثر من بعد..

لم يكن مفهوم الحرية في ذلك الزمان يحمل دلالات كما يحملها اليوم، ولربما الدلالة الأبرز ـ وقيل الوحيدة ـ التي كانت لها هي الحرية في مقابل الرِّقّية وعبودية الإنسان للإنسان.. أما عند علي عليه السلام فقد كانت لهذه المفردة دلالات أعمق جاوز بها الزمن قروناً طويلة في أصل طرحها، وفي إدراك عمقها، دلالات تجلّت في سلمه وحربه.. في حكومته وسياسته وإدارته.. في علاقاته الاجتماعية وفي سلوكياته الفردية.. في تربيته لأبنائه وأصحابه.

• قيود العلاقات:

عندما تكون هناك عناوين اجتماعية أو امتدادات تاريخية تفرض على الإنسان أن يتخذ قررات تكون سبباً لإلحاق الضرر بالآخرين ـ ولذا فهي تخالف قناعاته ـ فهذا يكون من التقييد والإصر الذي يضاد الحرية التي آمن بها علي عليه السلام وعمل على ترسيخها. ولذا كان الإمام علي حاسماً في رفض طلبات من ناصروه وبايعوه بعد قتل الخليفة عثمان ابن عفان حين استشف منهم أنهم إنما يريدون ثمن تلك النصرة، أو الاستفادة من العنوان الاجتماعي أو صلة القربى التي تربطهم به.. رفض ليكون حراً أمام أي عنوان من هذا القبيل، وفكَّ نفسَه

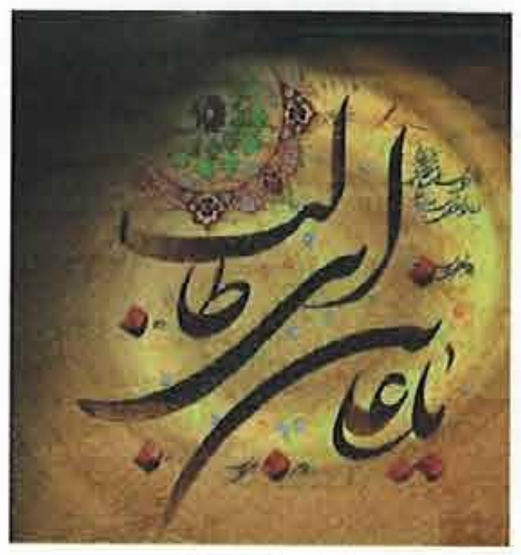

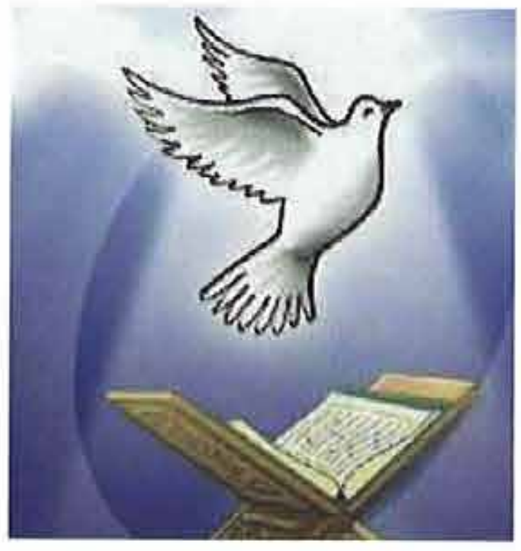

كان علي (ع) الزاهد الذي لا يرى في الدنيا قيمة إلا بما تمثّله من وسيلة لتحقيق العبودية لله، وهي العبودية الوحيدة التي آمن بها

من أي قيد يدفعه لفعل ما يخالف قناعاته ويضر بالآخرين.. وقدّم بذلك لكل الولاة والمسؤولين نموذجاً حياً للحرية في هذا الإطار: (والله لأن أبيت على حَسَك ـ شوك ـ السعدان مسهداً، وأجَر في الأغلال مصفَّداً، أحبّ إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشئ من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البِلى قُفولها، ويطول في الثرى حلولها؟ والله لقد رأيت عقيلاً ـ أخاه ـ وقد أملق حتى استماحني من بُرِّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سُوِّدت وجوههم بالعِظلِم [صبغة سوداء] وعاودني مؤكداً وكرّر عليّ القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعُه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دَنَف ـ مرض ـ من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانُها للعبه، وتجرّني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه؟ أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟ وأعجب من ذلك طارقُ طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة، شنئتها ـ كرهتها ـ كأنما عُجنت بريق حية أو قيئها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت. فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلت هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم ذو جِنّة أم تهجر؟).

• قيود الرغبات:

(مَن ترك الشهوات كان حراً).. بهذه الحكمة حرَّر علي نفسه من شهواته والتعلق بالدنيا، فكان الزاهد الذي لا يرى في الدنيا قيمة إلا بما تمثّله من وسيلة لتحقيق العبودية لله سبحانه، وهي العبودية الوحيدة التي آمن بها علي، وبما تمثّله من مجال لخدمة الإنسان وعمارة الأرض بالخير، ولذا اعتبر أن الدنيا: (مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله.



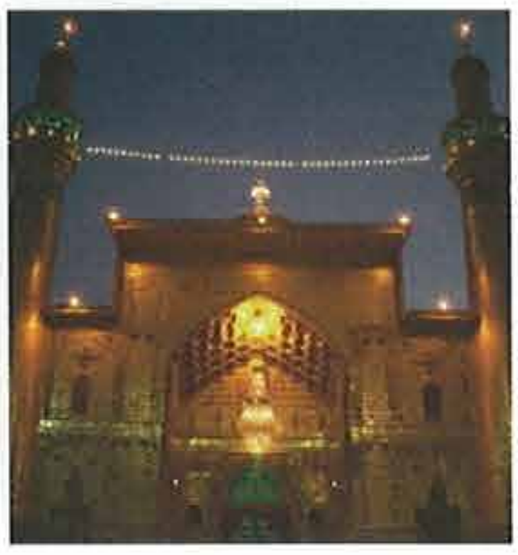

بالغ علي (ع) في تحرير نفسه حتى حرمها من مُتع مباحة، لأنه كان يرى أن موقعه يفرضً عليه أن يواسي الطبقة الأشد فقرا في المجتمع

اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة).. وكان الزاهد الذي لا يرى في المُلك قيمة إلا بما يمثله من موقع لإحقاق الحق وإقامة العدل: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت! وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها! ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى؟! نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين).

وبالغ علي في تحرير نفسه حتى حرمها من مُتع كان يمكنه أن ينالها بما هو مباح له، لأنهً كان يرى أن موقعه يفرض عليه أن يواسي الطبقة الأشد فقراً في المجتمع: (ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة. ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة
وحولك أكباد تحنّ إلى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟).. تحرر علي من كل ذلك ليتفلّت من كل قيد يحول بينه وبين إقامة العدل على الصديق والعدو معاً. ولكنه في ذات الوقت أوصى ولاته بأن يوسّعوا على القضاة كي لا يضطروا إلى الرشوة مما يؤدي إلى ظلم الحق ومسايرة الباطل، وهو يعلم أن الآخرين لن يتحملوا ما يتحمله: (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طُعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد).

• تقوى الأحرار:

وحتى تقواه وعلاقته بربه بناها على أساس الحرية، فهناك تقوى مصطنعة يقيّد الإنسان بها نفسه مراعاةً لبيئته، أو



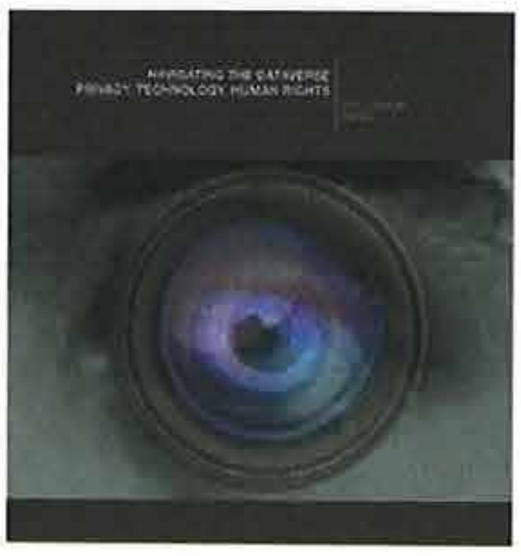

للحرية في دائرة الحقوق العامة
حضورها الواضح في كلمات الإمام
عليٍ وفي أفعاله ، فهو لم يستكره
أحداً على مبايعته

رغبة في مكسب دنيوي يحققه.. وهناك تقوى نابعة من طمع مشروع في عطاء إلهي أخروي، أو هروب من عقاب إلهي أخروي.. ولكن علياً تحرر من ذلك كله، فكانت تقواه نابعة من قناعته بأنها طريق الخير والحق، وأنها هي التي تحقق إنسانيته، وأنها هي التي فيها رضا الله، فكل عبودية ساقطة عند علي إلا العبودية لله، فهي التي ترفع الإنسان: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ مريم:٥٧.. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح:٤.

• حرية العمل:

وكانت للحرية في دائرة الحقوق العامة حضورها الواضح في كلمات علي وفي أفعاله، فهو لم يستكره أحداً على مبايعته، بل تركهم على خطئهم، وهو واثق بأنهم على خطأ.. وحتى حين بلغه أن بعضهم يرحل من الحجاز والعراق التحاقاً بمعاوية، فما كان من علي ليصدّهم، ولا حاول استبقاءهم وإغراءهم، فهم في قناعته أحرار يعملون عن مدى تصوّرهم: (اللهم إني دللتهم على طريق الرحمة وحرصتُ على توفيقهم بالتنبيه والتذكرة، ليَثيب ـ يرجع ـ راجع ويتّعظ متذكّر، فلم يُطَعْ لي قول. اللهم إني أعيد عليهم القول).. وكأنه عليه السلام يعيد صياغة الآية بكلماته: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ الغاشية:٢١-٢٢.

وحينما كتب إليه واليه على المدينة سهل بن حنيف يخبره بأن قوماً من أهلها لحقوا بمعاوية قال: (فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مدَدهم، فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومسرعون إليها. وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه، وعلموا أن الناس عندنا في الحقِ أسوة، فهربوا إلى الأَثَرة، فبعداً لهم وسُحقا، إنهم والله لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل).

• حرية القرار:

وحين أخبره الخرّيت بن راشد بأنه لن يأتم به، ولن يشهد معه الصلاة، ولن يأتمر بما يأمر ولن يكون له سلطان عليه فما كان من علي إلا أن أقرّه على ما ارتأى،



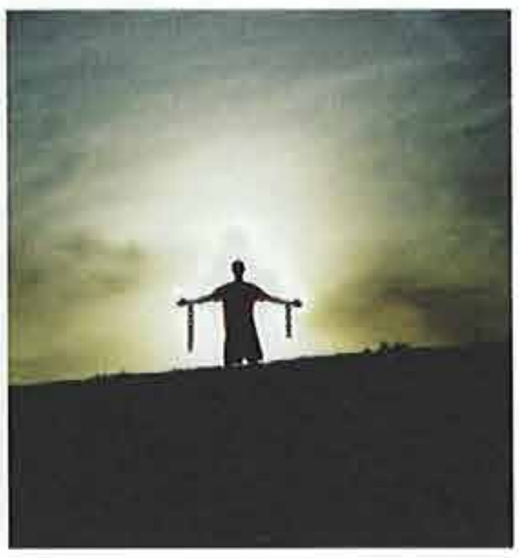

كانتِ الحرية بالنسبة إلى علي (ع) أصلاً من أصول الإنسانية .. حرية نابعة من العبودية لله ، فلا يتجاوز فيها العلاقة التي تربط العبد بخالقه

وخلاّه حراً في ما شاء.. حتى إذا خرج الخرّيت من الكوفة مع جمع من أنصاره لم يستكرههم على البقاء، وبيده ذلك، فلما أساؤوا استغلال هذه الحرية فاعتدوا على الأبرياء ونهبوا وأفسدوا، أرسل إليهم من أنصف منهم للأرض وللناس.

وحتى في الحرب لم يستكره علي عليه السلام أحداً ليكون من أنصاره، لا بقهر مادي ولا بإجبار معنوي، إنما كان يتوجه إلى عقولهم بمنطق العقل والحجة، ويتوجه إلى قلوبهم بمنطق الضمير والدليل، فإن ثابوا إليه أثنى عليهم، وإن تمردوا عاد عليهم بأبلغ الوعظ وأتم النصيحة.. فهو يأبى أن يلحق به أحد عن غير بصيرة وإيمان.. وكتاب نهج البلاغة ملئ بخطب الإمام التي يقيم فيها الحجج على خصومه.. تماماً كما امتلأ القرآن الكريم بآيات الحجج والبراهين، والله غني عن الناس.

لقد كانت الحرية بالنسبة إلى علي أصلا من أصول الإنسانية.. حرية نابعة من العبودية لله سبحانه، فلا يتجاوز فيها طبيعة العلاقة التي تربط العبد بخالقه.. وحرية نابعة من إيمانه بالمسؤولية فلا يرضى لها أن تتحول إلى أداة تسئ لحرية الآخرين أو الإضرار بهم أو الإفساد في الأرض.



٢٧ رمضان ١٤٣٢ هـ
٢٧ أغسطس ٢٠١١ مـ

القدس في وعي المسلم

عمل القرآن على جعل أرض فلسطين ـ والقدس على وجه الخصوص ـ حاضرة بقوة في وعي المسلمين على عهد رسول الله (ص)

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء:١.

كانت أرض فلسطين ـ والقدس على وجه الخصوص ـ حاضرة بقوة في وعي المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك من خلال عدة عناوين:

- العناية القرآنية بالقدس:

الآيات القرآنية المتعددة التي تحدثت عن تلك الأرض المباركة التي شهدت جهاد الأنبياء عليهم والسلام وجهاد من آمن معهم من أجل تمكين دين الله عليها والقيام بالقسط بين الناس، وقدّمت للمسلمين كعبر من التاريخ يدركون من خلالها سنن الله سبحانه وقوانينه في المجتمعات البشرية، وكوسيلة لبث روح النضال والصبر والاستقامة وترقب النصر الإلهي الحاسم. ومن تلك الآيات قوله تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء:٧١، وقوله على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ المائدة:٢١، وقوله تعالى عن النبي يوشع بن نون عليه السلام ومن معه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الأعراف:١٣٧.

وعن السيدة مريم وزكريا ويحيى عليهم السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمَ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ

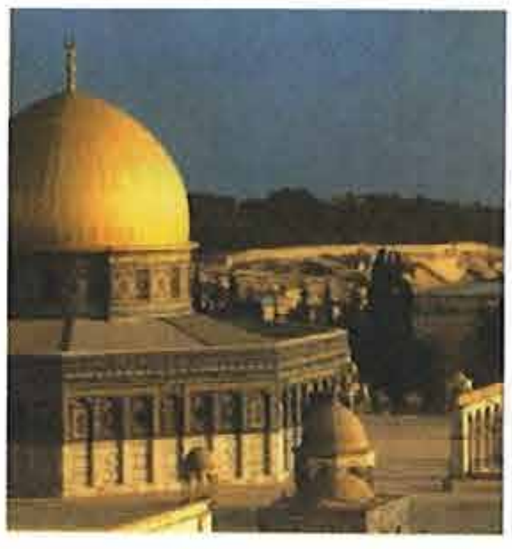

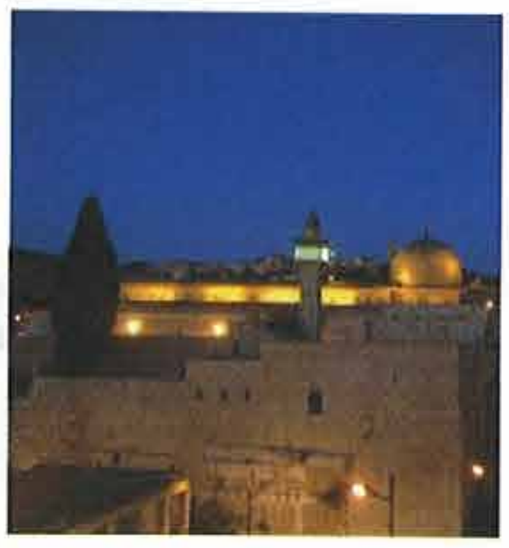

كان المسجد الأقصى مصدر وحيً للرسل وللناس وللحياة ، كما كان موقع وحي من خلال ما كان يتنزل فيه من وحي الله على رُسله

الدُّعَاء، فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران:٣٦-٣٩.

• إسراء النبي:

حادثة الإسراء التي شهدت انتقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.. إلى بيت المقدس.. الذي اكتسب من النفحات الروحية التي عاشها الأنبياء فيه، ومن التسبيحات الخاشعة لله التي انطلقت من قلوبهم، ومن الابتهالات التي كانت ترتفع في سمائه والتي تتفايض بالمحبة لله والخشية منه، ومن حركة الرسالة في خطوات الأنبياء والمؤمنين المتحدّية للشرك وللكفر وللضلال، والواقفة في مواقع ردّ التحدّي بالكلمة تارةً، وبالصبر أخرى وبالمواجهة ثالثة. وهكذا كان هذا المسجد مصدر وحيً للرسل وللناس وللحياة، كما كان موقع وحيً من خلال ما كان يتنزل فيه من وحي الله على رُسله.. جاءت هذه الحادثة لتكون بمثابة رحلة عبر التاريخ في زمن قياسي، شاهد من خلالها النبي من آيات الله ما شاء، ولتؤكد على هذا البعد العميق في الارتباط بينه وبين من سبقه من الأنبياء في مسيرتهم الرسالية التي يجمعها عنوان توحيد الله، وتؤكد وحدة مسار النبوات في المنطلقات والغايات، ولترسخ في وجدان كلِ مسلم قداسة تلك البقعة وأهميتها: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران:٦٨.

• قبلة المسلمين الأولى:

تعيينها قبلة الصلاة للمسلمين في بادئ الأمر ولعدة سنوات.. فعلى الرغم من وجودهم في مكة، وعند البيت الحرام، إلا أن الله سبحانه جعل المسجد الأقصى قبلتهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ



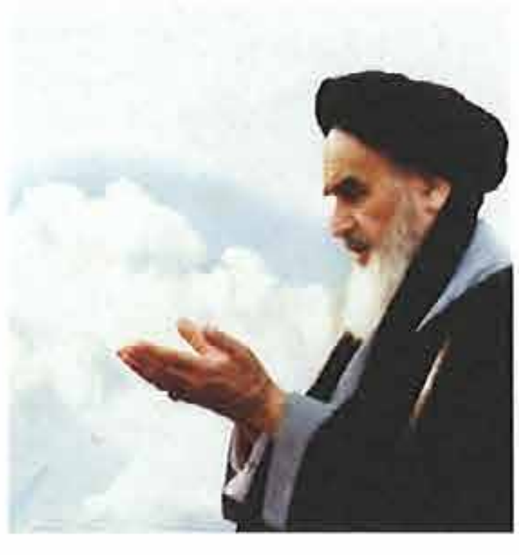

كانت القدس والقضية الفلسطينية حاضرة في وعي الإمام الخميني بقوة حين جعلها واحدة من القضايا المركزية في حركته الثورية

لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة:١٤٣، والمسألة لم تكن سهلة كما حدثنا بذلك القرآن الكريم، بل كانت كبيرة صعبة.. ولكن لعل التأكيد على وحدة خط النبوات ـ بما فيها هذه النبوة ـ كان يستدعي ذلك من خلال موقعية بيت المقدس كرمز للنبوات السابقة وقبلةٍ لأهل الكتاب.

• يومِ القدس العالمي:

إذاً أرض فلسطين، والقدس، وبيت المقدس كانت حاضرة بقوة في وعي المسلمين على عهد رسول الله، من خلال عناوين التوحيد والنبوة والجهاد والعبادة والطهارة الروحية والبركة والقداسة.. وهكذا كانت حاضرة بقوة في وعي وضمير كل مسلم غيور في الأزمنة اللاحقة لاسيما في أجواء التحديات التي عاشتها هذه الأرض من خلال احتلال الصليبيين ثم الاستعمار البريطاني ثم العدوان الصهيوني.

ومن هنا كانت القدس والقضية الفلسطينية حاضرة في وعي الإمام الخميني بقوة حين جعلها واحدة من القضايا المركزية في حركته الثورية، معتبراً أن تحرير الأراضي المحتلة من دنس الصهاينة أمر واجب ومقدس على كل مسلم، وليجعل من آخر جمعة من كل شهر رمضان يوماً خاصاً للقدس، لتبقى القضية حية على الرغم من كل محاولات التمييع والتهميش والتدليس، وليعطيها البعد الرسالي والروحي من خلال اختيار يوم الجمعة وشهر رمضان لتكون وعاءه الزمني، بينما جعل من العالم كله وعاءً مكانياً له، لأن مسؤولية إحقاق الحق هي مسؤولية كل إنسان حر.

وقد دفعت إيران من خلال تمسكها بالقضية الفلسطينية ورفضها لكل المساومات ودعمها للمقاومة الفلسطينية ضريبة كبيرة، وما زالت.. وإذ أخذت تركيا على عهد حكومة حزب العدالة والتنمية دورها في المنطقة، وانطلقت في





سر القوة في وحدة الكلمة وفي تضافر الجهود وتجاوز العناوين الوهمية والفرعية التي تفت في العضد وتُمعِن في الضعف

دعم القضية الفلسطينية، فإن من الخطأ الاستراتيجي الفادح على المستوى العربي السعي لتهميشٍ ـ بل ومحاربة ـ الدور الإيراني، نزولاً عند الانحياز الطائفي أو التنافس على الحضور الإقليمي أو غير ذلك من العناوين.

• وحدة الكلمة والموقف:

إن سر القوة في وحدة الكلمة وفي تضافر الجهود وتجاوز العناوين الوهمية والفرعية التي تفت في العضد وتُمعِن في الضعف.. وإذا أضفنا إلى ما سبق الهزائم التي مني بها الكيان الإسرائيلي على يد المقاومة البطلة وانهيار أسطورة إسرائيل التي لا تُهزَم، ونهضة الشعوب العربية التي تجلت في شعاراتها حالة العداء للكيان الصهيوني والمطالبات بإلغاء ما يسمى بمعاهدات السلام معه وطرد الديبلوماسيين الإسرائيليين وغير ذلك من مظاهر التضامن مع القضية الفلسطينية، فإنها بإجمعها يمكن أن تشكل عوامل متضافرة في طريق عودة الحق إلى أصحابه: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال:٤٦.



٥ شوال ١٤٣٢ هـ
٣ سبتمبر ٢٠١١ مـ

أنفِق ما في الجيب !!

سألني أحدهم عن الموقف الشرعي من تجارة الاستثمار بالذهب، وذكر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة:٣٤-٣٤، وهو يتوجس خوفاً أن يكون بتجارته هذه من مصاديق الآيات السابقة، فالآية الأولى وإن بدأت الحديث حول الأحبار والرهبان، ولكن قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ فيه حديث عن نموذج من نماذج الانحراف الذي تمثّل في سلوكهم وفي سلوك مَن سواهم.

وبالتالي فالسؤال المطروح: هل الآية بصدد تحريم مطلق الادخار واعتباره نوعاً من أنواع البخل وعدم الثقة بالله وكفر النعم وطول الأمل؟ أم أنها بصدد تحريم خصوص ادخار الذهب والفضة؟ أم غير ذلك؟

• سؤال آخر:

وهكذا سألني أحدهم عن صحة الفكرة التي وصلته من أحد المشايخ بأن القاعدة الإسلامية في المال هي (أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب) وأن الادخار يتعارض مع هذه القاعدة.. إذاً ما هي دلالة الآيات؟ وعلى أي شئ تنطبق؟

اعتبر العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي أن الشرع الإسلامي لا يعارض أصل مسألة الادخار، وأن لا حد لهذا الادخار، ولكن الآية بدلالة كلمة الكنز التي تعني (الجمع مع تضمنها معنى الإخفاء عن العيون) إنما هي بصدد بيان حكم حالة معينة، وهي إخفاء المال عن الأنظار، والامتناع عن تحريكه في أجواء السوق التجاريّة، أو في مجالات الإنفاق العام الذي قد يتمثل في الحقوق الشرعية الواجبة، أو في ما يفرضه وليّ الأمر من إنفاقات طارئة بسبب ما يحتاجه المجتمع

اعتبر العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي أن الشرع الإسلامي لا يعارض أصل مسألة الادخار وأن لا حد لهذا الادخار

الإسلامي، ما يجعل من إخفائه مانعاً عن الاطلاع عليه للاستفادة من ذلك في مواجهة المشاكل الاقتصادية التي تحدث في المجتمع، قال: (فالآية إنما تنهى عن الكنز لهذه الخصيصة التي هي إيثار الكانز نفسه بالمال من غير حاجةٍ إليه، على سبيل الله مع قيام الحاجة إليه).

• دلالة أوسع:

أما المرجع الراحل السيد فضل الله فقد اعتبر في تفسيره (من وحي القرآن) أن تفسير الآية بهذه الصورة سيجعل دلالتها محدودة جداً في حالات معينة قد لا تتكرر كثيراً في تصرف الأفراد، مما يفقد الآية دلالتها الواسعة التي تحاول من خلالها معالجة انحرافٍ عند الناس، فكم نسبة الأشخاص الذين يخفون أموالهم عن الأعين حباً للمال؟ والغالب في تصرف الناس أن حبهم للمال يدفعهم للاستثمار وتحريك المال تجارياً لزيادته.

ولذا اعتبر أن الآية تتحدث عن ظاهرةٍ عامة منحرفةٍ تتمثّل في أولئك الذين ينحرفون بالمال عن هدفه، ويعيشون الحياة للمال ويعتبرون جمعه قيمةً حياتيّة، بعيداً عن أيّ هدف كبير يتعلق بحياة الناس، الأمر الذي يدفعهم إلى أن يحصلوا عليه بالحق، أو بالباطل، كهؤلاء الأحبار والرهبان، ويستغرقوا فيه، كما لو كان هو الهدف للحياة، فيؤدي ذلك إلى أن يمنعوه عن المجالات العامة التي أراد الله للمال أن ينفق فيها، ممّا أمر الناس أن ينفقوه في سبيله.

• حصيلة الرأيين:

على العموم، سواء فهمنا الآية بتلك الصورة أو بهذه، فإن الموقف الشرعي لا يتعارض مع أصل الادّخار، مادام أن الإنسان يقوم بوظيفته المالية في الإنفاق على نفسه وعياله وفي أداء مسؤولياته المالية تجاه الله والمجتمع، أو مادام أنه لم يحوّل المال إلى غاية وقيمة حياتية.

ولعله يمكن الاستشهاد بمفهوم قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الإسراء:٢٩ للدلالة على ذات الفكرة، وهذا أيضاً ما تؤكده الحكمة المروية عن النبي وعلي والحسن عليهم السلام: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) فهل يمكن لإنسان أن يعمل في الشأن المالي والاقتصادي كأنه سيعيش للأبد دون أن يدخر للطوارئ وللاستثمار وأمثالهما؟!

وأما النصوص من قبيل ما جاء في ذيل رسالة الإمام الرضا لابنه الجواد عليهما السلام: (فأنفق ولا تخش من ذي العرش إقتاراً) فيبدو أنها ناظرة إلى الكرم في العطاء، لا أنها تذم أصل الادخار.

• الاستثمارات الكويتية:

وقد نهضت الكويت بعد الاستقلال ـ

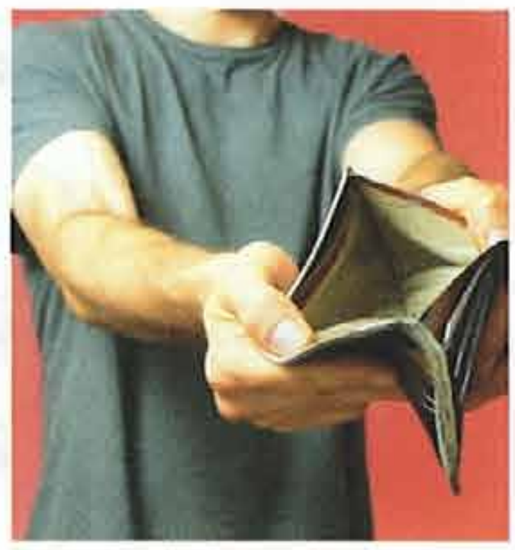



نهضت الكويت بمشاريع ضخمة عالمية ادّخرت فيها الأموال واستثمرتها للأجيال القادمة وكان لها التأثير الإيجابي داخليا وخارجيا

في سياسة حكيمة ـ بعدة مشاريع ضخمة إقليمية وقارية وعالمية ادّخرت فيها الأموال واستثمرتها للأجيال القادمة وللأزمات وغير ذلك، وكان لهذه المشاريع التأثير الإيجابي داخليا على المستوى الاقتصادي وبالتالي على القطاعات المختلفة بالبلد، وخارجياً على المستوى السياسي والعلاقات الدولية وحتى بمنظور إعانة الدول الفقيرة وإغاثة الملهوف والمحروم وغيرها من العناوين.

هذه الحركة المميزة للكويت والتي على الرغم من صغرها جعلتها في موقع مميز عالمياً لعقدين من الزمن تقريباً، هذه الحركة أخذت بالتباطؤ والتخلف كما هو واضح.. وفي عام ١٩٩٧ عاشت الكويت أزمة اقتصادية خانقة مع نزول قيمة برميل النفط إلى ٩ دولارات أو أقل، وبعد ذلك بعشرة أعوام عاش العالم أزمة اقتصادية لم يتعافَ منها بعدُ حتى بات الحديث من جديد عن احتمالات ظهور أزمة مالية عالمية جديدة قد تكون أشد وطأة على المديين المتوسط والبعيد.

ولكن للأسف مازالت هناك غفلة وهناك حالة من التراخي وهناك حالة من الانشغال بتوافه الأمور والقضايا الهامشية والفرعية في السلطتين التشريعية والتنفيذية، وسيأتي اليوم الذي تُعض فيه الأصابع ندماً إن لم تتم المعالجة الاقتصادية السليمة.. لا تنظروا إلى مستوى الرفاهية التي نعيشها اليوم.. فلننظر على الأقل إلى الهزات التي وقعت في الأسواق العالمية خلال الأسابيع الماضية، وإلى ما جرى في لندن ومدن بريطانية أخرى ولعل محركه الأساسي الوضع الاقتصادي الخانق، لنعرف ما هو الوضع الاقتصادي الذي قد يُقبل على العالم ككرة الثلج.. فهل من مدّكر؟!

١٢ شوال ١٤٣٢ هـ
١٠ سبتمبر ٢٠١١ مـ

إعدام مرتد

لا تختص عقوبة الإعدام للمرتد بالتشريع الإسلامي وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية قانون الردة بحيث كانت العقوبة هي الإحراق

يطرح موضوع عقوبة الردة كواحدة من الإشكالات على التشريعات الإسلامية، حيث تكون العقوبة هي الإعدام، إما بحق المرتد الفطري (من كان مسلماً في الأصل ثم ارتد) أو بحقه وبحق المرتد الملّي (من كان على دين ثم أسلم ثم ارتد).. وبالتالي يعتبر أصحاب هذا الإشكال أن هذه العقوبة:

١. غير متناسبة مع حجم الفعل، فمن ارتد سينال عقوبته في الآخرة، أما في الدنيا فلربما لا يصدر منه قبيح على مستوى السلوك الخارجي بما يستحق معه عقوبة الإعدام.

٢. غير متوافقة مع حرية الرأي والعقيدة المكفولة بقوله سبحانه: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة:٢٥٦.

سأقدم النقاط التالية ـ كإجابات لهذا الإشكال ـ ولكن بصورة إثارات متنوعة في محاولة لفهم هذا التشريع من نواح مختلفة متعددة الأوجه.

• الردة عند الآخرين:

لا تختص عقوبة الإعدام للمرتد بالتشريع الإسلامي فقط، ففي التوراة في سفر التثنية الإصحاح ١٣: (وإذا أغواك سراً أخوك ابنُ أمك أو ابنُك أو ابنتُك أو امراةُ حضنِك أو صاحبُك الذي مثلُ نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينُك عليه ولا ترق له ولا تستره، بل قتلاً تقتله. يدُك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً. ترجمه بالحجارة حتى يموتَ، لأنه التمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشرير في وسطك).

وفي القرن الخامس عشر الميلادي أقرت الكنيسة الكاثوليكية قانون الردة



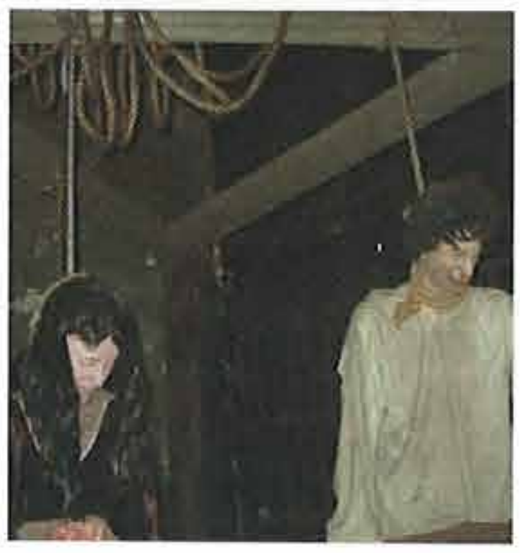

عقوبة الإعدام للمرتد ليست من الضرورات الفقهية غير القابلة للمناقشة ، ولذا ناقش بعض الفقهاء في هذه العقوبة من عدة جهات

عن المسيحية بحيث ـ كما ذكر المؤرخون الغربيون ـ كانت العقوبة القصوى هي الإحراق في المحرقة أحياءً إن لم يعترفوا بالذنب قبل بدء المحاكمة، فإن اعترفوا بعد صدور الحكم فيُرحم بشنقه أوّلاً ثم إحراقه). وقد نال هذه العقوبة الآلاف في أوروبا. ولست في مقام تبرير الحكم الشرعي الإسلامي، ولكن السؤال: لماذا يوجَّه هذا الإشكال إلى الإسلام فقط، ويغض الطرف عن غيره؟ فإن أثبتنا أن هذا هو التشريع الإسلامي بحق المرتد، فلن يكون بدعاً عن غيره.

• ليس ضرورة فقهية:

عقوبة الإعدام للمرتد ليست من الضرورات الفقهية غير القابلة للمناقشة، ويعود ذلك لأسباب:

١. القرآن لا دلالة فيه على الحكم المذكور، بل ربما تُدّعى دلالته على العكس كما في آية ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

٢. الأحاديث عند دراستها قابلة للمناقشة في سندها، وكذلك في دلالتها على المطلب.

٣. العقل لا دلالة له على الحكم المذكور.

ولذا ناقش بعض الفقهاء في هذه العقوبة من جهات منها: (هل أن حد الردّة حُكمٌ مولوي تشريعي أو أنه حُكمٌ تدبيري يقرّه الحاكم ضمن ظروف معينة قد ترتفع فيتغير الحكم؟)

فإن كان مولوياً لم يحق لأحد رفعه أو تغييره، وهو يتسم بالثبات والديمومة. وإن قلنا بأنه تدبيري فسيكون حكماً مؤقتاً قابلاً للتغيير أو التجميد من قبل الحاكم الذي بيده السلطة الشرعية. ويرى البعض أنه من المعقول جداً أنّ الإسلام اتخذ هذا الإجراء الشديد في بداية تأسيس المجتمع الإسلامي الفتي والذي كان يواجه المخاطر من الخارج والداخل كالمنافقين وذوي النفوس المريضة الذين كانوا يتربّصون بها الدوائر.

فيكون التشدُّد إزاء حالات الردّة أمراً مفهوماً ووجيهاً لئلا تؤدي ردّة من هنا وردّة من هناك إلى تعريض الكيان برمّته إلى خطر الانهيار.

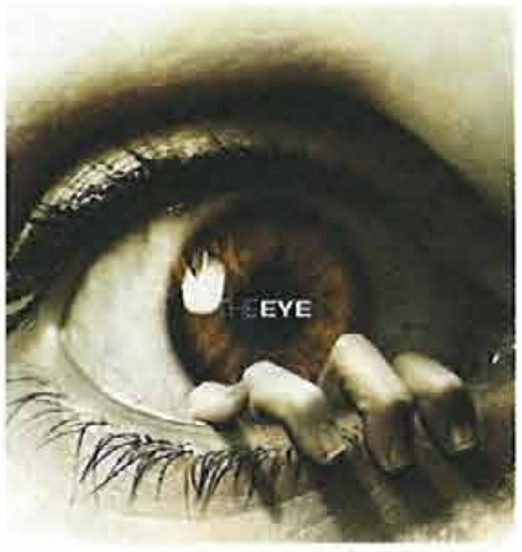



الاستتابة تعني الحوار مع المرتد، بدعوته إلى طرح الأسس التي ارتكز عليها في إنكاره للإسلام، ومن ثم مناقشته فيها وإثبات خطئه

• خيانة المجتمع:

ولو افترضنا أنه تشريع مولوي، فيراه البعض من باب العقوبة على خيانة المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه، وأنه لا يخص مجرد الردة الفكرية، وإنما هو ناظر إلى الردة التي تمثل خروجاً على النظام الإسلامي أو تتحول إلى عمل تمردي أو انشقاقي أو عدواني، ما يجعل الردة مساوية لما يعرف فقهياً بالحرابة، باعتبار أن إعلان الردة يمثل سعياً لتحدّي وهدم الأساس الذي تقوم عليه الدولة الإسلامية، وهو الدين الإسلامي. ومن الطبيعي لكل دولة أن تسعى للحفاظ على المبادئ التي تأسست عليها، وأن تضع العقوبة المغلظة كالإعدام لمن يسعى لهدم أساس من أسسها.. وإلا فإن هذا المرتد لو احتفظ بقناعاته لنفسه ولم يخرج بها إلى العلن لم يُعاقب.

ولربما يشهد على ذلك القيد الموجود في نهاية الخبر التالي المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يحلّ دم امرئ مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلاّ بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة). على اعتبار أن مفارقة الجماعة يعني الإجهار بذلك، بما يمثل صورة للتحدي والسعي للتخريب أو الانضمام لأعداء الدولة الإسلامية.

ومن هنا أيضاً لربما يقال أن حكم الإعدام لا يُنفّذ عندما لا يكون الحكم في الدولة قائماً على أساس ديني إسلامي، لأن عنوان الخروج على النظام الإسلامي غير متحقق حينئذ من الأساس.

• مفهوم الاستتابة:

الاستتابة ـ سواء قلنا بأنها من حق كل مرتد، أو المرتد الملّي فقط ـ تعني الحوار مع المرتد، بدعوته إلى طرح الأسس التي ارتكز عليها في إنكاره للإسلام، والدخول في حوار مع العلماء المختصين حول كل تلك المفردات بكلّ حرية وموضوعية، من أجل إقناعه بالخطأ الذي وقع فيه في رفضه للدين وخروجه منه، فإذا امتنع من



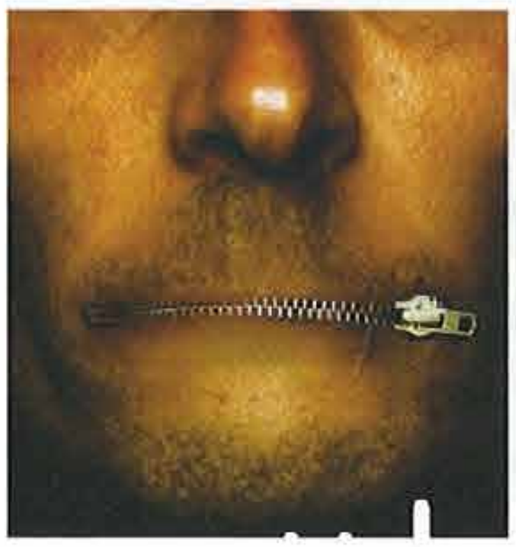

لابد من تعريف دقيق للردّة ، وهل يعتبر الشاك مرتدا.. وقد اعتبر بعض المحققين أن من لديه شبهة لا يُعد مرتداً إذا كان موضوعياً في شكه

الدخول في الحوار، أو بقي على سلبيته بعد إقامة الحجج عليه، فإنّ ذلك يدل على أنَّه ينطلق في موقفه من حالة عناد يبيّت من خلالها نية سوء تجاه المجتمع الإسلامي.

ثم إن المحاورين إذا لم يمتلكوا الردود المقنعة للمرتد ولا الدليل على صحة كلامهم وخطئه، فليس لهم عليه أيّة حجة في ارتداده وإيقاع العقوبة عليه.

• حكم الشاك:

ثم لابد من تعريف دقيق للردّة.. وهل يعتبر الشاك مرتداً أم لا.. وقد اعتبر بعض المحققين أن من لديه شبهة وشكاً لا يُعد مرتداً، بل اعتنى الإسلام بحالة الشك عند الإنسان إذا كان موضوعياً في شكه ومخلصاً في حركته نحو الحقيقة، وهناك حديثان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يؤكدان ذلك، ففي أحدهما: (لو أن الناس إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا). وسأله شخص قال له: (رجل شك في الله؟ قال كافر، قال شك في رسول الله؟ قال: كافر، ثم عقّب؛ إنما يكفر إذا جحد). أي أنه ما دام في دائرة الشك الذي يتحرك في اتجاه اليقين من خلال البحث فإنه ليس كافراً.

• الجهل بالإسلام:

ويضاف إلى الشاك من عاش من المسلمين في عزلة بعيداً عن المجتمعات الإسلامية، ولم يصلهم شئ عن حقيقة الإسلام سوى أنهم ورثوا هذا العنوان عن أسلافهم، وفي المقابل أخضعوا لعمليات ضخٍ تربوي وإعلامي مناهض للدين عموماً أو للإسلام خصوصاً، كما حصل لمجتمعات إسلامية أبان العهد الشيوعي مثلاً.. فهل يمكن اعتبار هؤلاء ـ فيما لو تركوا دينهم مرتدين ـ من الذين يستحقون عقوبة الإعدام، وبلا استتابة ولا إقامة الحجة والدليل عليهم؟! لا أظن أن أحداً من الفقهاء ممن يملكون حس الواقعية والفهم الموضوعي يقول ذلك.. والحدود تُدرأ بالشبهات.

١٩ شوال ١٤٣٢ هـ
١٧ سبتمبر ٢٠١١ مـ

أنا ربكم الأعلى

من الشخصية النرجسية يأخذ صاحب الأنا المتضخمة حاجته القسرية إلى الإعجاب .. أي أنه يريد من الآخرين دائماً أن يعجبوا به

في القرآن الكريم صور عديدة لتضخم الأنا، سواء من الذين كانوا يحكمون في الأرض، أو من الذين كانوا يواجهون الحقَّ ورسلَ الله بالمواقف المتشنجة وردود الفعل العنيفة.. حتى تصل بهم هذه الأنا المتضخمة إلى مستوى وضع أنفسهم في مصاف الله سبحانه وتعالى كما فعل نمرود.. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ البقرة:٢٥٨.

بل وحتى التعالي على الله سبحانه وتعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص:٣٨.. ليتجاوزوا بذلك أنا إبليس المتضخمة التي لم تصل أبداً إلى هذا المستوى، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الأعراف:١٢.. فمن الواضح أن كلامه يتضمن إقراراً بأنه مخلوق، وبأن الله خالقه.

• ثلاث شخصيات:

في علم النفس يعتبر (تضخّم الأنا) حالة عصابية مرضية تتجمع فيها ثلاث شخصيات مختلفة هي: (النرجسية) و(التسلطية) و(الاحتوائية).

فمن الشخصية النرجسية يأخذ صاحب الأنا المتضخمة حاجته القسرية إلى الإعجاب.. أي أنه يريد من الآخرين دائماً أن يعجبوا به بالصورة التي هو يريدها، وأن لا يتوقفوا عن المديح والإطراء. ولأنه يتظاهر بامتلاك قدرات فريدة، فإن على الآخرين أن يتعاملوا معه على أساس أنه مميز، وأن تقديمه على أنفسهم هو استحقاق لا يستوجب حتى الشكر منه.

ويأخذ من الشخصية التسلطية انفعالاتها الغاضبة واندفاعيتها، وتصنيفها الناس بثنائيات، كتقسيم الناس إما إلى صديق أو عدو، ومعسكر خير ومعسكر شر.. وكذلك التصرف بالتعالي والعجرفة نحو من هم أقل منه منزلة.

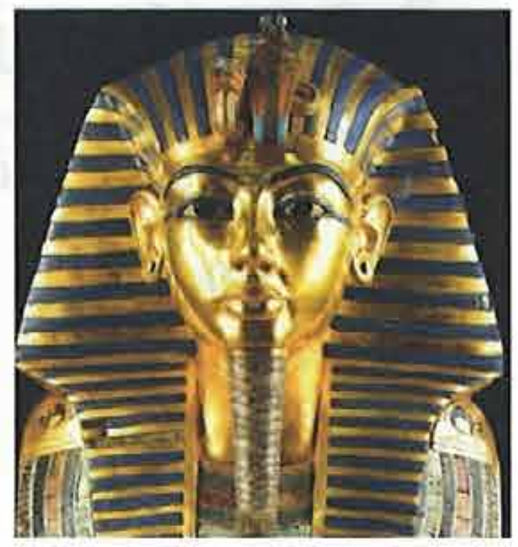



لما كانت هذه الأنا المتضخمة قابلة أن تظهر في كل واحد منا ، فلننظر إلى أنفسنا بتروٍّ .. لعلنا نجد لهذه الأنا المتضخمة وجودا

ويأخذ من الشخصية الاحتوائية السعي إلى السيطرة على الآخرين واحتواء وجودهم المادي والمعنوي وحتى أفكارهم، ولو بأساليب تمثيلية.. وهكذا تتشكل هذه الشخصية المعقدة لتتحول إلى وجود مفسد ومدمّر.

• القذافي والإمام علي:

قبل ٢٥ سنة تقريباً سمعت من أحد الأصدقاء كان مع وفد قد التقى معمر القذافي يقول: (قال لنا القذافي في أثناء حديثه معنا: خبصتونا بالإمام علي! وما هو إلا طالب ملك، لم يُعطَ مُلكاً، ففعل ما فعل!!).. في الوقت الذي يدرك فيه أي منصف يقرأ للإمام علي عليه السلام أنه قد أخمد كل طموح للأنا في نفسه في بداية تجليات الخلاف علي الحكم وهو القائل: (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، ووَاللهِ لأسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ولَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إلا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وفَضْلِهِ، وزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ).. وعند تكالب الناس عليه ليقبل استلام الحكم، قال: (أَمَا والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لا حُضُورُ الْحَاضِرِ وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ومَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إلا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ولأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ).. وعندما شهر البعض سيوفهم في وجهه قال: (وقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الأَمْرَ بَطْنَهُ وظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إلا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، ومَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ).. حتى إذا بذل كل جهده في الإصلاح من أجل ردّهم عن موقفهم، فأبوا وبدؤوا بالقتال، قال: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ولا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ولَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ونُظْهِرَ الإِصْلاحَ فِي بِلادِكَ فَيَأْمَنَ

الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ).

• أحرقوا الأرض بما فيها:

وفي المقابل انظر إلى المشهد العربي خلال الأشهر الماضية، سواء في ليبيا أو غيرها، وتمعّن في انعكاسات تضخم الأنا.. الشعوب تخرج جزعاً من الظلم والفساد والفقر، حتى أن بعضهم ليحرق نفسه احتجاجاً ويأساً من الحياة، لتُقابَل تلك الاحتجاجات السلمية بالقتل والتدمير وإشعال نيران الحرب حتى يقول قائلهم: إذا أرادوا إحراق البلاد فليكن.. فهو مستعد أن يحرق البلاد من أجل أن يبقى هو في الحكم.. لا إحقاقاً للحق بل إمعاناً في الباطل.

هكذا تتضخم الأنا فيصل الإنسان إلى مرحلة لا يرى فيها إلا نفسه كالشمس التي تدور حولها الأفلاك لتسجد له وتسبِّح بحمده.. في صورة متجددة لكلمة فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ النازعات:٢٣-٢٤.

• الصورة الحقيقية:

ولكن القرآن الكريم يؤكد أن الصورة الحقيقية لكل هذا المشهد الصاخب في بدايته: ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ مريم:٦٧.. وفي نهايته: ﴿كَما بَدَأكُم تَعُودُون﴾ الأعراف:٢٩.. ولن تعود هذه الأنا المتضخمة على صاحبها إلا بالوبال: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ آل عمران:١٧٨.

• فتّش في نفسك:

ولما كانت هذه الأنا المتضخمة قابلة أن تظهر في كل واحد منا، فلننظر إلى أنفسنا بتروٍّ.. لعلنا نجد لهذه الأنا المتضخمة وجوداً! قد لا تكون بمستوى أنا فرعون موسى أو فراعنة هذا الزمان.. ولكنها متضخمة بالمقدار الذي نظلم من خلالها بالتطاول على الآخرين ومصادرة حقوقهم واستغلال امتيازاتنا البدنية أو العقلية أو الخطابية أو الوظيفية أو القانونية أو العرفية، من أجل أن نشبع متطلبات هذه الأنا السرطانية التي لن تهدأ وإن أعطيت ما تريد، بل ستطلب المزيد والمزيد ولو ظلماً وإفساداً: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدم إلا التراب).



٢٦ شوال ١٤٣٢ هـ
٢٤ سبتمبر ٢٠١١ مـ

سُكْر الشباب

المقوّمات التي يتمتع بها الشباب في مرحلتهم العمرية تجعلهم أكثر عرضة عن أفراد سائر المراحل العمرية للإصابة بالغرور

عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (سُكْرُ الْغَفْلَةِ وَالْغُرُورِ أبْعَدُ إفَاقَةً مِنْ سُكْرِ الْخُمُورِ).

المغرور في الأصل هو المخدوع، الذي خدع نفسه نتيجة بعض العوامل الإيجابية التي يمتلكها، كالجمال الجسدي، أو القوة الجسمانية، أو النجاحات التي يحققها على المستوى العلمي أو الإعلامي أو المهني، أو عناصر القوة التي نالها كالغنى المالي أو الامتداد الجماهيري وهكذا.. فيغفل وينسى حقيقة أن المسألة نسبية ومؤقتة وقابلة للزوال، وأن حكمة التفاوت بين الناس إنما هي من أجل أن تتكامل الحياة من خلال ذلك، كما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ الزخرف:٣٢، لا للتعالي على بعضهم البعض، كي يجره ذلك إلى الترفع على الآخرين و التكبر عليهم، سواء في المعاملة أو في قبول النصح والمشورة أو غير ذلك، وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حَجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ).

• غرور مستورد:

وقد يكون الغرور ناتجاً عن خداع الآخرين له من المنافقين والمتزلفين والمنتفعين الذين ينفخون فيه روح العجب لينخدع ـ وبتعبير الإمام علي يدخل في حالة من السُّكر الذي يعطّل عمل العقل ـ فيصاب بالغرور ومن ثم بالكبر.

• سُكْر الشباب:

ولعل المقوّمات التي يتمتع بها الشباب في مرحلتهم العمرية تجعلهم أكثر عرضة عن أفراد سائر المراحل العمرية للإصابة بهذا المرض النفسي المدمر على مستوى دين الشاب، وعلى مستوى العلاقات الاجتماعية، وكذلك على مستقبله المعيشي في مجال العلم والعمل والمهنة.

ولذا نجد هذه الحالة من التمرد والنظرة الفوقية من الشباب للوالدين مثلاً عند توجيههم ونصحهم، فالغرور يؤدي دوره



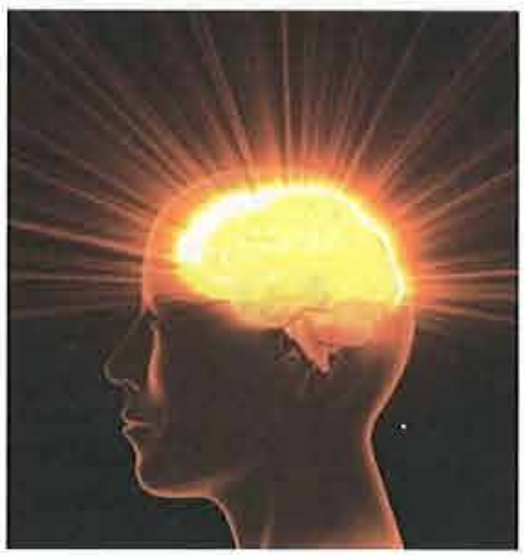

ليس منطلق الوالدين في النصح هو الرغبة في السيطرة والتحكم، ولكنّ سُـكْر الشباب يمثل حجاباً يمنعهم من إدراك هذه الحقيقة أو قبولها

السلبي في تحقير طريقة تفكير الوالدين والأولويات التي يوجهون أبناءهم نحوها، وفي تقديمهم لخبراتهم الحياتية لأبنائهم حرصاً عليهم.

• تقديم الخبرات:

ويبيّن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن الهدف من تقديم خبراته: (فَبَادَرْتُكَ بالأدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ).

فمنطلق الوالدين في تقديم النصح ما قاله علي عليه السلام في نفس الوصية: (وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي).. فليس منطلق الأمر ـ غالباً ـ هو الرغبة في السيطرة والتحكم، ولكنّ سُـكْر الشباب يمثل حجاباً يمنعهم من إدراك هذه الحقيقة أو قبولها.

• العقل دواء الغرور:

وأهم ما يمكن أن يساعد الشاب في مواجهة الغرور هو تنمية دور العقل في الجانب السلوكي وتقييم الشخصية، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (لاَ يُلْقَى الْعَاقِلُ مَغْرُوراً).. فالعلاقة بين العقل والغرور عكسية، فكلما أمعن الشاب في التفكير في تلك النصائح والتوجيهات، كلما أدرك منطلقها ونتائج الأخذ بها، وتجنب بالتالي الانخداع بما تصوّر له نفسه، أو بما يصوّره له الآخرون من أمور ليست واقعية، أو متضخمة الصورة.. وفي المقابل كلما عطّل دور العقل غروراً وتمرّداً كلما كان عرضة للوقوع في شراك نفسه أو شراك الآخرين.

٣ ذوالقعدة ١٤٣٢ هـ
١ أكتوبر ٢٠١١ مـ

التداوي بالقرآن
١ من ٢

من القضايا المثيرة للجدل مسألة الاستشفاء بالقرآن الكريم من الأمراض الجسدية، فهل هي صحيحة ومشروعة أم لا؟ وما أدلة ذلك؟ وهل من شروط للتداوي بالقرآن؟ وهل التداوي بالقرآن بديل عن التداوي بالطب؟ وغيرها من الأسئلة العديدة.

• قانون العلية:

روى الكليني عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (أبى الله أن يُجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شئ سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكلِ شرح علماً). وهذا القانون مهم جداً في فهم طبيعة الحياة ومجريات الأمور تبدلاتها، والتعامل مع كل ذلك بالصورة الصحيحة، ومن خلاله يمكن لأمة أن تتطور وتتقدم أو أن تتقهقر حضارياً.. فالإنسان ليس ريشة في مهب الريح، بل هو الذي يصنع التاريخ من خلال ما خلق الله ومن خلال اكتشاف القوانين التي أودعها الله في خلقه.

هل يمكن الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على شرعية التداوي بالقرآن من الأمراض ؟

بالطبع هذا لا يعني إنكار التدخلات الغيبية والمعاجز والكرامات ولكنها تمثل حالات استثنائية نادرة في مقابل كل الحالات التي تسير وفق القانون الطبيعي، كما ولتلك الاستثناءات أيضاً قوانينها الخاصة.

• القرآن شفاء:

هل يمكن الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ الإسراء:٨٢ على شرعية التداوي بالقرآن الكريم من الأمراض الجسدية؟

يذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان أنه كما أن للإنسان في جسمه صحة ومرض وشفاء، فكذلك له صحة روحية تتمثل في العقائد والأخلاق الفاضلة، وله أمراض روحية ترتبط باختلال العقائد والأخلاق، من قبيل ما في قوله سبحانه: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ الأحزاب:٦٠. ولَه





الآية لا علاقة لها بالاستشفاء من الأمراض الجسدية ، بل أن القرآن يزيل بحججه القاطعة وبراهينه الساطعة أنواع الشكوك والشبهات

شفاء منها أيضاً. وبالتالي يعتبر العلامة الطباطبائي أن الآية القرآنية إنما تتحدث عن هذا النوع من المرض والشفاء منه، وأن القرآن يعالج ذلك، قال: (والقرآن الكريم يزيل بحججه القاطعة وبراهينه الساطعة أنواع الشكوك والشبهات المعترضة في طريق العقائد الحقة والمعارف الحقيقية ويدفع بمواعظه الشافية وما فيه من القصص والعبر والأمثال والوعد والوعيد والإنذار والتبشير والأحكام والشرائع عاهات الأفئدة وآفاتها. فالقرآن شفاء للمؤمنين).

• القرآن رحمة:

ويضيف العلامة الطباطبائي أنه من خلال الرحمة ينوّر القرآن القلوب بنور العلم واليقين، ويحلّيها بالملكات الفاضلة والحالات الشريفة الزاكية. ويؤكد المعنى السابق بقوله: (فمعنى قوله ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وننزل إليك أمراً يشفي أمراض القلوب ويزيلها، ويعيد إليها حالة الصحة والاستقامة فتتمتع من نعمة السعادة والكرامة). ويزيد المراد وضوحاً من خلال نفس الآية حيث تذكر دور القرآن في زيادة خسران الظالمين: (إن كفرهم بالقرآن وإعراضهم عنه بظلمهم يزيدهم خساراً على خسار ونقصاً على نقص، إن كانت عندهم بقية من موهبة الفطرة). والنتيجة المتحصلة مما سبق أن الآية القرآنية لا علاقة لها بالاستشفاء بالقرآن من الأمراض الجسدية.

• طريق مختصرة:

قد يقول قائل أن في البين طريقاً مختصرة نتجنب من خلاله اللجوء إلى الأطباء وتناول الدواء كما في قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الشعراء:٨٠، فهذا يمثل الحالة الأرقى في تعامل المؤمن مع المرض الجسدي، والقرآن من سبل ذاك الطريق المختصر. وكلما ارتقى الإنسان إيمانياً، كلما كان الوصول للعلاج الإلهي المباشر أقرب سبيلاً. بل اعتبر البعض أن مراجعة

الأطباء ينافي إخلاص التوحيد لله سبحانه.

ولكننا نجيب هؤلاء بأن ليس المراد بما في الآية الشفاء المباشر بعيداً عن الأسباب، بل هو بنفس معنى: (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) الشعراء:٧٩، فهل كان يطعمهَ ويسقيه بصورة مباشرة أم بصورة طبيعية من خلال الأسباب والطريقة المألوفة كالرعي والزراعة والتجارة وغير ذلك؟ بالطبع هذا لا يعني أن نلغي دور الدعاء واللجوء إلى الله والتصدق وغيرها، ولكنها تأتي مع الأخذ بالأسباب الطبيعية للتداوي.

• السيرة تؤكد ذلك:

وهذا ما تؤكده سيرة النبي وآله عليهم السلام، ولنلاحظ الخبر التالي المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن قوماً من الأنصار قالوا: يارسول الله إن لنا جاراً يشتكي بطنه، أفتأذن لنا أن نداويه؟ قال: بماذا تداوونه؟ قالوا: يهودي عندنا يعالج من هذه العلة. قال: بماذا؟ قالوا: يشق بطنه فيستخرج منه شيئاً. فكره ذلك رسول الله، فعاودوه مرتين أو ثلاثاً فقال: افعلوا ما شئتم. فدعوا اليهودي فشقّ بطنه ونزع منه رجرجاً كثيراً، ثم غسل بطنه، ثم خاطه وداواه، فصحّ، فأخبر النبي بذلك فقال: ان الذي خلق الأدواء خلق لها دواء...). ويبدو أن كراهة النبي انصبت على أسلوب العلاج الذي كان غريباً بالنسبة إلى ذلك المجتمع، وإلا فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان بنفسه يتداوى ويأمر بالتداوي بالعلاجات الدارجة في البيئة العربية.

ومن هنا جئ بالطبيب النصراني لأمير المؤمنين عليه السلام ليشخّص علته ويداويه من جرح ابن ملجم، وأخذوا بقوله حين أكّد لهم بطريقته العلمية أن لا أمل في الشفاء من الجرح والسم.. وغير ذلك من النصوص التي تؤكد لجوءهم إلى الأطباء والأدوية للعلاج، وهم أولى من سواهم بلحاظ مقامهم عند الله أن يَدَعوا الاستشفاء بالأدوية والتشخيص بالوسائل الطبية ويلجؤوا إلى القرآن والدعاء دون سواهما.

أما النصوص التي تذكر التداوي بالقرآن فسنعالجها في الأسبوع المقبل بإذن الله تعالى لتكتمل بها الصورة.

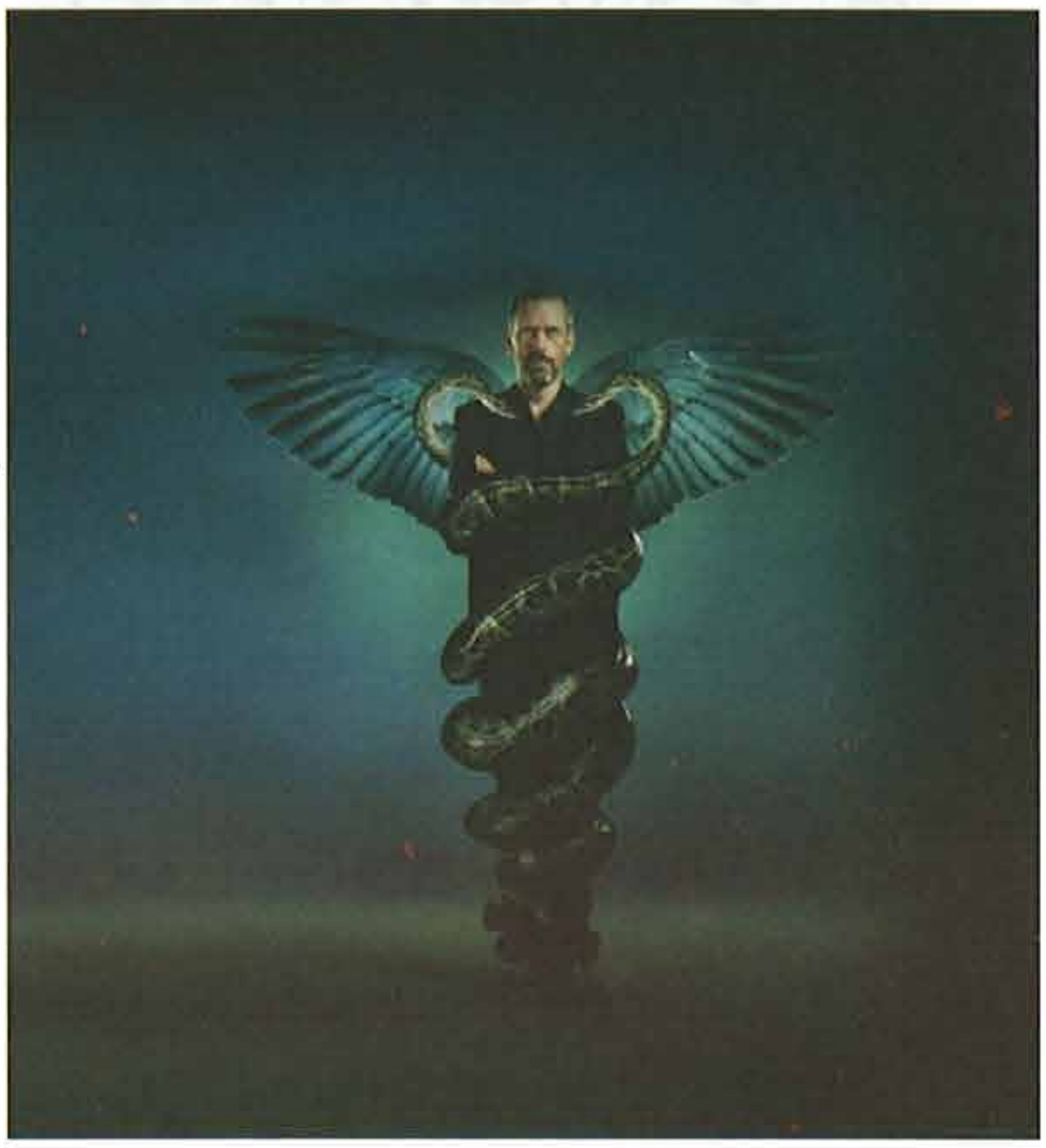

١٠ ذوالقعدة ١٤٣٢ هـ
٨ أكتوبر ٢٠١١ مـ

التداوي بالقرآن
٢ من ٢

طرحت في الأسبوع الماضي تساؤلاً حول شرعية الاستشفاء بالقرآن، وبيّنت أن آية: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ الإسراء:٨٢، لا تدل على المطلوب، وأن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أيضاً لا دلالة له على ذلك. وأن السيرة العملية للنبي وآله كانت التداوي بالطب والأدوية المتعارفة في زمانهم.

• مئات الأحاديث:

وهناك قرابة الألف رواية عن النبي وآله عليهم السلام في المصنفات الشيعية تقدّم وصفات علاجية بالأعشاب وأمثال ذلك من العلاجات المتعارفة في ذلك الزمن ولمختلف الأمراض، وقد أورد الحر العاملي لوحده في كتابه (الفصول المهمة) أربعمائة واثنين وثلاثين رواية في هذا المجال. بالطبع ليس كل هذه الروايات صحيحة، وهي تحتاج إلى دراسة علمية متأنية، وقد قال عنها الشيخ المفيد: (اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطب أنها على وجوه: منها ما قيل على هواء مكة والمدينة، فلا يجوز استعماله في سائر الأهوية. ومنها ما أخبر به العالم على ما عرَف من طبع السائل، ولم يتعدّ موضعه، إذ كان أعرف بطبعه منه. ومنها ما دلّسه المخالفون في الكتب لتقبيح صورة المذهب عند الناس. ومنها ما وقع فيه سهو من ناقله. ومنها ما حُفظ بعضه ونُسي بعضه). ولكنها على كل حال تعطي قناعة إجمالية بأنهم كانوا يتداوون بالطب ووسائله ويوجّهون الناس إلى ذلك، وإلا لاكتفوا بالقرآن وتلاوته.

• نفي العلية:

وبالتالي لا يستقيم ما طرحه البعض من أن اللجوء إلى الطب والأطباء والعلاجات الدوائية ينافي التوحيد الفاعلي، أو أن الاعتقاد بوجود العلل للأشياء ينافي العقيدة الصحيحة كما قال أحدهم:

والفعل في التأثير ليس إلا
للواحد القهار جل وعلا

الأخبار الواردة في الطب على وجوه: .. منها ما دلّسه المخالفون لتقبيح صورة المذهب ، ومنها ما وقع فيه سهو من ناقله .. (الشيخ المفيد)





لا يستقيم ما طرحه البعض من أن اللجوء إلى الطب ينافي التوحيد الفاعلي، أو أن الاعتقاد بوجود العلل ينافي العقيدة الصحيحة

ومن يقل بالطبعِ أو بالعلةِ
فذاك كفرٌ عند أهل الملةِ
ومن يقل بالقوة المودعـةِ
فذاك بِدَعي فلا تلتفـتِ

• معالجة الروايات:

على كل حال هناك روايات تنص على التداوي ببعض الآيات من قبيل ما رواه ابن سابور في كتابه (طب الأئمة) وهي رواية ضعيفة السند مروية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ما اشتكى أحد من المؤمنين شكاة قط فقال بإخلاص نية ومسح موضع العلة ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾ إلا عوفي من تلك العلة، أية علة، ومصداق ذلك في الآية حيث يقول: ﴿شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾).

فإن صحت الرواية فلم لم يلجأ النبي وآله إلى ممارسة ذلك الأسلوب للشفاء من عللهم ولعلاج أهلهم وأصحابهم، بل تم اللجوء إلى طبيب يهودي تارة وطبيب نصراني تارة أخرى.. والموارد متعددة؟

نعم يمكن أن نعتبر هذه الروايات وروايات أخرى تتحدث عن عوذات ورقى معينة تُقرأ لكل مرض، بأنها توجه المريض للجوء إلى الله سبحانه، لأن كل شئ بيده، فهي بالتالي:

• عامل معنوي:

مساعد في تقوية الإرادة وبث الروح القوية الصامدة في وجه آثار المرض، وإزالة حالة الخوف والقلق، مما يساعد الدواء في تحقيق تأثيره الإيجابي.

فالتأثير النفسي للقرآن الكريم يمكن اعتبار أنه يندرج تحت قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد:٢٨.

• وسيلة للدعاء:

وطلب الحاجات منه عز اسمه، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر:٦٠، وتأتي بالتالي موازية مع التطبب والتداوي، ولا تلغي دوره.





السبيل للتداوي هو الطريق العلمي مع اللجوء إلى الله بالدعاء والصدقة والتوكل عليه ، وتأتي تلاوة القرآن الكريم كعامل مساعد

• علاج نفسي:

في حال كون المرض بنفسِه ذي بُعد نفسي. ففي قصة النبي يوسف عليه السلام نجد أن أباه يعقوب عليه السلام تأثر معنوياً لفراق ابنه فقال تعالى في وصف ذلك: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف:٨٤..

ولذا كان علاجه معنوياً أيضاً، حيث قال لهم يوسف: ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يوسف:٩٣ وهذا ما تحقق فعلاً: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ يوسف:٩٦.

والبكم، وليس لها أساس عضوي). ولربما يكون ما يشاهد في ما يبث فضائياً من شفاء بعض المرضى من الشلل مثلاً تحت تأثير قراءة الإنجيل والترانيم أو غير ذلك على يد قسيس في أجواء ومراسيم معينة من هذا القبيل، وليس بالضرورة أن يكون حالة تمثيلية تصنعية.

والخلاصة أن السبيل للتداوي هو الطريق العلمي مع اللجوء إلى الله سبحانه بالدعاء والصدقة والتوكل عليه، وتأتي تلاوة القرآن الكريم كعامل مساعد يتقرب فيه العبد من خلاله إلى الله ويبعث بواسطته روح السكينة والطمأنينة في نفس المريض ومَن يهمهم أمره.

• أمراض تحولية:

ومن الثابت علمياً أن هناك بعض الأمراض الجسدية تكون ذات أساس نفسي تصيب الإنسان في مناطق معينة من جسمه وتعرّف بأنها: (عُصاب تحولي تتحول فيه الانفعالات المزمنة إلى أعراض جسمية كالعمى والشلل والصمم



١٧ ذوالقعدة ١٤٣٢ هـ
١٥ أكتوبر ٢٠١١ مـ

لئلا يفسد ابن اللبون

﴿وَمِنَ النّاس مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمَ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ البقرة:٢٠٤-٢٠٦.

صورة معبّرة عن نموذج من النّاس، يكاد لا يخلو منه زمان ولا مكان.. النموذج المنافق الذي يستغل طيبة النّاس وصدقَهم، فيصوّر نفسه في صورة الإنسان الطيب الصادق، الذي يحمل في قلبه كلّ النوايا الخالصة والأفكار الخيّرة التي تبني للنّاس حياتهم نحو الأفضل، في قضاياهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والروحية، كل ذلك من أجل أن يستسلموا لكلماته الحلوة، وأساليبه الماكرة، ومواثيقه المؤكدة.. أما حقيقته فهو إنسان شديد الجدال والعداوة للحق وللعدل. ولن يتعرف النّاس عليه إلاَّ من خلال التجربة المرة.

وعندما تسنح له الفرصة، أو تستقيم له الأمور، ينطلق في الظلام وبقوة ليحقق مآربه الخبيثة التي تفسد واقع النّاس السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ليدمر بالتالي الحرث (الموارد الاقتصادية) والنسل (الموارد البشرية).

• البرنامج الإنمائي:

هذه العلاقة الوثيقة بين الفساد وتدمير الحرث والنسل أكده تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام ٢٠٠٨ معتبراً أن الدلائل تشير إلى: (أن الفساد وضعف التنمية وثيقا الصلة ببعضهما البعض، ويعزز كل منهما الآخر). وعن العلاقة العكسية بين الفساد والنمو الاقتصادي: (يعيق الفسادُ النموَّ الاقتصادي بطرق شتى: فهو يضعف الاستثمار الأجنبي والمحلي عن طريق زيادة فرص السعي للحصول على مزايا اقتصادية دون مراعاة مصلحة المجتمع.. ويقلل الفساد من جودة البنية الأساسية العامة عن طريق تحويل الموارد العامة إلى استخدامات خاصة).

يعيق الفسادُ النموَّ الاقتصادي بطرق شتى، فهو يضعف الاستثمار بزيادة فرص السعي للحصول على مزايا اقتصادية دون مراعاة مصلحة المجتمع

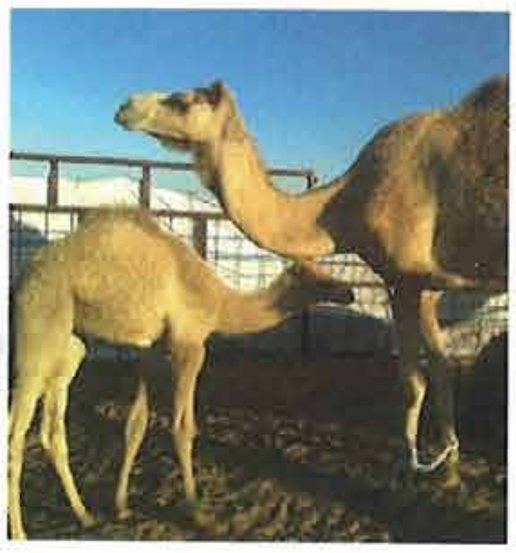



يؤدي انتشار الفساد إلى التمييز في الحصول على الخدمات العامة لصالح من بمقدورهم التأثير على السلطات لتحقيق مصالحهم الشخصية

• الفساد والتنمية البشرية:

وعن العلاقة بين الفساد وحقوق الإنسان جاء في التقرير: (عندما تفشل حكومة إحدى البلدان في قمع أو احتواء الفساد فإنها تخفق أيضاً في تنفيذ التزاماتها بتعزيز وحماية حقوق الإنسان لمواطنيها.. ويؤدي انتشار الفساد إلى التمييز في الحصول على الخدمات العامة لصالح أولئك الذين بمقدورهم التأثير على السلطات لتحقيق مصالحهم الشخصية). ثم يتحدث التقرير أيضاً عن علاقة الفساد بنشوب النزاعات، يقول: (لا يساهم الفساد بالضرورة في حدوث النزاعات المسلحة، ولكن بمقدوره أن يؤدي إلى نزاعات عنيفة ويعزز اشتعالها).

ووفق هذا التقرير فإن ألف مليار دولار تُدفع سنوياً كرشاوى من أجل تمرير المعاملات وغير ذلك، وكلها أموال تتجه في الاتجاه الخاطئ ولا تصب في المصلحة العامة، بل لجيوب خاصة يعود ضررها في النهاية على الصالح العام.. وبالتالي فإن ما قدّمه التقرير يمثل جزء مما عبرت عنه الآية القرآنية بعنوان ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾.

• الشفافية العالمية:

تقرير منظمة الشفافية العالمية الصادر في هذا العام يفيد بأن ٧٥ ٪ من الدول تصنّف باعتبارها شديدة الفساد.

وبين ٢٢ دولة عربية جاءت الكويت في المرتبة الثامنة (كلما كبر الرقم كان مؤشراً سلبياً). وعلى المستوى العالمي وقعت الكويت في المرتبة السادسة والستين.

ما سبق لا يعني بالضرورة أن كل الدول العربية التي جاءت في ترتيب أفضل هي فعلاً كذلك، لأن بعضاً منها تشهد حالة أمنية وقمع للحريات يصعب معها الحديث عن الفساد وفتح ملفاته، بينما مساحة الحرية في التعبير والحق الرقابي الذي كفله الدستور الكويتي للمواطن يضعها تحت الضوء، وهو مظهر من مظاهر العافية السياسية عندنا، ووسيلة من وسائل الحد من استشراء



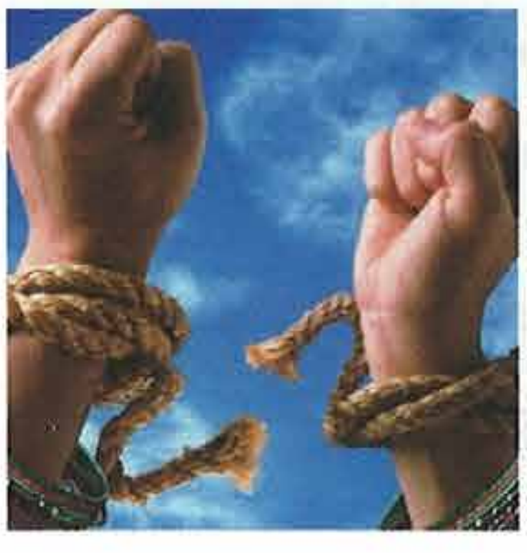

بعض من يفتح ملفات الفساد يستهدف أن يُشغل الساحة عنه وبعضهم يحتفظ بهذه الملفات للتكسب السياسي في المستقبل

الفساد، يجب الحفاظ عليه، ولعله من أسباب تراجع مؤشر الفساد في الكويت خلال العام المنصرم من معدل ٤,٣ إلى ٤,١.

• وضع معقد:

إلا أن الفساد فساد، سواء وُجدت حرية في التعبير أم لم توجد.. وما قضية الإيداعات والإضرابات النقابية والطلابية والتجمعات الاحتجاجية إلا صور أو انعكاسات لذلك. ولكن المشكلة أعقد من مجرد ملفات فساد تُفتح بين حين وآخر، فبعض من يفتح ملفات الفساد يستهدف إبعاد الأضواء عنه لأنه يمارس الفساد أيضاً، فيريد أن يُشغل الساحة عنه، وبعض مَن يفتح هذه الملفات لديه إحاطة مسبقة بها، ولكنه يحتفظ بها للتكسب السياسي في الوقت الذي يراه مناسباً، أو لتصفية حسابات مع هذا الطرف أو ذاك، أو لتحقيق أجندات معينة، وهذا في حد ذاته صورة من صور الفساد، وهو ما يعقّد المشهد بشكل أكبر.

لذا فمن الضروري الحذر في التعامل مع ما يثار حول قضايا الفساد، وبتعبير أمير المؤمنين عليه السلام: (كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب) فلا تسمح لأطراف الصراع أن يستغلوك، ولا أن يتم استنزافك من مبادئك.. فلنضع مصلحة الكويت فوق أي اعتبار شخصي أو فئوي، وإلا سنكون شركاء في هذا الوضع السئ الذي يُجر البلد إليه، ولتتضافر جهود المخلصين من أجل إعادة الهيبة للقانون وحرمة المال العام، والتوصيف الواضح لجرائم الفساد وعقوباتها، لئلا تبقى الأمور هلامية يجرّها كلٌّ لمصلحته تكسباً وإمعاناً في الفساد.



٢٤ ذوالقعدة ١٤٣٢ هـ
٢٢ أكتوبر ٢٠١١ مـ

التنمية والعامل الثقافي

عندما نرسخ في ذهن الطفل حديث افتراق الأمة إلى ٧٣ فرقة، فهل نتوقع أن نجعله إنسانا محبا للآخر مقبلا على التنمية للصالح العام؟

التنمية في الأساس فعل ثقافي قبل أن تكون حالة اقتصادية أو مادية، وقبل أن تنطلق كحركة سياسية، وكلما كانت الثقافة حيوية أكثر وغير محاصرة بقيود وأغلال التخلف، كلما قادت إلى تنمية متوازنة وسليمة. ولهذا عندما نفتش عن أسباب تراجع التنمية علينا أن ندقّق كثيراً في الأساس الثقافي الذي ينبني عليه الفرد وبالتالي المجتمع ككل، ولربما سنكتشف حينها أننا نفتقد الثقافة الصحيحة، أو نجد بها خللاً يعيق حركتها الإيجابية.

• المحاصصة الوزارية:

وكمثال على ذلك أنه عندما يُضطر في بلد ما إلى تشكيل وزاري يعتمد على المحاصصة الطائفية والقبلية والعرقية دون الأخذ بعين الاعتبار الكفاءة والمؤهلات العلمية والعملية والشخصية، ثم تبدأ سياسة الإحلال الوظيفي من قبل الوزير وحاشيته في مفاصل الوزارة وحتى صغار موظفيها بمن هم من طائفته أو قبيلته أو المنحدرين من العرقية ذاتها، لا بلحاظ امتياز سوى المشترك في الانتماء إلى ذلك العنوان، فهذا دون شك يمثل عائقاً من عوائق التنمية وحركتها في المجتمع، ولها ترتبات تراكمية تدفع لتكرر التجربة من قبل الآخرين انتقاماً أو معاملةً بالمثل.

هذا الخلل الكبير ذو أساس ثقافي، وبالتالي يحتاج إلى معالجة ثقافية نابعة من التربية الإنسانية، وجذورها موجودة في التربية الإسلامية الصحيحة بمفردات كثيرة، ولكن عندما نرسّخ الخطأ في نفس التربية الدينية، فإننا من جديد نقذف بهذا الإنسان في أتون التخلف، ونساهم في إعاقة حركة التنمية.

• التربية المنغلقة:

فمثلا عندما نرسخ في ذهن الطالب والطفل حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ماذا نتوقع حينها أن تكون مخرجات العملية التعليمية؟ إنسان محب للآخر مقبل على التنمية التي ستصب في مصلحة الجميع، أم يكون مفردة جديدة في سلسلة



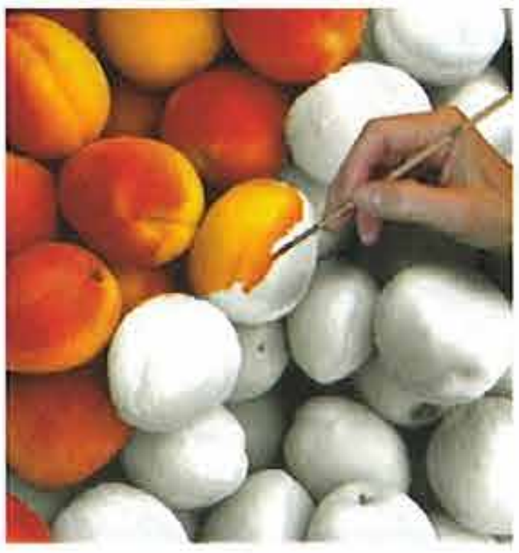

حن أحياناً نتعامل مع النصوص
على أنها فضائل للنبي وآله (ع)
وكفى، ولا نتعامل معها
على أنها روافد ثقافية وتربوية

العوائق؟ زج مثل هذه الفكرة وبرداء مقدس ـ بغض النظر عن صحة الحديث أو ضعفه سنداً ومضموناً ـ سيربك ذهن الطفل أو الطالب، ولن يسعفه للموازنة بين الموقف من الآخر في هذه الحياة المليئة بالاختلاف والتنوع.

ولربما هذا ما يدفع بعض الشباب للاستفتاء والتساؤل: (إنني مسلم أو من المذهب الفلاني.. هل يجوز لي التبرع لبنك الدم ويحتمل أن يذهب هذا الدم لغير مسلم، أو لمن ينتمي إلى مذهب آخر؟!).. ما الذي يدفع هذا الشاب المتدين ليفكر بهذه الطريقة؟ أليست هي مسألة ثقافة وتربية؟

• نموذج مقابل:

هذا نموذج وفي المقابل نموذج ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن علي بن الحسين عليه السلام كان يطعم من ذبيحته الحرورية. قلت: وهو يعلم أنهم حرورية؟ قال: نعم). وهو سلوك متناغم مع قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الحج:٣٦، دون تقييد للإطعام سوى العنوان الإنساني.

• تنمية الحقوق الشرعية:

مثال آخر على أثر العامل الثقافي على التنمية يرتبط بمصارف الزكوات والأخماس والكفارت وكل ما يعتبر من الحقوق الشرعية، فبعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام اختلف فقهاء الإمامية في كيفية التصرف في الخمس، ونقل الشيخ المفيد جانباً من ذلك في كتابه (المقنعة) حيث قال: (وقد اختلف قومٌ من أصحابنا في ذلك عند الغيبة، وذهب كل فريق منهم فيه إلى مقال: فمنهم من يُسقط فرض إخراجه لغيبة الإمام، وما تقدم من الرُّخَص فيه مِن الأخبار. وبعضهم يوجب كنزَه، وتناول خبراً ورد أن الأرض تظهر كنوزها عند ظهور القائم مهدي الأنام وأنه عليه السلام إذا قام دله الله سبحانه وتعالى على الكنوز، فيأخذها من كل مكان...).

ولنا أن نتخيل استمرار سلوك الفقهاء

وفق الفتويين الأولين.. ألم يكن هذا ليؤدي إلى أن نفقد كل الدور التنموي الذي يتوقع أن تقوم به موارد الحقوق الشرعية في المجتمعات الإسلامية؟ وأين هذا مما جاء في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج).. أي فليكن اهتمامك بالتنمية أشد من اهتمامك بجمع الضرائب.

• فضائل أم روافد؟

ولكن للأسف نحن أحياناً نتعامل مع هكذا نصوص على أنها فضائل لهم عليهم السلام وكفى، ولا نتعامل معها على أنها روافد ثقافية وتربوية، فالله سبحانه وتعالى لم يفرض الزكاة والخمس والكفارات وغيرها من عناوين العطاء المالي لتطهير النفس من البخل وحب الدنيا فقط، بل جعلها وسيلة تنموية مهمة ورافد حيوي لذلك.. أليس العامل الثقافي مؤثراً في تكوين هذه الرؤية وفي إصدار الفتوى؟

بالطبع فإن الفقهاء سرعان ما تجاوزوا هذا الرأي ولم يتفاعلوا معه كثيراً، ولكن يبقى أن الطموح في كيفية توجيه الحقوق الشرعية لتكون رافداً تنموياً لم يتحقق إلى الآن بالشكل المطلوب، فالحاجة للعمل المؤسسي أمر ملحّ، ومن الضرري أن تكون هناك مخرجات تنموية واضحة تقوم على دراسات اقتصادية واجتماعية وثقافية لكي تساهم في خير الإنسانية بصورة أفضل وأدق.

• فلنصنع المستقبل:

إننا فعلاً بحاجة إلى أن نفعِّل الثقافة في الواقع ونربي المجتمع عليها، كما أننا بحاجة إلى تنقية الثقافة التي نقدمها للأجيال من الشوائب الفكرية ومن التعقيدات العصبية ومن تراكمات التخلّف، لأننا إذا مهدنا السبيل للإنسان في أن يصوغ شخصيته العلمية والتربوية على الأسس السليمة أمكننا أن نؤسّس لبيئة علمية تنموية رائدة تعمل على أنسنة الروح والشعور والإرادة، وعند ذلك تأتي صناعة المستقبل. ومن الضروري أن ندرك أن عملية النمو في أي بلد إنما تسير قدماً من خلال الوفاق الداخلي وتحسّس الجميع لمسؤولياتهم في حركة البناء العام للبلد. وبكلمة واحدة: إن عدم التنمية يعني الموت.. والتنمية غير السليمة تعني مولوداً معاقاً.

٢ ذوالحجة ١٤٣٢ هـ
٢٩ أكتوبر ٢٠١١ مـ

الإمامة الإبراهيمية

أراد الله لحركة الخليل إبراهيم (ع) ولقيادته أن تمتد في حياته جغرافياً واستيعاباً للناس، لتمثّل تتويجاً لكل النجاحات التي حققها

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقَرة:١٢٤.. من ضمن دلالات هذه الآية المباركة أن الله سبحانه وتعالى أراد لحركة الخليل إبراهيم عليه السلام ولقيادته أن تمتد في حياته جغرافياً واستيعاباً للناس، لتمثّل تتويجاً لكل النجاحات التي حققها في الابتلاءات الشديدة المختلفة، والتي كان يقف فيها ـ أحياناً ـ وحيداً يواجه من خلالها كل الباطل وكل الكفر، وكل المخاطر وردات الفعل العنيفة ولاضطرار إلى الهجرة من الديار، دون أن يصرفه ذلك عن الاستجابة لمسؤولياته تجاهها.

• الامتداد في الزمن:

وأراد الله عزوجل لدعوة إبراهيم الخليل عليه السلام أن تتجاوز حياته، لتمتد في الزمان أيضاً من خلال الأبوّة النسَبية لمن جاء من بعده من الأنبياء، وكذلك من خلال الأبوة الروحية للرسالات المتأخرة عنه، والتي يبرز فيها أبو الأنبياء من خلال شخصه ورسالته بصورة واضحة جلية، يشعر معها أتباع الرسالات اللاحقة بوجود ذلك الارتباط الوثيق به وبرسالته حتى تنازع أتباعها عبر الزمان ـ بل وحتى المشركين الذين انحرفوا عن ملته ـ ادعاء الانتماء له ولرسالته: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران:٦٧.

• العهد في التوراة:

ولربما أشرات التوراة الحاضرة إلى هذا في النص التالي: (وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: [أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا]. فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلاً: [أَمَّا أَنَا فَهُوَ ذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ، فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ





الكل مدعو للعودة إلى الروح التوحيدية للحج ، وبالتالي إلى التوقف عن كل التصرفات التي من شأنها استفزاز الطرف الآخر

مِنْكَ يَخْرُجُونَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ) سفر التكوين: الإصحاح١٧.

• البيت الحرام:

وكان من أهم سبل تحقيق هذا الامتداد بصوره المختلفة بناء البيت الحرام، وهو ما نلاحظه بوضوح في الآيات التالية لآية الإمامة الإبراهيمية: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة:١٢٥-١٢٨.

وأعقب الله سبحانه بناء البيت وتهيئة المسجد الحرام بالدعوة إلى الحج إلى هذا البيت الحرام: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ الحج:٢٦-٢٨.

• توحيد ووحدة:

وإذ استعملت الآية كلمة (منافع) دون تحديد لها، فإنها قد تركت الباب مفتوحاً لاكتشافها ولاستيعابها لمصاديق أكبر عبر الزمان، إلا أن بعض ما روي من أحاديث في هذا الإطار قدَّم نماذج لها كما في الخبر التالي عن هشام بن الحكم: (سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: ما العلّة التي من أجلها كلّف الله العباد الحج والطواف بالبيت؟) فذكر الإمام عدة أمور من بينها العنوانين التاليين: (فجعل فيه

الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا).. (ولتُعرَف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتُعرَّف أخباره).

أي أن الحج مع ما يمثله من حركة لتأصيل حقيقة توحيد الله في نفس الإنسان المسلم، فهو ـ أيضاً ـ ملتقى الموحدين جميعاً في شرق الأرض وغربها، وقد أذابوا كل صور الفوارق فيما بينهم، فتوحدوا في المكان وفي الحركة وفي الزي، ليحققوا التعارف والتواصل والتعاون وتبادل الخبرات والمعارف، ليتقاربوا ويتكاملوا فيما بينهم، لا ليؤصلوا حالة الاختلاف والنزاع والشقاق المذهبي، ولا ليرسّخوا الفرقة والعداء فيما بينهم.

• مفارقة الواقع:

إلا أن الواقع شئ، والأمنيات والغايات المرجوة شئ آخر، وهو ما نشهده في كل عام من خلال ممارسات ـ وأحياناً فتاوى ـ تؤصّل للاختلاف والتنازع والفرقة، ونتحمل جميعاً مسؤوليتها، ومسؤولية معالجتها، كلٌّ بحسبه.. فعندما لا يجد الحاج قبولاً لتعددية المذاهب الإسلامية من قبل البعض، وبالتالي لا يجد الحرية المسؤولة في أداء شعائره وفق الفقه الذي يتبناه.. وعندما تكيل بعض الخطابات ـ أثناء الحج ـ لهذه الطائفة أو تلك بالضلال والخروج من الدين.. وعندما تُقدَّم فتاوى للحجاج ـ كمسألة الاختلاف في تحديد يوم الوقوف بعرفات ـ وكأن الحاج يريد أن يؤدي منسكه في غرفة منعزلة عن بقية الحجاج، دون اعتبار لعناوين عديدة من شأنها أن تعزل أتباع هذه الطائفة عن بقية المسلمين، وتعطي عنهم انطباعاً سلبياً تمهِّد لتقبّل فرزهم خارج الدائرة الإسلامية الكبرى.. كل هذه وغيرها من شأنها أن تؤصِّل التنازع والفرقة بما يخالف الهدف الكبير للحج.

ولذا فالكل مدعو للعودة إلى الروح التوحيدية للحج، وبالتالي إلى التوقف عن كل التصرفات التي من شأنها استفزاز الطرف الآخر بما يتعارض مع واحدة من أهم المنافع التي أراد الله للمسلمين تحقيقها من خلال هذه الحركة الإيمانية العظيمة.

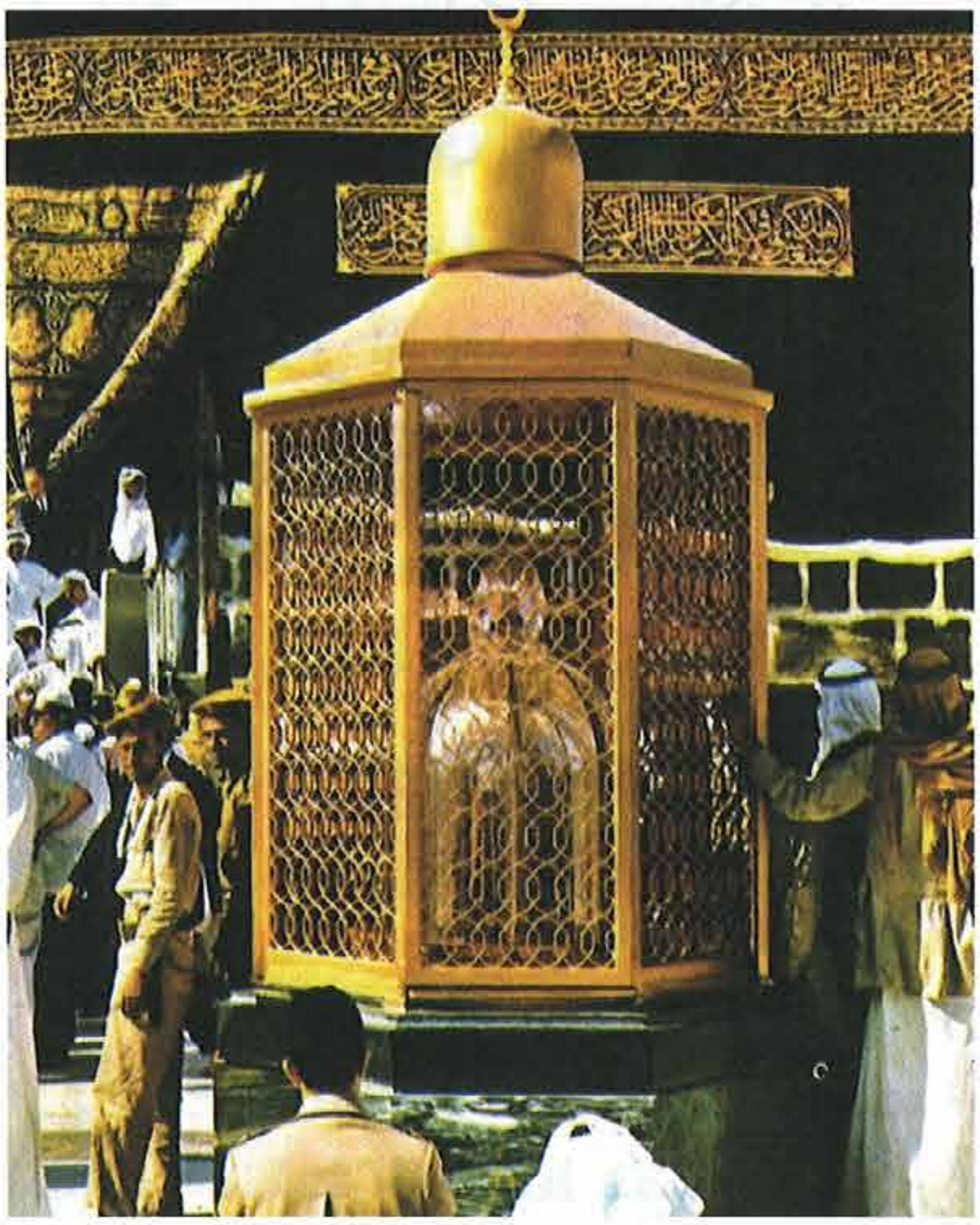

٩ ذوالحجة ١٤٣٢ هـ
٥ نوفمبر ٢٠١١ مـ

عرفات : تحطيم الكِبر

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف:١٤٦.

للتكبر علاقة وثيقة بالإقبال على الباطل والهروب من الحق، يمكن أن نفهمها من خلال ملاحظة آثار التكبر السلبية، ومنها أن التكبّر يمنع الإنسان من أن يرضخ للحق، أيّ أن الإنسان يمكن أن يحمل فكرة أو يرث فكرة معينة، ويأتي الآخر من أجل أن يقدم له الأدلة على خطئه في هذه الفكرة أو في الطريق الذي يسير فيه.. فتجده غير مستعد لأن يقتنع حتّى لو كانت الفكرة مقنعة، لا من جهة أنَّ الفكرة لا تقنعه أو أنَّ الدليل لا يقنعه، ولكن لأن التكبر يمنعه من أن يرضخ للحق.

ولذلك ركّز الله تعالى على أنّ هذه النتائج السلبية التي تحيط بمصير المشركين إنما انطلقت من خلال تكبرهم (فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) النحل:٢٩.

• إمعان في الإضلال:

وكنتيجة لذلك فإن الله يزيد هؤلاء المتكبرين انحرافاً من خلال سلب التوفيق عنهم ـ بعد إصرارهم ـ عن كل ما من شأنه أن يهيئ الأجواء للهداية والوصول إلى الحقيقة كما في الآية القرآنية.

ونلاحظ ربط الأمرين ببعضهما البعض في المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أعظم الكِبر غمصُ الخلق وسفه الحق. قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: يجهل الحق ويطعن على أهله. فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه).

فهذا الاحتقار في حد ذاته قد يمنعه عن الأخذ بالحق، لأنه جاء من المحتقَر، ويزيده إصراراً على الباطل لأنه يتبناه. فذاته هي المقدمة وليس الحق.

• معرفة الله دواء:

ولنلاحظ في النص التالي المروي عن

للتكبر علاقة وثيقة بالإقبال على الباطل والهروب من الحق ، ومن صور ذلك منعه الإنسان من أن يرضخ للحق

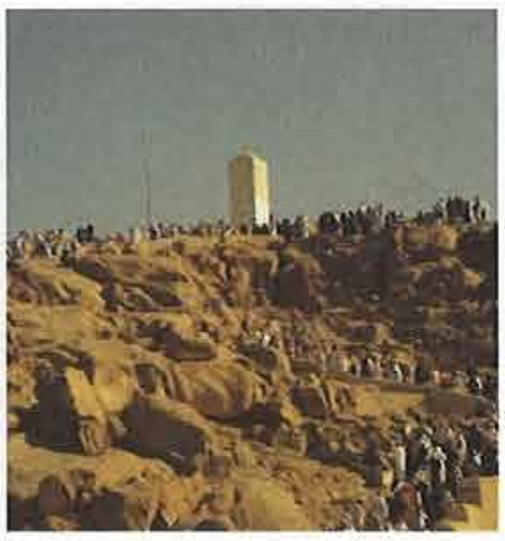



العقل يحتاج إلى جو معين يعمل
من خلاله بمنطقية ، كما يحتاج إلى
وسيلة ليحقق مضمون ما توصل إليه
والذي يوفر الأمرين هو التواضع

الإمام علي عليه السلام علاقة التكبر برفض الحق: (لا ينبغي لمن عرف عظمة اللّه أن يتعظّم، فإنَّ رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له). أي اعرفوا عظمة اللّه فإذا عرفتم عظمته فلا يمكن أن تشعروا بعظمة أنفسكم، لأنَّكم ستشعرون أنَّ كلّ ما عندكم هو من عند اللّه، وأنَّكم لا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضرّاً إلاَّ باللّه. ولذلك لن تشعروا بأيِّ حجم من القوّة في الجانب الذاتيّ بل من اللّه ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللهِ﴾ النحل:٥٣. إنَّ العظمة تنطلق من خلال ما لديكم من عناصر العظمة الذاتية لا أن تكون مستعارة.

ولذلك إذا أحسستم ببعض عناصر العظمة في شخصياتكم فاشكروا اللّه على ذلك فإنَّها مستمدّة منه، وعظّموا اللّه فيما تملكون من قدرات، وعندها ستزدادون تواضعاً لله، ولذا يضيف عليه السلام: (وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له) وهذا هو قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ البقرة:١٣١.

ثم يقول عليه السلام: (فلا تنفروا من الحقّ ـ سواء كان الحقّ معكم أو عليكم ـ نفار الصحيح من الأجرب ـ ليكون الحقّ هو الأجرب والباطل هو الصحيح ـ والبارئ من ذي السقم) فهو تأكيد على الهروب من الحق والعناد ينشأ من التكبر.. حتى على الله سبحانه، ولربما دون شعور.

• مطيّة العقل:

وحول نفس النتيجة تحدث الإمام الكاظم عليه السلام حيث قال: (ولكل شيء مطيّة، ومطيَّة العقل التواضع)، أي أن العقل يحتاج إلى جو معين يعمل من خلاله بمنطقية وحيادية، كما يحتاج إلى وسيلة ليحقق مضمون ما توصل إليه من نتائج، والذي يوفر الأمرين هو التواضع، والذي يعيق الأمرين هو التكبر، لأن التكبّر يعني أنك لا تفهم نفسك، ولا تعرف ميزانك، ولا تستطيع أن تدرس موقعك مقارناً بمواقع الآخرين. والتكبّر



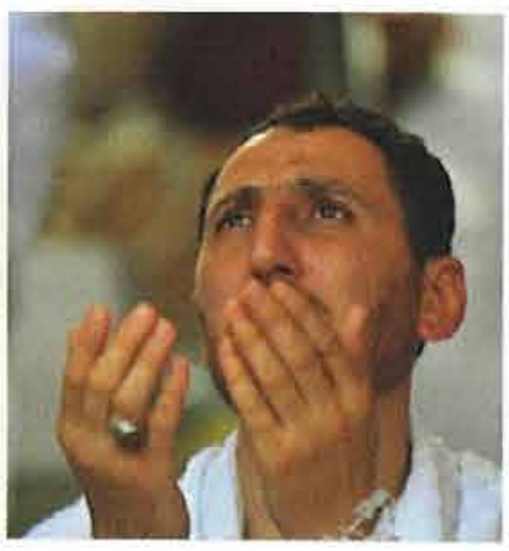

عرفات محطة من محطات المعرفة والوصول إلى الحقيقة في جانب من جوانبها، ففيها تنكشف لكل متفكر تخلى عن الدنيا حقيقة هذا الوجود

يعني أنك لا تعرف نقاط ضعفك، فيدفعك غرورك إلى تصوّر نقاط الضعف على أنها نقاط قوة، وذلك هو الجهل كلّه. فأن تتواضع يعني أن تزن نفسك بميزان إنسانيتك، وأن تعرف مقدارك ومقادير الناس حولك، وأن تجلس لتتواضع لله، فتشعر بأنّ كل ما عندك هو من الله وأنك لا تملك في نفسك شيئاً من نفسك، بل كلّه من الله سبحانه وتعالى، فكيف تتكبّر؟

• التكبر الإبليسي:

وهكذا يأتي التذكير من أمير المؤمنين عليه السلام بالمصير البائس لإبليس حيث قال: (فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ فاحذروا عباد الله عدو الله أن يغويكم بدائه وأن يستفزكم بندائه). فإبليس كان يعرف الحق، ولكن التكبر أعماه وأضله سبيلاً.

• عرفات محطة العرفة:

ومن هنا كانت عرفات محطة من محطات المعرفة والوصول إلى الحقيقة في جانب من جوانبها، ففيها تنكشف لكل متفكر تخلى عن الدنيا وزخرفها وزبرجها ـ ولو لسويعات محدودة ـ حقيقة هذا الوجود المادي أنه إلى فناء، وأن لا قيمة لهذا الوجود تماما كهذه الصحراء الجرداء، لا يحمل منها الإنسان شيئاً إلا بمقدار تعلقه بالله وحاجته إليه والطلب منه.. وحقيقته أنه الموجود الضعيف الفاني الذي لولا أن تتداركه رحمة الله لكان من الخاسرين.. وأن الكبرياء لله، وأن نصيبه كإنسان هو الضعف والخضوع.. فلم التكبر؟ وعلى من التكبر؟ على الله الذي بيده كل شئ؟ أم على خلق الله الذين تساووا معه في الملبس والمظهر والمستوى فضاع بينهم في الصورة والشكل؟ إنه لن يأخذ من هذه الدنيا إلا هذه الأكفان وهذه القربات التي يتقرب بها إلى الله.. فإن قُبلت فاز.. وإن ردت خسر الخسران المبين.

١٦ ذوالحجة ١٤٣٢ هـ
١٢ نوفمبر ٢٠١١ مـ

تكامل الولاء

لعلنا عملنا على زرع مفهوم غير متكامل مع حقيقة الولاء من خلال خطابنا الديني، بحيث ترسَّخ مضمون ذلك الخطاب في اللاوعي الشيعي

في الكافي وأمالي الصدوق عن جابر بن يزيد الجعفي، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (يا جابر، أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بمحبتنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة والإنابة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر: فقلت يا بن رسول الله، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الأوصاف! فقال عليه السلام: يا جابر، لا تذهبن بلك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً. فلو قال إني أحب رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من علي صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلم، ثم لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه شيئاً، فاتقوا واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة. أحبُّ العباد إلى الله عز وجل اتقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر، فوالله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، وما لنا على الله من حجة. من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع).

• الخطاب الديني:

لعلنا عملنا ـ من خلال خطابنا الديني ـ على زرع مفهوم غير متكامل مع ما في الحديث السابق وأحاديث أخرى مشابهة، بحيث ترسَّخ مضمون ذلك الخطاب في اللاوعي الشيعي، وانعكس لا إراديا في بعض الكلمات.

ومثالٌ على ذلك تكرار العبارة التالية على الألسن: (اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم).. عبارة من حيث المضمون لا خلاف على شرعيتها، وأنها تمثل أمنية كل مؤمن محب للنبي وآله

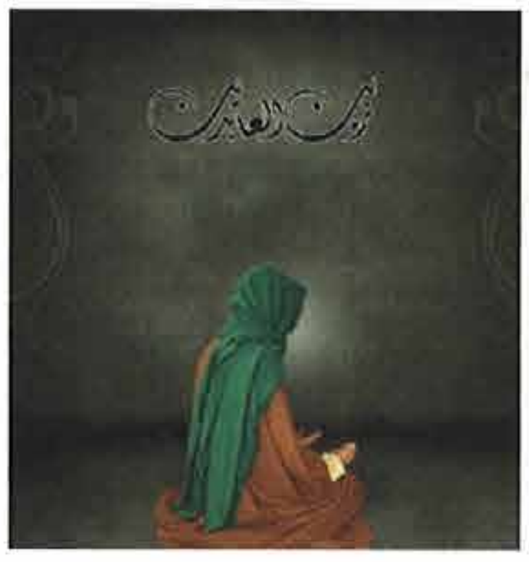



هل خلق الله النبي وآله (ع) كي يموتوا فنزورهم، ثم يحيون ليشفعوا لنا؟ وهل خلقنا الله بهدف البحث عن الشفاعة؟

عليهم السلام، سواء فيما يخص الزيارة أو شفاعة الآخرة.. ولكنها عبارة مبتورة قاصرة عن ما يفترض أن تكون عليه أمانينا في طبيعة العلاقة التي تربط المسلم الشيعي بالنبي وآله عليهم السلام.

• إطار العلاقة:

فهل يجب فعلاً أن تكون علاقتنا بهم قائمة على هذين العنوانين فقط؟ وهل خلق الله النبي وآله عليهم السلام كي يموتوا فنزورهم، ثم يحيون ليشفعوا لنا؟ وهل خلقنا الله سبحانه وتعالى بهدف البحث عن الشفاعة؟ هل هذا هو هدف الخلقة؟ هل قدّم النبي وآله ما قدموا من تضحيات فقط لنزورهم ولينالوا مقام الشفاعة؟

وبعبارة أخرى: هل من الصحيح أن نؤطر طبيعة العلاقة التي تربطنا بهم في هذين العنوانين فقط، أم أن الله حمَّلهم ما حملهم من مسؤوليات نهضوا بها واستقاموا في طريقها وضحّوا من أجلها كي يساهموا في تحقيق الغاية من الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:٥٦؟

مع الأخذ بعين الاعتبار أن الله غني عن عبادتنا، وأن العبادة محطة يحتاج إليها الإنسان كي يرتقي ويعود إلى أحسن تقويم خلقه الله عليه في عقله وروحه وفطرته. ولا يخفى أن هذا التقويم يتحقق بعدة طرق من أهمها الاقتداء والاتباع: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ آل عمران:٣١.. فما بالنا إذاً لا نذكر ذلك في ضمن دعائنا وانعكاس أمانينا لتطوير العلاقة بيننا وبين النبي وآله؟ لماذا لا يسعفنا وعينا ولا وعينا في ذكر ذلك كلما سألنا الله سبحانه أن يقوّي العلاقة بيننا وبينهم؟.. المسألة هي: ماذا رسَّخنا في الوعي واللاوعي الشيعي بخطابنا الديني.

• سيماء الشيعة:

ولعل هذا هو الذي جعل أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (ما لي لا أرى عليكم سيماء الشيعة؟) في استغراب منه للتمسك أحياناً ببعض العناوين



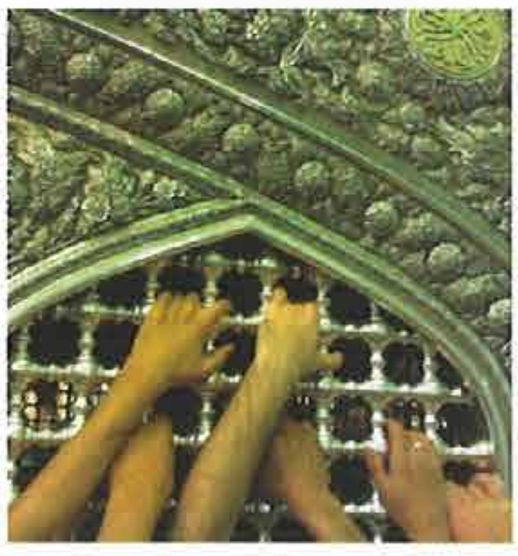

نبّه الأئمة (ع) إلى أنه قبل تمنّي الزيارة وطلب شفاعة الآخرة، على من التزم ولايتهم والتشيع لهم أن يسعى للاقتداء العملي بهم

والمظاهر الخارجية دون السماح للمضامين الحقيقية أن تأخذ مداها الكامل في تكوين الشخصية الموالية، أو الغفلة أحياناً عن الأطر الرئيسية التي تشكل معالم الشخصية الشيعية كما يجب أن تكون.

إن أئمتنا عليهم السلام في الحديث الذي صدّرت به المقالة ـ وفي غيره من الأحاديث ـ ينبّهون إلى أنه قبل تمنّي الزيارة وطلب شفاعة الآخرة، على من التزم ولايتهم والتشيع لهم أن يسعى للاقتداء العملي بهم ويطلب التوفيق لاتّباعهم، فولايتهم والتشيع لهم لا يُنال بالأمنيات، وإنما بالعمل الصالح والورع والتقوى. ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام لمن توهم كفاية الإيمان والحب: (ما أنصفتمونا أن كُلِّفنا بالعمل ووُضع عنكم).. وعلينا أن نتذكر أن تصحيح المفاهيم يعدّ خطوة في طريق إصلاح الذات.

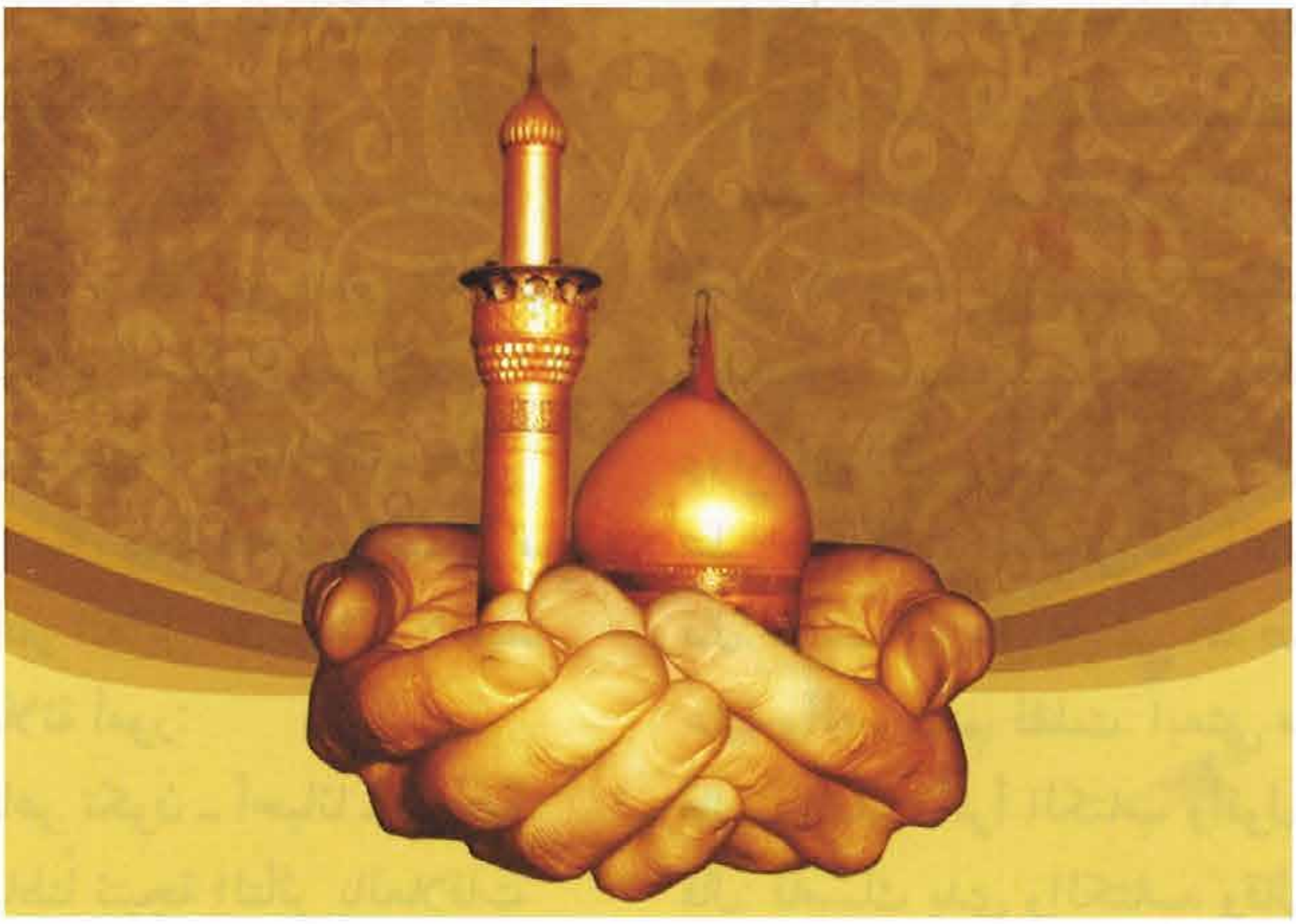

٢٣ ذوالحجة ١٤٣٢ هـ
١٩ نوفمبر ٢٠١١ مـ

لا يحبك إلا مؤمن

كيف نفهم ارتباط الإيمان بحب الإمام علي (ع) وارتباط النفاق ببغضه بهذه الصورة من الارتباط غير القابل للانفكاك ؟

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (لو ضربتُ خيشوم المؤمنِ بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها ـ والجمات جمع جمّة وهو مكان جمع الماء ـ على المنافق على أن يحبني ما أحبني، وذلك أنه قُضي على لسان النبي الأميّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا علي، لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق).

• بين المنقبة والدلالة:

عادة ما نتعامل مع هذه الكلمة من خلال بُعدها المنقبي، ونغفل عن محاولة فهم ما يريد علي عليه السلام قوله.. وكذلك دلالة كلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي استشهد بها الإمام..

فكيف نفهم ارتباط الإيمان بحب علي وارتباط النفاق ببغضه بهذه الصورة من الارتباط غير القابل للانفكاك، لاسيما بملاحظة ثلاثة أمور:

١. أن المشاعر تكون ـ أحياناً ـ موجهة توجيهاً خاطئاً نتيجة التأثر بالعلاقات الإنسانية أو للتربية الخاطئة أو لغير ذلك، ونموذجه الخبر المروي في كتاب مجمع الزوائد للهيثمي وفي كتب أخرى كصحيح البخاري والمستدرك على الصحيحين وسنن الترمذي واللفظ للأول عن الصحابي بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: (أبغضتُ علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط! قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً رضي الله عنه، قال: فبُعث ذلك الرجل على جيش فصحبتُه، ما صحبتُه إلا ببغضه علياً رضي الله عنه. قال: فأصبنا سبايا، فكَتَب ـ أي هذا القائد العسكري ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ابعث إلينا مَن يخمّسه. قال: فبعث عليا رضي الله عنه.. ووقع اختلاف بين ذلك القائد وبين الإمام علي حين اختار الخمس من الغنيمة ـ قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: ابعثني مصدِّقاً. قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدَق! قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: أتبغض

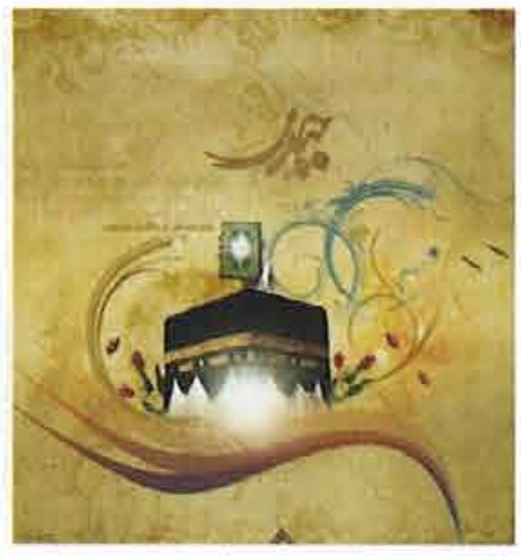



من يدرك حقيقة الإيمان ويطّلع على سيرة علي (ع) وشخصيته في إيمانه وتقواه وعلمه وجهاده وحكمته ، فإنه لا يملك إلا أن يحب علياً

علياً؟! قال : قلت نعم. قال: فلا تبغضه: وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة). وفي رواية الهيثمي الأخرى: (فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقَع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليُّكم بعدي). قال بريدة بعد ذلك: (فما كان أحد من الناس بعد قول رسول الله (ص) أحب إلي من علي).

• تبدّل الموقف:

فبريدة لم يكن منافقاً من الأساس، بل كانت أجواء العلاقات التي تربطه بذلك القائد العسكري أو سواه هي مصدر التأثير السلبي في مشاعره تجاه علي عليه السلام، ولذا فإنه بمجرد أن تلقى تحذير النبي وتنبيهه، استجاب فغدا علي أحبَّ الناس إلى قلبه. ولذا لا يمكن أن نعتبر بريدة من المنافقين.. وكذلك بالنسبة إلى مَن لم يعرف حقيقة مَن هو علي، أو كان يعيش الغفلة بسببٍ تأثير ما.

٢. أن الحب والبغض مسألة تتصل بالجانب الشعوري، والقلب يتفاعل في مسألة الحب والبغض دونما ارتباط بالمعتقد، فربما ينبض قلبك بحب شخص يختلف معك، وربما ينبض قلبك ببغض مَن يتفق معك في المبدأ والمنهج.

٣. أن أمير المؤمنين يمتلك كثيراً من الصفات الإنسانية التي يمكن ـ نظرياً ـ للمنافق أن يحبّه من خلالها، فالجود صفة إنسانية اتصف بها علي عليه السلام، وقد يكون المنافق جواداً ومحباً للجود، فكيف نفرض أنه لن يحب علياً وهو يرى الجود يتجسد في سلوكياته؟

• حب ووعي:

والذي يبدو أن المعيار المقدَّم في النص السابق لا يرتبط بالمشاعر السطحية الساذجة التي لا تبتني على أساس، وتكون قابلة للتبدل في أية لحظة، بتأثيرٍ من هنا أو

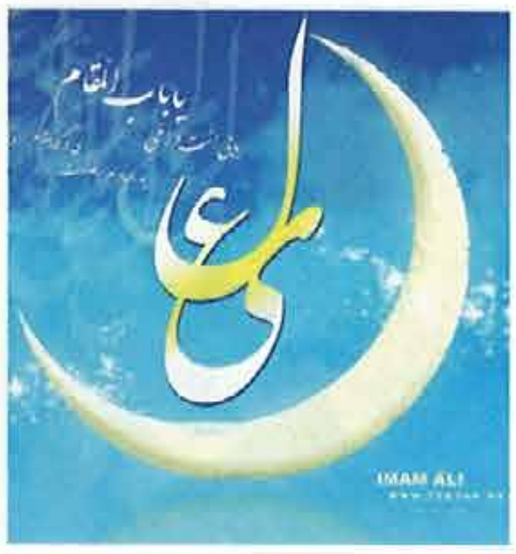

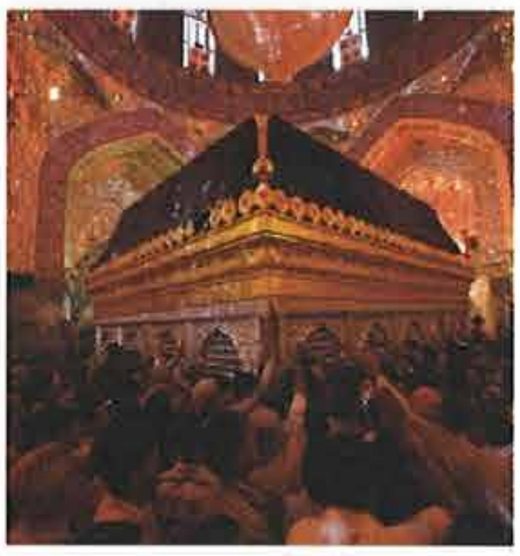

علينا أن نحب عليا (ع) حبا واعيا، حبا قائما على أساس معرفة حقيقة الإيمان من جهة، ومعرفة حقيقة الإمام علي من جهة أخرى

هناك، بل المشاعر العميقة الراسخة التي تتشكل من خلال العقل.

فمن يدرك حقيقة الإيمان من جهة، ومن يطّلع على سيرة علي عليه السلام وشخصيته في إيمانه وتقواه وعلمه وجهاده وحكمته من جهة أخرى، فإنه لا يملك إلا أن يحب عليا عليه السلام، لأن عليا كان إيماناً كلُّه، ولم يكن في شخصيته مكان لأي شيء ذاتي، وهو الذي باع كلَّه لله سبحانه، وقد قال تعالى عنه: (ومِنَ النّاس من يشْرِي نفسهُ ابتِغاء مرضاةِ الله والله رؤوفٌ بالعباد) البقرة:٢٠٧، فالمؤمن الذي يعيش في نفسه عمق الإيمان لا بد أن يعيش الحب والولاء لكل من يجسّد الإيمان، وعلي عليه السلام كان التجسيد الحي والعميق للإيمان كله.

أمّا المنافق الذي اختزن الكفر في قلبه، وكان إظهاره للإيمان بلسانه وسيلة من وسائل تغطية الخطط التي يخططها ليهدم الإيمان في العقيدة والشريعة والحياة، فكيف يمكن أن يحبّ علياً الذي يقف في قلب الساحة المواجِهة؟!

• حب ومسؤولية:

وهكذا علينا أن نحب علياً حباً واعياً، حباً قائماً على أساس معرفة حقيقة الإيمان من جهة، ومعرفة حقيقة علي من جهة أخرى، ليكون حبُّنا له حباً راسخاً عميقاً قويا، ينطلق في منعطفات حياتنا كلها.. إن حب علي يعني التزام التقوى.. إن حب علي يعني إقامة العدل.. إن حب علي يعني طلب العلم.. إن حب علي يعني نصرة الحق.. إن حب علي يعني الأمر بالمعروف.. إن حب علي يعني مقارعة المنكر.. إن حب علي يعني الاستقامة في الإسلام.. إن حبَّ علي مسؤوليةٌ كبيرة لأنَّ صِبغتَها صبغةُ الإيمان.. ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ البقرة:١٣٨.

١ محرم ١٤٣٣ هـ
٢٦ نوفمبر ٢٠١١ مـ

ماصِرون حتى آخر قطرة

لا نشعر بالأزمة الاقتصادية العالمية كثيراً بسبب استمرار ارتفاع أسعار النفط ، وبسبب سياسة الاحتلاب العشوائي للفوائض المالية

ارتباط وثيق بين السلوك الإنساني وبين النّتائج السّلبيّة التي يعاني منها الإنسان، ومساحة كبيرة من المشاكل السياسيّة والأزمات الاقتصاديّة والأمراض والحروب واختلال الأمن وغير ذلك ممّا يجعل الأرض ساحةً للفساد الأمني والاجتماعيّ والاقتصاديّ والصحّي والفكريّ، كل ذلك إنّما ينطلق من فعل الإنسان كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الرّوم:٤١.

• ابتعاد عن الله:

وبمقدار ما يبتعد الإنسان عن دائرة المسؤوليّة في نطاق الإيمان والقيم الروحيّة والأخلاقيّة بمقدار ما يكتب لنفسه الشقاء في هذه الدنيا.. هذه هي سنة الله في الحياة.. وما الأزمة الاقتصادية التي تهدد العالم في تداعياتها الأخيرة، والتي أخرجت الجماهير الغاضبة في أمريكا وأوربا وغيرهما في صور وبعناوين مختلفة إلا مظهر من مظاهر الفساد المستتبع للسلوك البشري المتمرد على التعاليم الإلهية.

احتلاب حتى آخر نقطة:

إننا لا نشعر بهذه الأزمة الاقتصادية العالمية كثيراً بسبب استمرار ارتفاع أسعار النفط، وبسبب سياسة الاحتلاب العشوائي غير المدروس للفوائض المالية.. استنزاف خاضع لضغوط المطالبات النيابية والنقابية وغيرها تحت مسميات مختلفة، في الوقت الذي يمكن فيه توظيف هذه الفوائض المالية لمصلحة المواطن ولكن بصورة اقتصادية مدروسة تكفل له رفاهاً آنياً متوازناً، وضماناً طويل الأمد له وللأجيال القادمة.. ولكن للأسف باتت عقلية الاحتلاب إلى آخر نقطة هي العقلية السائدة لدى الكثيرين.

ولأمير المؤمنين علي عليه السلام كلمة تفيدنا في هذا الإطار، ففي وصيته لعمّاله على جمع الصدقات وهو يتحدث عن رعاية إبل الصدقة: (فَإِذَا أَخذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ: أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَة





نشهد تمييعا للقيم وتخليا عن المبادئ بذرائع لا يمكنها أن تصمد أمام النقد بحيث لم يعد من السّهل الوثوق بما يقوله الكثيرون

وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلاَ يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذلِكَ بِوَلَدِهَا).. أي أنه من المفترض حتى على من يتبنّى عقلية أهل البادية في استغلال الموارد الطبيعية أن يكون متوازناً في الاستفادة منها، ويبقي شيئاً للفصيل الذي يمثل الجيل القادم.

• مبررات واهية:

ولعل البعض يعتبر أن ما يثار من قضايا الفساد المحوّلة إلى النيابة يعدّ مبرراً كافياً لكي يتم توزيع الفوائض المالية بهذه الصورة وإن كانت عشوائية.. ولكن هل من المنطقي أن نعالج الخطأ بخطأ آخر؟ لقد بات أحدنا يخاف أن نكون مصداقاً من مصاديق قوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ النّحل:١١٢.

• تمييع القيم:

والذي يزيد الطين بِلّة أنه بموازاة ذلك كله نشهد تمييعاً للقيم وتخلياً عن المبادئ بذرائع لا يمكنها أن تصمد أمام النقد، حتى بات الأمر كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال: (واعلموا، رحمكم الله، أنّكم في زمانٍ، القائِلُ فيهِ بالحقّ قليل، واللّسانُ عن الصّدق كليل) بحيث لم يعد من السّهل الوثوق بما يقوله الكثيرون (واللازم للحقّ ذليل) لأنّ النّاس كثيراً ما يميلون إلى الباطل، وهذا من شأنه أن يجعل الحقّ غريباً بينهم، فيُصبح صاحبه ذليلاً بحسب طبيعة الواقع الاجتماعيّ (أهله معتكفون على العصيان) ونحن نرى اليوم كيف يأكلون الأموال بالباطل، وكيف أصبح الخداع والكذب جزءا من حركة السياسة، وكيف أصبحت السّرقة للمال العام مسألةً طبيعيّة، وكيف بات العمل في إثارة الفتن والعصبيّات أمراً لا يثير أيّة مشكلة، بل ويعتبر رأسها بطلاً! (مصطلحون على الإدِّهان) أي يجاملون بعضهم البعض بالباطل (فتاهُمْ عارِمٌ) سيّئ الخلق وقح (وشائبهم آثمٌ) لا يحترم كبر سنّه (وعالمُهم

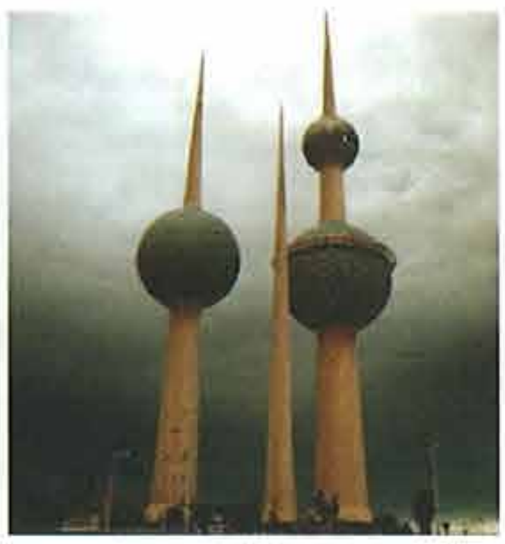



سنة الله تقتضي أن الإنسان هو الّذي يتحمّل مسؤوليّة ما يصيبه اليوم من فساد. والإصلاح مرهونٌ بإرادة الإنسان نفسِه

منافق) لا يحمل همّ الدين ولا الإنسان، بل همّه التكسب الشخصي (وقارِنُهم مُماذِق) يمزج ودّه وصداقته بالغشّ (لا يُعظِّم صغيرُهم كبيرَهم ولا يعول غنيُّهم على فقيرِهم).

• بين الدافع والمضمون:

أتصور أنه من الضروري أن نفرّق بين أمرين، بين الهدف وبين المضمون. فأمير المؤمنين لما سمع قول الخوارج: (لا حكم إِلاَّ للهِ) قال: (كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ).. كشف بذلك الهدف من إطلاق هذا الشعار من قِبَل الخوارج، وحذّر من الانسياق وراءه، ولكن هذا لا يعني أن نتخلى عن مضمون (لا حكم إلا لله) بذريعة أنه قد رُفع من قِبَلِهم.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى ما يثار بشأن القضايا المحوّلة إلى النيابة ضد بعض النواب، فإننا وإن كنا لا نتفق مع أسلوب البعض لمعالجة هذه القضية، إلا أن ذلك لا يعني أن نوافق على الفساد، سواء أكان من ستثبت في حقه قضايا الفساد ممن نلتقي معه في الانتماء القبلي أو الأسري أو المذهبي أو الحزبي أو غير ذلك.

إنّ الإنسان هو الّذي يتحمّل مسؤوليّة ما يصيبه اليوم من فساد. والإصلاح مرهونٌ بإرادة الإنسان نفسِه؛ فإذا كان النّاس يؤيّدون الظّالمين والمفسدين والمنحرفين والسّارقين والمجرمين، فلا يتوقّع أحدٌ أن يصلح حال السياسة أو الاقتصاد أو الأمن أو ما إلى ذلك؛ لأنّ ذلك خلاف سنن الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ فاطر:٤٣.



٨ محرم ١٤٣٣ هـ
٣ ديسمبر ٢٠١١ مـ

المنبر الحسيني

روى الشيخ الصدوق عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (من ذَكر مصابَنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينُه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يُحيَى فيه أمرُنا لم يمت قلبُه يوم تموت القلوب).

منبر الحسين ـ على صاحبه آلاف التحية والسلام ـ هو منبر الإسلام، ومنبر الوعي، ومنبر القيم الإنسانية.. منبر العدالة ومقارعة الظلم.. هو منبر الحرية والعدالة وحقوق الإنسان.. هو المنبر الذي أسسه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من أجل إبقاء شعلة النهضة الحسينية متّقدة في النفوس من خلال أحداثها البطولية والمأساوية، ومن خلال أهدافها وقيمها.. وهو المنبر الذي قدّم المؤمنون بهذه النهضة المباركة الكثير من التضحيات من أجل ضمان استمرار عطاءاته.

• إضعاف المنبر الحسيني:

وقد عملت جهتان رئيسيتان على الحد من هذه المجالس أو إضعاف دورها من حيث تعلم أو لا تعلم، وهي:

عملت جهتان على الحد من دور المجالس عن إدراك أو من دونه: أنصار السياسة الأموية و الوسط الخاص بأتباع مدرسة أهل البيت(ع)

أولاً ـ أنصار السياسة الأموية منذ القرن الهجري الأول إلى هذا اليوم، سواء أكانوا من العلماء أو الحكام أو الإعلاميين أو غيرهم، إما بدافع سياسي أو بدافع نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ولأنصارهم.

ومن الواضح أن هؤلاء لا يمثلون إخواننا أهل السنة، فيكفيك أن تذهب إلى مصر لترى كيف يقدّس أهلُها الإمامَ الحسين عليه السلام، وكيف يتبرؤون من يزيد واليزيديين، وهكذا الأمر في أفريقيا عموماً، وفي الشرق الأقصى من آسيا.. كما في تركيا حيث تجد حضور أسماء أهل الكساء بقوة في آثار العثمانيين في قصورهم وفي مساجدهم وفي عموم آثارهم. فأهل السنة يحبون الإمام الحسين عليه السلام، ويفترض بمن يحب الحسين أن لا يُنكر مجالس ذكر الحسين ونهضته المباركة.

وقد كتب الشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله نقلاً عن إحدى الصحف المصرية





تغييب المنبر الحسيني عن الواقع والاستغراق في التاريخ وفي الطرح النظري وفي الجانب المأساوي يشكل ردة فعل سلبية عند الشريحة الواعية

أنه في سنة ١٩٦٦ (قررت إحدى الجهات الدينية المسؤولة أن تستفيد من اهتمام المصريين بذكرى مولد الحسين حيث يجتمع مليونٍ ونصف المليون، فأنزلت ٥٠٠ متطوعاً بالوعظ وتحدثوا عن المعنى الديني والسياسي لاستشهاد الحسين، حتى صاحب الربابة كان يغني وينشد قصة الحسين وكيف ثار على الظلم، وقام بربط هذا ربطاً ذكياً بالأوضاع الرجعية الماثلة في الوطن العربي).

• تغييب عن الواقع:

ثانياً ـ الوسط الخاص بأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وينقسم تأثيرهم السلبي إلى ثلاث صور:

١. الذين يغيّبون المنبر الحسيني عن الواقع الذي نعيشه، فيستغرقون في التاريخ وفي الطرح النظري وفي الجانب المأساوي فقط، مما يشكل ردة فعل سلبية عند الشريحة الواعية المتعطشة للزاد الفكري المتفاعل مع همومها وآمالها، الأمر الذي يدفع ببعضهم إلى العزوف عن حضور هذه المجالس، أو التعامل معها بسلبية.

في عام ١٩٤٧م توجّهت المواكب والهيئات الحسينية إلى منزل الفقيه السيد أبوالقاسم الكاشاني، وكانت إيران في ذلك الوقت تعيش تحديات عديدة ترتبط بالأوضاع الداخلية (ثورة مصدّق) وبالتدخلات الاستعمارية، علاوة على الوضع الإسلامي الذي كانت فيه القضية الفلسطينية وحركات التحرر في الدول العربية والإسلامية تتبوأ الأحداث. في ذلك الظرف الزمني والمكاني ألقى السيد الكاشاني خطاباً عاشورائياً ملفتاً فريداً من نوعه بين الخطابات الدينية وخصوصاً الحسينية منها آنذاك، وجاء فيه: (أيها السادة! يا من تجمهر من أجل العزاء! هل تعلمون لماذا استشهد الحسين بن علي(ع)؟ إنّ ما يقال في حصر تلك الغاية بالشفاعة للأمة عارٍ عن الصحة، إنه(ع) عدوٌ لمن ينحرف عن هدفه المقدّس ولا يتورع عن هتك حرم الإسلام، فهل لهذه المنابر أثرٌ في الحدّ من فواحش المدينة. لقد





اختار الحسين (ع) الشهادة للحدّ من أوضاع مشابهة لما نحن فيه، ولو كنّا عمِلنا بمفهوم التضحية الحسيني لما عشنا هذه الظروف القاسية

أراد الحسين القضاء على الظلم المستفحل في المجتمع وتعليم الجميع درس الشهامة والتضحية، كان ينهى الناس عن الانصياع للظلم والجور والتواني في إحقاق الحق طرفة عين أبداً، لقد اختار الشهادة للحدّ من أوضاع مشابهة لما نحن فيه هذه الأيام، ولو كنّا عمِلنا بمفهوم التضحية الحسيني لما عشنا هذه الظروف القاسية أبداً.. أيها السادة! إذا كنتم في كربلاء وسمعتم نداء الحسين، فهل ستكونون بجانبه مع كلّ تلك الآمال والأهداف؟ فإذا كنتم مستعدين لإعانته، إذاً فلماذا لا تبادرون الآن بذلك وتسيرون على نهجه المقدّس؟).

• النصوص الضعيفة:

٢. المستغرقون في بعض النصوص التاريخية الضعيفة التي تشوّه تفاصيل أحداث النهضة الحسينية وتقدّمها بصورة تجعلها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع، أو تعمل على تقديم صور متناقضة تهدم قيم النهضة الحسينية، من قبيل تصوير الإمام الحسين عليه السلام في صورة مَن يستجدي الماء من معسكر الأعداء، وفي اللحظات الأخيرة والحاسمة من المعركة، بما يناقض نفسه الأبيّة وكلمته الخالدة: (هيهات منا الذلة) ونداءه: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد). أو تقدِّم بعض المفاهيم المتعارضة مع أصالة الإسلام والمفاهيم القرآنية، كتلك التي أشار إليها السيد الكاشاني في النص المتقدم، وكتب أحدهم في شأنها: (لقد ارتضى الحسين عليه السلام مصيرَ الشهادة من أجل نيل منصب الشفاعة الكبرى التي من خلالها يستخلص جميع الموالين والمحبّين.. وهذه درجة لا ينالها إلا باستشهاده؛ لأنّ محو معاصي الأمة والشفاعة لها متوقف على مسيل الدم وبروز الألم). فأي فرق بين هذا الطرح وبين ما يطرحه المسيحيون تحت عنوان فداء المسيح للمؤمنين به، ونعمل نحن المسلمون على نقده؟ هذا كله مع التأكيد على الإيمان بأصل الشفاعة، إلا أن هذا شئ، وكون الفداء الحسيني لمجرد نيل





المنتقدون الذين لا يقدِّمون البديل المناسب لتلك المجالس يعطون صورة سوداوية عنها المجالس الحسينية عموما ويدفعون إلى العزوف عنها

هذا المقام الأخروي شئ آخر.

يقول المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في بيان له: (إن مراسم عزاء الإمام الحسين عليه السلام هي من أهم الشعائر الدينية وسر بقاء التشيع، ولكن يجب أن تقام بشكل لا تؤدي إلى التسبب بوهن المذهب والإضرار به).

• انتقاد سلبي:

٣. المنتقدون الذين لا يقدِّمون البديل المناسب لتلك المجالس التي ينتقدونها، مما يعطي صورة سوداوية عن المجالس الحسينية عموماً، الأمر الذي يدفع الشباب إلى العزوف عنها، فإن مثل هذا النقد لا يخدم المنبر الحسيني، وعلى من ينتقد أن يعمل على تهيئة البديل الذي يصحح أخطاء من ينتقدهم.

إن مسؤوليتنا جميعاً أن نعمل على تقوية هذا المنبر، كلٌّ بحسب موقعه، فقد يكون إصرارك على الحضور في مجلس يشوّه قيم وأهداف النهضة الحسينية بصورة أو بأخرى يمثّل مساهمةً منك في إضعاف هذا المنبر.. وقد يكون نقدُك غير البنّاء لأوضاع بعض المجالس الحسينية مساهمةً منك في إضعاف هذا المنبر.. وقد يكون سكوتك عن الممارسة الخاطئة أو الكلمة غير المسؤولة مساهمةً منك في إضعاف هذا المنبر.



١٥ محرم ١٤٣٣ هـ
١٠ ديسمبر ٢٠١١ مـ

كونوا مع الحسين

الناس بطبعهم يميلون إلى الإنسان الصادق.. الإنسان المعروف بمصداقيته قولاً وعملاً، ولذا نجد أن أهل مكة يبتهجون حين دخل عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه، لأنهم عرفوه بالصادق الأمين، إلا أنهم سرعان ما تبدّلت مواقفهم وعادوه وحاربوه واتهموه بشتى التهم، ومنها الكذب، حين دعاهم إلى توحيد الله عزوجل والإيمان بنبوته.. وما ذاك إلا لأن الناس متى ما تضاربت مصالحهم مع هذا الإنسان الصادق، فإنهم لن يبالوا بصدقه، وسيعادون فطرتهم قبل أن يعادوه.

ومن هنا جاء الخطاب الإلهي للمؤمنين كي يكونوا المبدئيين الذين لا يتخلّون عن موقفهم في الثبات مع الصادقين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة:١١٩.

• مصداقية الشعارات:

ثم إن من أهم أسباب نجاح أية حركة إصلاحية أو ثورة تغييرية في الوصول إلى غاياتها، ثم في الاستمرار في تنفيذ برنامجها هو مصداقية الشعارات التي رفعتها. فمهما كانت الشعارات برّاقة فإنها ستتحول إلى لعنات تنصب على مطليقها إن لم تكن لهم المصداقية عند التطبيق.

وهذا من أسباب نجاح الثورة الحسينية في تحقيق أهدافها، وإن كان تحقق ذلك أحياناً بصورة غير مباشرة وذلك من خلال الثورات اللاحقة التي انطلقت حينها في المجتمعات الإسلامية، والتي لم تكن لتنطلق لولا كسر ثورة الإمام الحسين عليه السلام حاجز الخوف في مواجهة الباطل.

• خلود الثورة:

كما أن هذه المصداقية من أسباب خلود تلك الحركات الإصلاحية أو الثورات التغييرية، لأن المجتمعات قد تبقى تصفق للباطل خوفاً أو مجاملةً أو مصلحةً، ولكن هذا الباطل سيزول بعد مدة، وعندها ينزاح الخوف، وتتلاشى المصالح، ويتحول التصفيق إلى لعنات.. أما الثورة الحسينية

المصداقية من أسباب خلود الثورات لأن المجتمعات قد تبقى تصفق للباطل ولكن هذا الباطل سيزول بعد مدة ، وعندها ينزاح الخوف





إن كانت الشهادة لم تمهل الحسين (ع) كي يؤكّد مصداقيته بعد الثورة ، إلا أن الناس كانوا على يقين أنه صادق وهم الذين عرفوه من خلال النبي

فمصداقية الشعارات المرفوعة عند التطبيق حفظ لها الخلود.

فقد صدق الحسين عليه السلام حين قال: (لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد) وصدق الحسين حين قال: (هيهات منا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون) وصدق حين قال: (إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما) وصدق الحسين حين قال: (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

وإن كانت الشهادة لم تمهل الحسين كي يؤكّد مصداقيته استمراراً فيما بعد الثورة، إلا أن الناس كانوا على يقين أنه صادق فيما قاله، وهم الذين عرفوه من خلال رسول الله الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، عرفوا من خلاله أن الحسين سيد شباب أهل الجنة، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله منه، وأنه من رسول الله، وأن الله يحب من أحب الحسين، وأنه مصباح الهدى وسفينة النجاة.

كما عرفوه وآمنوا بمصداقيته من خلال سيرته الوضّاءة التي لم يجدوا فيها مصلحيةً ممقوتة أو حباً للدنيا أو إيثاراً للنفس أو ختلةً في قول أو فعل.

• الربيع العربي:

واليوم إذ شهدت وتشهد المنطقة العربية كل هذا الحراك الثائر، فقد أفرزت على ساحة القرار والحكم أحزاباً إسلاميَّة تحمل شعارات الحرية والعدالة والتنمية، واستطاعت أن تكسب أصوات الناخبين في أكثر من موقع.. بدءً من تونس فالمغرب فمصر.. وهو المشهد القابل لأن يتكرر في مواقع أخرى مثل ليبيا، كما أن له حضوراً في غزة من قبل.

قد يقول قائل بأن الحرية في الانتخابات وضمان أكبر قدر ممكن من نزاهة التصويت هو الذي سمح للشعوب العربية كي تعبِّر عن رأيها الإيجابي في هؤلاء الإسلاميين، لمصداقيتهم في الشعارات

التي طالما رفعوها، وأن الأجواء الإرهابية والتزوير في الانتخابات السائدة ما قبل الربيع العربي هو الذي كان يحجب هذه الحقيقة.

وقد يقول قائل أن نجاح الإسلاميين (المعتدلين) في تركيا هو الذي شجّع الشعوب العربية للتصويت للإسلاميين من ذوي الاتجاه المتفق أو القريب لسياسات حزب العدالة والتنمية التركي.. بل إن بعضهم استعار الاسم ذي الدلالة الشعارية الواضحة لدغدغة مشاعر الناس وإيصال الرسالة.. وقد وصلت بالفعل.

• فرضية التحالف:

وقد يقال أن تحالفاً ما قد قام بين الغرب وبين هذه الأحزاب الإسلامية لقلب الطاولة على بعض الحكومات في المنطقة من خلال الثورات العربية، ومن ثَم إيصال هذه الأحزاب إلى الحكم عن طريق الزخم الشعبي، وذلك بهدف استباق الأحداث التي قرأ من خلالها الغرب قوة احتمال وصول الإسلاميين في هذه الدول وبأجندات يعتبرها الغربيون متطرفة، على أن يكون إيصالُهم إلى مواقع الحكم والقرار في هذه الدول بنجاحات غير كاملة الصورة، وبالتالي اضطرارهم إلى عقد تحالفات مع قوى ليبرالية وعلمانية لتطويعهم بحيث تجعل حراكهم السياسي غير بعيد عن النموذج التركي.

هذا من جهة.. ومن جهة أخرى لمواجهة ما أطلق عليه مسمى الهلال الشيعي الذي يؤرق الغرب لتهديده المستمر للكيان الصهيوني ولعدائه للسياسات الغربية، ولنجاحه في أكثر من مرة في اجتذاب تأييد الرأي العام السني في مواقع المواجهة مع الصهاينة، مما خلق حالة من التقارب المزعج للكيان الصهيوني وللغرب.

• الحرب الباردة:

وأنا شخصياً وإن لم أقتنع إلى الآن بهذه الفرضية الأخيرة، إلا أنني كنت قد تحدثت قبل سنوات عن مخطط غربي لإدخال المنطقة في حرب باردة بين السنة والشيعة، وهذا ما حصل.. ولكن الهاجس الذي يؤرق البعض اليوم هو أن يكون بروز هذه المعادلة الجديدة على







إننا بحاجة إلى حراك شيعي دبلوماسي للتواصل مع أصحاب القرار في الحركات الإسلامية لتفويت الفرصة على أية مساع تفت في عضد الأمة

الأرض والتي تكتسب من خلالها تلك الأحزاب قوة وامتداداً، سيكون إيذاناً بدخول هذه الحرب الباردة في منعطف جديد، لتتحول إلى نوع من الصراع على الأرض لا سمح الله بين أتباع المذهبين وبصور مختلفة، لاسيما مع نضوج تلك الحرب الباردة والتي تنعكس بشكل متواصل في جعجعات القنوات الفضائية وفي تصريحات بعض القادة والسياسيين وعلماء الدين والرأي العام العربي.. ولعل ما رافق أحداث البحرين خير شاهد على ذلك.

فسواء اتفقنا مع الفرضية الأخيرة أم لم نتفق، يبقى هذا التخوف قائماً.. لا تخوفاً من استقواء الحركات الإسلامية السنية، فهم إخواننا في الدين، ويفترض أن تكون قوتُهم من قوتنا، وامتدادُهم امتداداً لنا، ولكن خوفاً من الأيادي التي تستغل التاريخ الطويل من الفتن بين الطرفين، ووجود المقومات الذاتية لنشوبها، فتسعى لإثارتها من جديد، لتبقى الساحة الإسلامية ممزَّقة، ولتنشغل ببعضنا البعض، وليعود الصراع العثماني الصفوي بثوبه الجديد في المنطقة، وليتفرغ الكيان الصهيوني لمشاريعه وللتخطيط للمرحلة القادمة وفق متغيرات الخارطة العربية.

• حراك دبلوماسي:

إنني أعتقد بأننا بحاجة إلى حراك شيعي دبلوماسي قوي تقوم به مرجعياتنا الدينية والسياسية للتواصل مع أصحاب القرار في الحركات الإسلامية في المنطقة العربية والإسلامية ككل من أجل تفويت الفرصة ما أمكن على أية مساع شيطانية تستهدف إدخالنا في مرحلة جديدة من الصراع السياسي المتلبس بلباس التعصب المذهبي. كما أعتقد أن على إخواننا في تلك الحركات أن يبعثوا برسائل تطمين صادقة تزيل هذه المخاوف، وتؤكد مصداقيتها في السعي لتحقيق المصالح الإسلامية العليا، وإن كان ذلك على حساب المصالح الشخصية أو الحزبية.

٢٢ محرم ١٤٣٣ هـ
١٧ ديسمبر ٢٠١١ مـ

يوم الفرقان

الفرقان هو الحد الفاصل بين شئ وشئ .. والقرآن فاصل بين الحق والباطل ، وهكذا التوراة ، وكانت معركة بدرالفاصل بين الحق والباطل

استعمل القرآن الكريم كلمة (الفرقان) بهذه الصيغة عدة مرات، تارة بخصوص القرآن الكريم وذلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان:١، وتارة بخصوص التوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الأنبياء:٤٨، كما عبّر عن معركة بدر الكبرى بهذا العنوان حيث قال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال:٤١. وهي ليست أسماء متكررة لوجودات مختلفة، بل صفة تشترك بها هذه الموصوفات.

• تعريف الفرقان:

فالفرقان هو الحد الفاصل بين شئ وشئ.. والقرآن فاصل بين الحق والباطل في العقائد والمعارف وبين وظيفة العبد وما ليس بوظيفة له.. وهكذا هي التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام.. كما أن معركة بدر كانت الفاصل بين الحق والباطل، إذ كانت أول مواجهة قتالية كبرى بين التوحيد والشرك في تاريخ الإسلام، ومن خلال النصر الذي تحقق للمسلمين امتاز الناس إلى معسكرين وجبهتين.

• معركة بدر:

صحيح أن الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بدر ثلاثمائة أو يزيدون، وإن الذين وقفوا إلى جانب قريش لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا ألفاً أو يزيدون قليلاً، إلاّ أن هذه المواجهة كانت أعمق وأوسع من ظاهرها البسيط في العدد.

فقد كان يقف من وراء المشركين من قريش في بدر جبهة عريضة من الشرك في الجزيرة وخارجها.. وتصاعُد الأحداث بعد هذا اليوم أثبت هذه الحقيقة.. وفي المقابل كانت تقف الجبهة الحديثة التكوّن التي ترفع لواء التوحيد والتي لم يتسنَّ لها أن





يوم الفرقان الثاني في تاريخ الاسلام
هو يوم عاشوراء الحسين (ع) ، في
صورة قريبة من معركة بدر من حيث
المشهد الإجمالي

تتحالف إلا مع بعض القبائل هنا وهناك. فيوم بدر إذن فرَّق الناس إلى شطرين متمايزين في الولاء، من خلالهما تلخَّصت صورة لصراع بقاء بين عقيدتين سيُكتَب لعقيدة التوحيد من خلالها الامتداد إلى أن يأذن الله بنهاية الأرض.

• الفرقان الثاني:

يوم الفرقان الثاني في تاريخ الاسلام هو يوم عاشوراء، في صورة قريبة من معركة بدر من حيث المشهد الإجمالي، فقد كان يقف الحسين عليه السلام مع ثلة صغيرة من أهل بيته وأصحابه، وفي الجانب الآخر، يقف عمر بن سعد مع جيش واسع، ومن ورائه ابن زياد، ومن ورائه يزيد وسلطانه وملكه الواسع وأمواله الكثيرة وإمكاناته، وكلّ الموالين له والمستفيدين منه. وهو يوم فرقان لأنه يوم أوجد الحد الفاصل بين الحق والباطل، وشطر المسلمين إلى شطرين متمايزين في الولاء والأخلاق والفكر والخط والعقيدة، ولأنه لم يكن هناك التباس في أمر المعركة التي حدثت على أرض الطف، ولم يعد أحدٌ من المسلمين يومئذ يشك في أن الحسين يدعو إلى الله ورسوله وإلى الاستقامة على صرط الله المستقيم، وبالتالي فهو على هدى.. وأن يزيد قد تجاوز حدود الله، وجاهر بالفسق والفجور، وهو يجلس مجلس رسول الله، وبالتالي فهو على ضلالة.. فمن وقف مع الحسين وقف عن بيّنة، ومن وقف مع يزيد وقف عن بيّنة. وقليل من مشاهد الصراع بين الحقّ والباطل يمتلك هذا الوضوح الذي تمتلكه واقعة الطف.

• الخطابات الحاسمة:

وقد كانت لخطابات الحسين عليه السلام الدور في تجلية الصورة بهذا الشكل، فقد وقف يوم عاشوراء بين الصّفين وقال مخاطباً جيش ابن زياد:

(أمّا بعد، فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلي أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألستُ ابنُ بنتِ نبيِّكم وابنُ وصيّه وابنُ

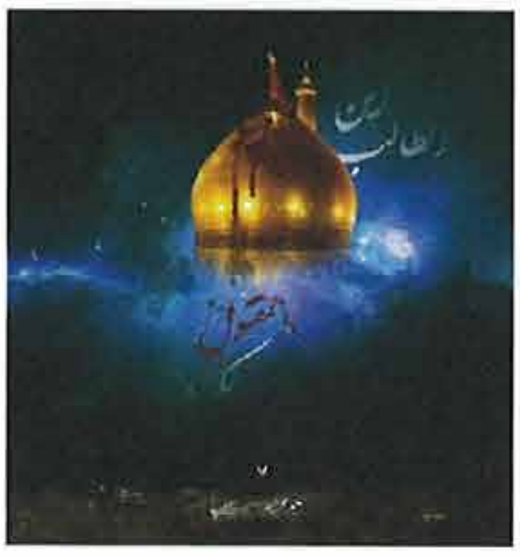



هذا الفرقان تجلى في الجو العام الذي انطبع به كل من المعسكرين في تصرفاته ، وفق الانتماء لمحور الولاية الإلهية ، و الولاية للطاغوت

عمّه وأوّلُ المؤمنين المصدّق لرسول الله صلى الله عليه وآله بما جاء به من عند ربّه؟! أو ليس حمزةُ سيّدُ الشهداء عمّي؟ أو ليس جعفرٌ الطيّار في الجنّة بجناحين عمّي؟! أولم يبلغكم ما قال رسول الله صلّي الله عليه وآله لي ولأخي: هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فإن صدّقتموني بما أقول ـ وهو الحقّ ـ واللهِ ماتعمّدتُ كذباً منذ علمتُ أنَّ اللهَ يمقت عليه أهلَه، وإنْ كذّبتموني فإنّ فيكم من إنْ سألتُموه عن ذلك أخبركم. سَلوا جابر بن عبد الله الأنصاريّ وأبا سعيد الخدريّ وسهل بن سعد الساعديّ وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي. أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي ؟!).

ثم قال عليه السلام: (لاَ وَاللهِ لاَ أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ؛ وَلاَ أُقِرُّ لَكُمْ إِقْرَارَ الْعَبِيدِ. يَا عِبَادَ اللهِ! إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ؛ وَأَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَيُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ. تَبّاً لَكُمْ أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحاً. أَحِينَ اَسْتَصْرَخْتُمُونَا وَالِهِينَ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوجِفِينَ؛ سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ؟ وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَاراً اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ؟! فَأَصْبَحْتُمْ أَلَباً لأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلاَ أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ؟!).

• تجلي الولاءين:

هذا الفرقان تجلى في الجو العام الذي انطبع به كل من المعسكرين في تصرفاته، وفق ما يفرضه الانتماء لمحور الولاية الإلهية، والانتماء للطاغوت.. فمعسكر لا يهتم إلا بنيل رضا الله والطاعة له وللإمام، ومعسكر لا يبالي بما يرتكب من جرائم وحشية تندى لها البشرية، في مقابل أن ينال شيئاً من حطام الدنيا.

ففي ليلة العاشر يوجه الحسين عليه السلام أخاه العباس رضوان الله عليه ليطلب من القوم تأجيل القتال ليوم: (ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة وتدفعهم عنّا العشية، لعلنا

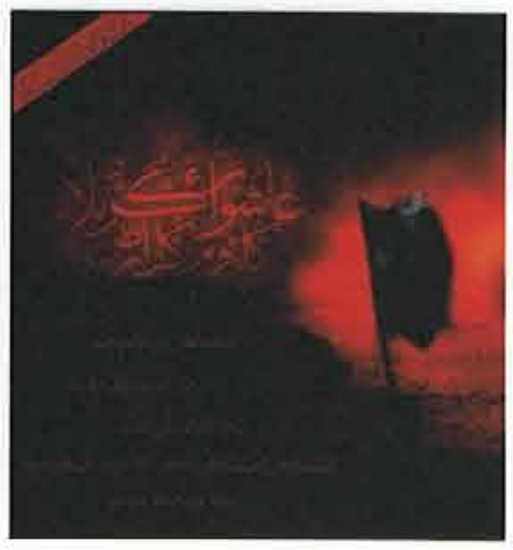



معسكر الحسين (ع) لم يهتم إلا بنيل رضا الله، ومعسكر أعدائه لا يبالي بما يرتكب من جرائم وحشية تندى لها البشرية من أجل حطام الدنيا

نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد أحب الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار).

وفي كتاب اللهوف للسيد ابن طاوس: (وَبات الحسينُ عليه السلام وأصحابُه ـ ليلةَ عاشوراء ـ وَلهم دويٌّ كَدويِّ النحلِ، مَا بَينَ راكع وساجد وقائم وقاعد، فَعبرَ عليهم مِنْ عسكرِ عُمر بنِ سَعد اثنانِ وَثلاثونَ رَجلاً، وَكذا كانت سجية الحسينِ عليه السلام في كَثرةِ صَلاتِه وَكمالِ صِفاته).

وفي المقابل يتبجح الأخنس بن مرثد في رضّهِ للأجساد الطاهرة بعد استشهادهم، ففي اللهوف: (ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه: مَن ينتدب للحسين عليه السلام فيواطئ الخيل ظهره وصدره؟ فانتدب منهم عشرة وهم.. فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضوا صدره وظهره.

قال الراوي: وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد فقال: أسيد بن مالك أحد العشرة عليهم لعائن الله:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر
بكل يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنّا حناجر صدرِه. قال: فأمر لهم بجائزة يسيرة. قال أبو عمر الزاهد: فنظرنا إلى هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعا أولاد زنا).

وعن فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: (دخلت العامة علينا الفسطاط وأنا جارية صغيرة وفي رجلي خلخالان من ذهب فجعل رجل يفضّ الخلخالين من رجلي وهو يبكي فقلت: ما يبكيك يا عدو الله؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟! فقلت: لا تسلبني، قال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه. قالت: وانتهبوا ما في الأبنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا).

• مع الحق دائماً:

إن علاقتنا بعاشوراء الحسين عليه السلام لا تنتهي عند حد ذرف الدموع واسترجاع التاريخ، بل تنطلق لتكون

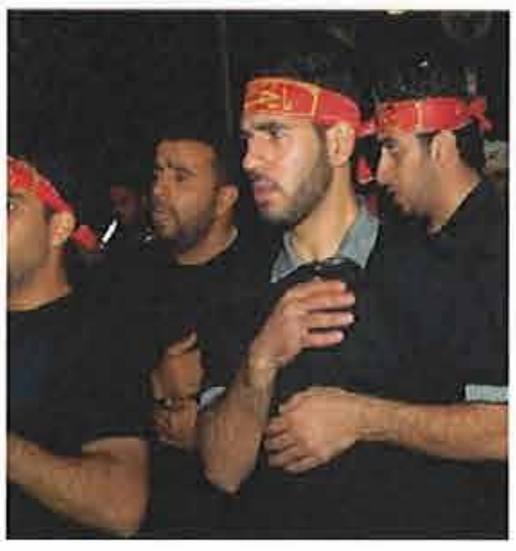

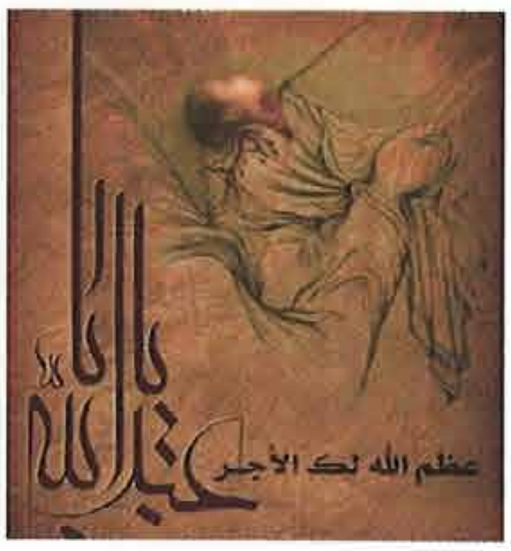

علاقتنا بعاشوراء الحسين (ع)
لا تنتهي عند حد ذرف الدموع
واسترجاع التاريخ ، بل تنطلق
لتكون فرقاناً لمسيرتنا في الحياة

فرقاناً لمسيرتنا في الحياة، فمنها نتعلم أننا إذا كنا مع الحق فإننا نسير في الخط الذي يرتضيه الحسين، وإن كنا مع الباطل، الباطل السياسي أو الباطل الفكري أو الباطل السلوكي فإننا نسير في الخط المعادي للحسين.. ومنها نتعلم أن لا نتنازل عن مبادئنا للحصول على مكسب سياسي أو موقع متقدم.. اجتماعياً كان أو انتخابياً أو غير ذلك.. فالمبادئ هي التي ترسم معالم وحدود الخط الذي نسير عليه، فإما أن يكون صراطاً مستقيماً كصراط الحسين، وإما أن تكون سبلاً فتفرق بنا عن سبيل الله ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام:١٥٣.



٢٩ محرم ١٤٣٣ هـ
٢٤ ديسمبر ٢٠١١ مـ

الأحلام والرؤى
١ من ٢

قضية الأحلام ذات علاقة بالغيب، ولا يمكن أن نفهمها بصورة كاملة ودقيقة، وما نقوله يمثل محاولة للوصول إلى مقاربة لفهم الأمر

يفرّق البعض بين الأحلام والرؤى، انطلاقاً مما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ). ولربما قيل بأنه يمكن إطلاق الرؤيا أيضاً على ما هو باطل، بدليل ما روي أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (الرُّؤْيَا ثَلاثٌ: فَبُشْرَى مِنَ اللهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ).

إلا أن الذي يهمنا هنا هو معرفة الموقف العملي من الرؤى والأحلام.. ولابد في البداية من التأكيد على أن القضية مادامت ذات علاقة بالغيب، فإنه لا يمكن أن نفهمها بصورة كاملة ودقيقة، وما نقوله ـ بالتالي ـ يمثل محاولة للوصول إلى مقاربة لفهم الأمر، وما يهمنا أكثر هو معرفة الموقف العملي من هذه القضية.

• أهمية الموضوع:

أما الذي يدفعنا للحديث عن هذا الموضوع فهو ـ أولاً ـ الإفراط عند كثير من الناس في الاهتمام بالرؤى والأحلام، وترتيب الآثار عليها، سواء على المستوى علاقتهم بالدين أو علاقاتهم الاجتماعية أو تصرفاتهم الشخصية.

وثانياً: الدخول على الخط من قبل بعض المدّعين للعلم والاطلاع على الغيبيات ومدّعي القدرة على تعبير الرؤى بحيث يوهمون الناس من خلال كلامهم أن ما يقولونه يمثل الحقيقة، ولربما لدوافع مادية بحتة، لينطلق الناس في تطبيق ما يقولونه لهم مما قد يفسد عليهم حياتهم الشخصية أو علاقاتهم أو دينهم.

كل هذا في مقابل سكوت كثير من أهل العلم عن هذا الأمر.. وللشيخ المفيد رحمه الله (ت٤٦٠هـ) كلمة في الصميم في هذا الخصوص، قال: (إن الكلام في باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد، والبلية بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل جليل).

• مصدر الرؤى والأحلام:

ولكي نعرف الموقف العملي من الأحلام والرؤى لابد أولاً من مقاربة



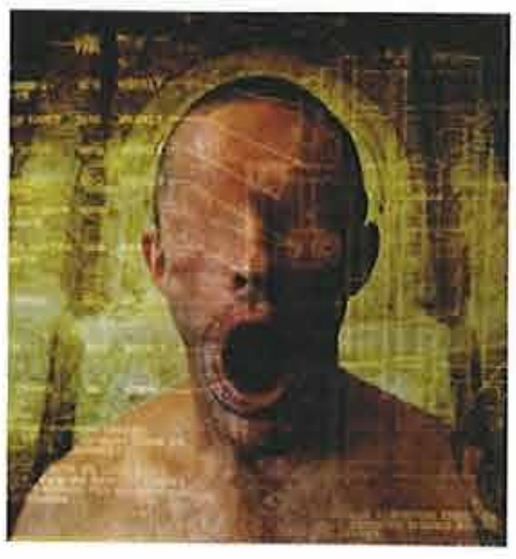

عندما تكون الرؤى نحوا من الإلهام للنبي فلابد أن تقترن بما يعزز ذلك عنده ، سواء على نحو الوظيفة الشرعية أو الإخبار بأمر مستقبلي

لفهم حقيقتها ومصدرها، وذلك من خلال النقاط التالية:

١. الرؤى الحقيقية قد تتحقق للأنبياء كما في رؤيا النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات:١٠٢، وكذلك رؤيا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح:٢٧.. كما قد تتحقق ـ أيضاً ـ لعامة الناس كما حدث للسجينين مع النبي يوسف عليه السلام، وكذلك للملك المعاصر له.

إلا أنها عندما تكون نحواً من الوحي أو الإلهام للنبي فلابد أن تقترن بما يعزز ذلك عنده، إذ لا مجال للخطأ في تبليغ أمر، سواء على نحو الوظيفة الشرعية كما في ذبح إسماعيل عليه السلام، ونلاحظ قول النبي إسماعيل عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ فقد كانت الرؤيا نوعاً من الأمر الإلهي دون أي تردد أو شك.. أو على نحو الإخبار بأمر مستقبلي كما في الإخبار بأداء عمرة القضاء في آية سورة الفتح.

أما بالنسبة إلى عامة الناس فلا سبيل للتيقن من صدقية الرؤيا وتعبيرها. ولذا لا سبيل لغير مَن عصمه الله سبحانه أن يجزم بتكليفه بوظيفة شرعية وفق ما رآه في المنام، أو أن يجزم بأن ما رآه في المنام هو إخبار عن أمور غيبية أو مستقبلية حتمية الوقوع.

- أقسام الرؤى والأحلام:

٢. قسمت بعض النصوص الدينية الإسلامية ما يراه الإنسان في منامه إلى قسمين، كما في الخبر المروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ



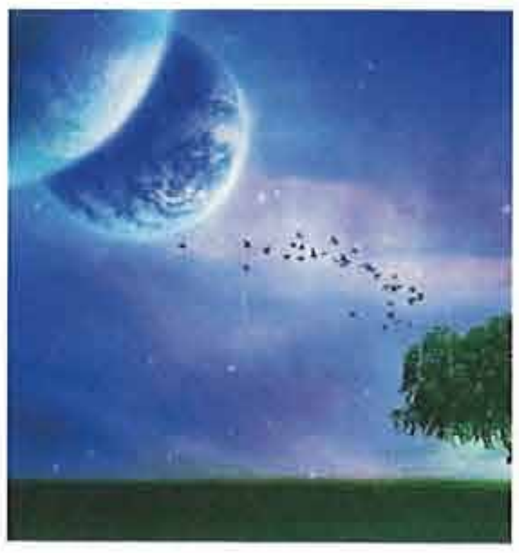

من الأحاديث ما يقسمها إلى ثلاثة أقسام فعن النبي (ص) : (الرُّؤْيَا ثَلاث : فَبُشْرَى مِنَ اللهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ)

مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر:٤٢، أنه قال: (ما مِن عبدٍ ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سببٌ كشعاع الشمس، فإذا أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروحُ النفسَ، وإن أذن الله في ردِّ الروح أجابت النفسِ الروح وهو قوله سبحانه: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، فمهما رأت في ملكوت السموات فهو مما له تأويل، وما رأته بين السماء والأرض فهو مما يخيله الشيطان ولا تأويل له).

وقريب من ذلك ما رواه السيوطي في الدر المنثور عمّا أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال: (العجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على باله فتكون رؤياه كأَخْذٍ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئاً!)

فاستشهد الإمام علي بنفس الآية ثم قال: (فالله يتوفى الأنفس كلها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسِلت إلى أجسادها تلقَّتها الشياطين في الهواء فكذَّبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها. فعجب عمر من قوله).

ومن الأحاديث ما يقسمها إلى ثلاثة أقسام كتلك التي نقلتها في البداية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الرُّؤْيَا ثَلاثٌ: فَبُشْرَى مِنَ اللهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ). وقد أشارت العديد من الأخبار إلى أن من أسباب الرؤيا الكاذبة هو حديث النفس الذي يضغط على الإنسان باتجاه خلق الصور الخيالية التي ترتبط بما يحدِّث الإنسان به نفسه.

• كيف نميّز بينها؟

مما سبق اتضح أن ما يمكن الاعتماد عليه من الرؤى والأحلام ـ مبدئياً ـ هو قسم واحد فقط من الثلاثة، أي أن الدائرة المقبولة من الرؤى والأحلام قد ضاقت بنسبة الثلث.. ولكننا مع هذا سنواجه مشكلتين:

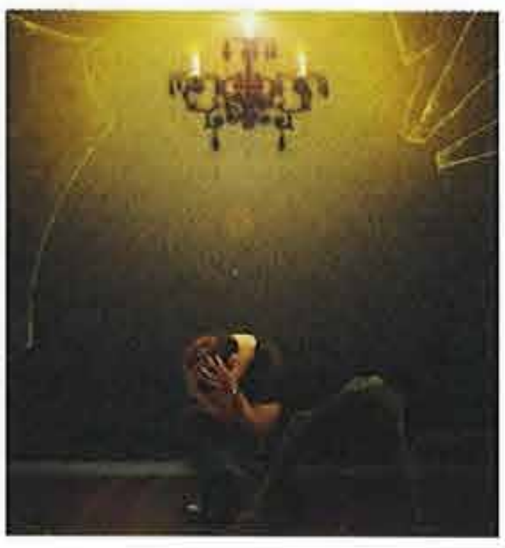

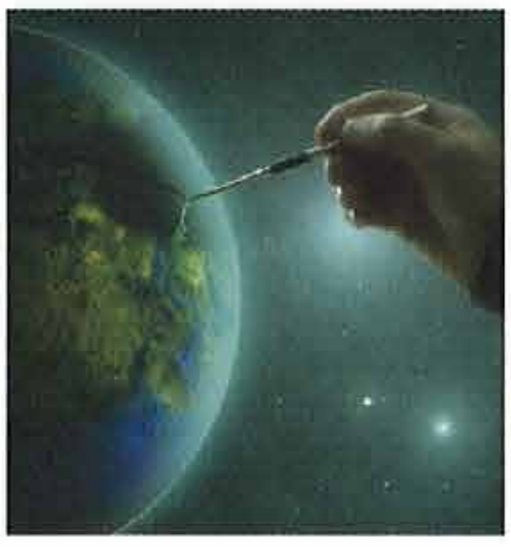

كيف يمكن أن يثق أحدنا بما رآه أو بتعبيره وقد قال الإمام الصادق (ع): لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء ؟

الأولى: كيف نميز أن ما رأيناه هو من القسم الصادق أم من القسمين الآخرين؟

الثانية: نفس هذا القسم الصادق ينقسم إلى أقسام تعقّد الأمور أكثر، قال العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان مع الاختصار: (المنامات الحقة تنقسم انقساماً أولياً إلى منامات صريحة لم تتصرف فيها نفس النائم فتنطبق على ما لها من التأويل من غير مؤنة، ومنامات غير صريحة تصرَّفت فيها النفس من جهة الحكاية بالأمثال والانتقال من معنى إلى ما يناسبه أو يضاده، وهذه هي التي تحتاج إلى التعبير بردِّها إلى الأصل الذي هو المشهود الأولي للنفس.. ثم هذا القسم الثاني ينقسم إلى قسمين أحدهما ما تتصرف فيه النفس بالحكاية فتنتقل من الشيء إلى ما يناسبه أو يضاده.. بحيث لا يعسر رده إلى أصله.. وثانيهما ما تتصرف فيه النفس بحيث يتعذر أو يتعسر للمعبر أن يردّه إلى الأصل المشهود). ويستشهد العلامة برؤيا السجينين والملك فقال: (نجد أن يوسف عليه السلام يعبِّر رؤيا الملك بتعبير لا تجد الأذهان بينه وبين الرؤيا مناسبة).

وبالتالي كيف يمكن ـ بعد هذا البيان ـ أن يثق أحدنا بما رآه، أو بتعبير ما رآه، سواء أكان هو المعبِّر أم غيره؟ وإلى هذا أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام مخاطباً المفضل بن عمر حيث قال: (فكِّر يا مفضَّل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء، ولو كانت كلها تكذب، لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها، أو مضرة يتحذر منها، وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد)... يتبع.



٦ صفر ١٤٣٣ هـ
٣١ ديسمبر ٢٠١١ مـ

الأحلام والرؤى
٢ من ٢

الرؤيا الحقة تنقسم إلى ما تكون واضحة تعبيرها سهل ، ورؤيا معقدة التعبير ، ولا يمتلك القدرة على ذلك إلا القليل كالنبي يوسف (ع)

في العدد الماضي دار الحديث حول الموقف العملي من الرؤى والأحلام، وتوصلنا إلى النتائج التالية:

١. أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية بحسب المصدر: إما رؤيا حق، أو تسويلات شيطانية، أو حديث النفس.

٢. أن التمييز بين هذه الأقسام صعب، وأن مَن عصمه الله سبحانه هو وحده هو الذي لابد أن يقترن الإلهام الإلهي له في المنام بما يتيقن من خلاله أنها رؤيا حق، سواء أكان ما رآه تكليفاً أو إخباراً عن غيب.

٣. أن الرؤيا الحقة تنقسم بدورها إلى ما تكون واضحة، ورؤيا تعبيرها سهل، ورؤيا معقدة التعبير، ولا يمتلك القدرة على تعبير هذا القسم الأخير إلا القليل كالنبي يوسف عليه السلام.

كل هذا يدفعنا إلى عدم إعطاء كل هذه الأهمية التي يوليها الناس للمنامات، فتؤثر في سلوكهم الشخصي أو علاقاتهم الاجتماعية أو شؤونهم الدينية.

رؤية النبي في المنام:

إلى أي مدى يمكن الاعتماد على رؤية النبي أو الإمام في المنام، والإلتزام بمضمون تلك الرؤيا، سواء أكانت على سبيل بيان حكم شرعي أو الأمر بفعل شئ أو ترك شئ، أو بالإخبار عن المغيبات والمستقبليات، لاسيما بلحاظ المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من رآني في نومه فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي)؟

الإجابة على ذلك تكون وفق النقاط التالية:

١. علّق السيد الشريف المرتضى على الخبر: (هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معوَّل على مثل ذلك).

٢. اعتبر الشيخ المفيد وهو من أعلام القرن الخامس الهجري أن ادّعاء أتباع المذاهب المختلفة صحة ما يتبنونه بناء على رؤيا رآها شخص من أتباع هذا المذهب يدعوه فيها النبي إلى اتّباع فلان، ثم رؤيا شخص آخر من مذهب آخر للنبي يأمره بخلاف ذلك، هو في حد ذاته





نهى الأئمة (ع) عن الاعتماد على الرؤى في الإخبار بالغيب والمستقبل على نحو اليقين، وأكدوا على أن الدين لا يؤخذ من خلال المنامات

دليل على عدم صحة التعويل على الرؤى، وبتعبيره فإن: (أولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه، والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه).

٣. نهى الأئمة عليهم السلام عن الاعتماد على الرؤى في الإخبار بالغيب والمستقبل على نحو اليقين، فعن أبي بكر بن عياش أنه قال: (كنت عند أبي عبد الله ـ جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام فجاءه رجل فقال: رأيتك في النوم كأني أقول لك: كم بقى من أجلي؟ فقلت لي بيدك: هكذا، وأومأ إلى خمس، وقد شغل ذلك قلبي. فقال عليه السلام: إنك سألتني عن شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل، وهي خمسةٌ تفرّد الله بها ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾).

٤. وكذلك بيّن الأئمة عليهم السلام أن الدين لا يؤخذ من خلال المنامات، سواء أكانت على سبيل بيان حكم شرعي أو الأمر بفعل شئ أو ترك شئ. ونموذج ذلك ما روي مِن أن تشريع الأذان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من خلال رؤيا رآها أبيّ بن كعب. ولذا قال العلامة المجلسي: (قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق عليه السلام في حديث الأذان أن دين الله تبارك وتعالى أعز من أن يرى في النوم).

• جواب العلامة الحلي:

وسأل السيدُ مهنا بن سنان العلامةَ الحلي وهو من أعلام القرن السابع الهجري: (ما يقول سيدنا فيمن رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله أو بعض الأئمة عليهم السلام وهو يأمره بشئ وينهاه عن شئ؟ هل يجب عليه امتثال ما أمره به أو اجتناب ما نهاه عنه أم لا يجب ذلك؟ مع ما صح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان





المنامات ليست بحجة، ولو رأى الإنسان في المنام نبياً أو إماماً، فإن كان خيراً استبشر به، وأما التكاليف فمناطها واقع المسائل الشرعية

لا يتمثل بي، وغير ذلك من الأحاديث. وما قولكم لو كان ما أمر به أو نهى عنه على خلاف ما في أيدي الناس من ظاهر الشريعة؟ هل بين الحالين فرق أم لا؟ أفتنا في ذلك مبيّناً، جعل الله كل صعب عليك هيّناً).

فأجاب العلامة: (أما ما يخالف الظاهر فلا ينبغي المصير إليه، وأما ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب، لأن رؤيته عليه السلام لا يعطي وجوب الاتّباع في المنام).

• جواب المرجع مكارم الشيرازي:

وحول الأخذ بالأوامر الصادرة في المنام عن الإمام المهدي عليه السلام ـ لاسيما في الجانب الشرعي ـ أجاب المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (ما تم تلقيه في المنام لا حجة له، وذلك بأمر أئمتنا المعصومين عليهم السلام، وكذلك فإنه بأمر أولئك العظماء إذا ادعى أحد رؤية سيدنا وحبيب كل القلوب الإمام ولي العصر أرواحنا فداه وجاء طبقاً لذلك برسالة ما فإنه يجب تكذيبه.

وكذلك فإن صلاح أمركم ـ أيها الإخوة ـ أن لا تخرجوا عن إطار المسائل الشرعية، إذ نجزم بعدم رضا مولانا ولي العصر بذلك.. ولا تنسوا أنهم أمروا إذا ظهرت البدع أن يُظهر العالم علمه وإلا فعليه لعنة الله. وما قيل في الأسطر السابقة كان انطلاقاً من هذا الحديث الشريف والسلام عليكم).

وخلاصة القول إن المنامات بالنسبة إلينا ليست بحجة، ولو رأى الإنسان في المنام نبياً أو إماماً، فإن كان ما رآه في النوم خيراً استبشر به، وتوكل على الله. وأما التكاليف الشرعية فمناطها ما يؤخذ في الواقع من المسائل الشرعية التي يفتي بها الفقهاء وفق بحوثهم ودراساتهم العلمية، لا من خلال ما يراه الناس في مناماتهم.

١٣ صفر ١٤٣٣ هـ
٧ يناير ٢٠١٢ مـ

معبد.. وقرابين النجاح

تمعّنوا في أحوال الماضين في مواطن القوة والضعف، واستفيدوا من تجاربهم لئلا تكرروا الأخطاء، ولتأخذوا بأسباب القوة والنجاح

جاء في الخطبة ١٩٢ من نهج البلاغة وهي المعروفة بالخطبة القاصعة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (واحذروا ما نزل بالأمم قبلَكم من المَثُلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال) وهي دعوة إلى دراسة التاريخ بوعي وتدبر، لتتحول هذه الدراسة وهذا الوعي إلى واقع عملي (فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم. فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزَموا كلَّ أمر لزِمت العزةُ به شأنَهم، وزاحت الأعداءُ له عنهم، ومدت العافيةُ فيه عليهم، وانقادت النعمةُ له معهم، ووصلت الكرامةُ عليه حبلَهم) تمعّنوا في أحوالهم في مواطن القوة والضعف، واستفيدوا من تجاربهم لئلا تكرروا الأخطاء، ولتأخذوا بأسباب القوة والنجاح، ولتكن هذه الدراسة دائمة في الرخاء والشدة.

• عوامل النجاح والفشل:

ويشرع الإمام ببيان بعض أهم العوامل التي حققت لهم النجاحات، ثم يحذّر من أهم أسباب دمار المجتمعات: (من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألفة، والتحاضِّ عليها والتواصي بهَا. واجتنبوا كلَّ أمر كسر فِقرتهم، وأوهن مِنَّتهم ـ قوتهم ـ من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي). ثم يقدّم نموذجاً من التاريخ يسلّط الضوء على عوامل الضعف والقوة: (وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلَكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء. ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء، وأجهد العباد بلاء، وأضيق أهل الدنيا حالاً؟ اتخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب، وجرّعوهم المِرار. فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة، لا يجدون حيلة في امتناع، ولا سبيلاً إلى دفاع).

• اللحظة الحاسمة:

وجاءت اللحظة الحاسمة التي ستنقلب فيها الأمور لصالح المؤمنين عندما ثبتوا ولم ينهزموا أمام الباطل والطغيان، ولم

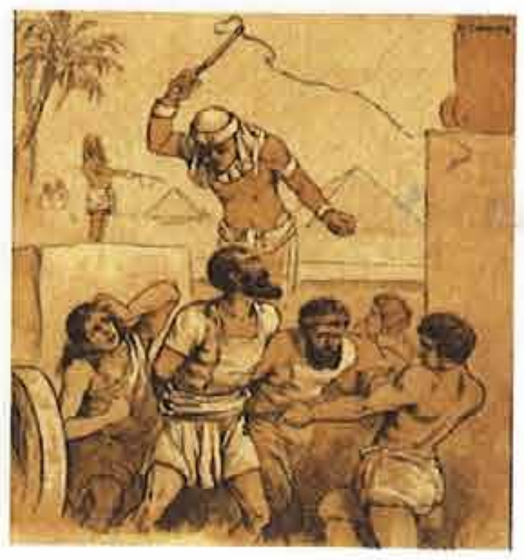



هل سقطنا أمام المد الطائفي والحزبي والقبلي، أم ما زال بيننا من يحملون المسؤولية كما حملها أمير المؤمنين علي (ع) ؟

يبدّلوا دينهم وقيمهم خوفاً وطمعاً، فكانت استقامتهم وهم في موقع الاستضعاف سبباً لنصرتهم: (حتى إذا رأى الله جد الصبر منهم على الأذى في محبته، والاحتمال للمكروه من خوفه، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً، فأبدلهم العز مكان الذل، والأمن مكان الخوف، فصاروا ملوكاً حكاماً، وأئمة أعلاماً، وبلغت الكرامة من الله لهم ما لم تبلغ الآمال إليه بهم). وكان ضمان استمرار هذه النجاحات ودوام عزتهم وقوتهم هو وحدة كلمتهم: (فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء ـ الأقوام ـ مجتمعة، والأهواء متفقة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة. ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين وملوكاً على رقاب العالمين). ولكنهم لما تخلوا عن ذلك كله تبدلت أحوالهم وعادوا ضعافاً أذلاء: (فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة، وتشتتت الألفة واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحازبين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته. وبقي قَصصُ أخبارِهم فيكم عِبَراً للمعتبرين).

• الكويت ومضيق الانتخابات:

من الواضح أن المقطع السابق من الخطبة يتناغم مع قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) الأنفال:٤٥-٤٦..

والسؤال الذي يخصنا في الكويت في الأجواء المحمومة للانتخابات: هل سقطنا أمام المد الطائفي والحزبي والقبلي، أم ما زال بيننا من يحملون المسؤولية كما حملها أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي قال: (لَقد عَلِمتُم أني أحَقّ الناس بها من غيري، وَوَالله لأسَلِّمَنّ ما سَلِمَت أمور المسلمين، ولم يَكن فيها جَور إلا عَلَيّ



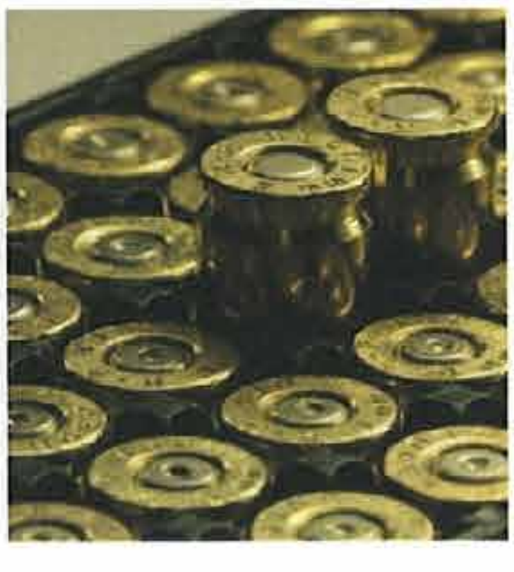

هل ستمثّل الانتخابات الرصاصةَ التي ستُطلَق لتقضي على كل الجهود الخيّرة التي بُذلت لإعادة حالة التعايش بين مكونات المجتمع ؟

خاصّة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه)؟

وهل ستمثّل الانتخابات التي نعيش أحداثها الرصاصةَ التي ستُطلَق لتقضي على كل الجهود الخيّرة التي بُذلت في الكويت لإعادة حالة التعايش بين مكونات هذا المجتمع في صورته الطبيعية التي كان يعيشها فيما مضى، والتي عمل المخلصون من أجل إحيائها في العقود الأخيرة؟

مع التأكيد على كلمة (طبيعية)، فهناك حالة من التعايش يسعى إليها البعض ولكن بصورة مصطنعة يفرضها ظرف سياسي ضاغط أو مصلحة انتخابية مؤقتة أو غير ذلك من العناوين التي لا تعمّق مفهوم التعايش الإنساني الذي طرحه القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرت:١٣، ليبقى هذا التقارب والتعايش حالة متزلزلة هشة ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ الكهف:٤٥، وليتخلى عنها دعاتها متى ما تغير الظرف السياسي وتبدلت المصالح الانتخابية.

أما التعايش الذي ننشده فيقوم على أسس فطرية إنسانية إيمانية وأخلاقية متجّذرة في النفس من خلال العودة إلى صفاء الروح وطهارة القلب وتعاليم القرآن حيث قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينُ﴾ الأنفال:٤٥.

- مزاج متعصب:

أعلم أن هذا المنطق لا ينسجم مع مزاج البعض، خصوصاً من يعيشون جعجعة الحركة الانتخابية بكل أجوائها الطائفية والعنصرية والقبلية، ولكن هل تحولت الانتخابات إلى صنم نعبده، ومجلس الأمة هو المعبد الذي نذبح فيه القرابين لها؟ إن كان الجواب بالنفي فعلامَ تناسينا كل المبادئ والقيم الإنسانية

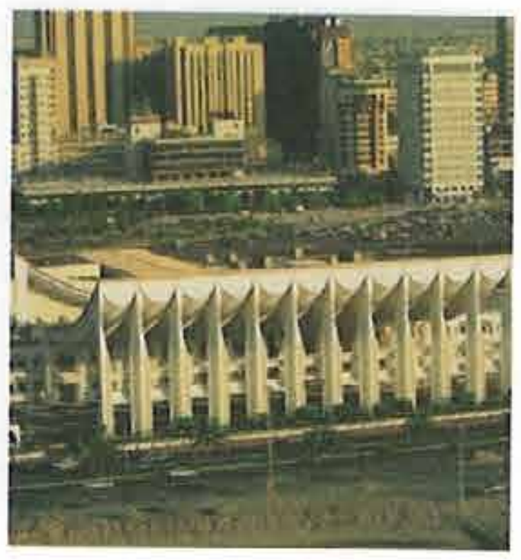

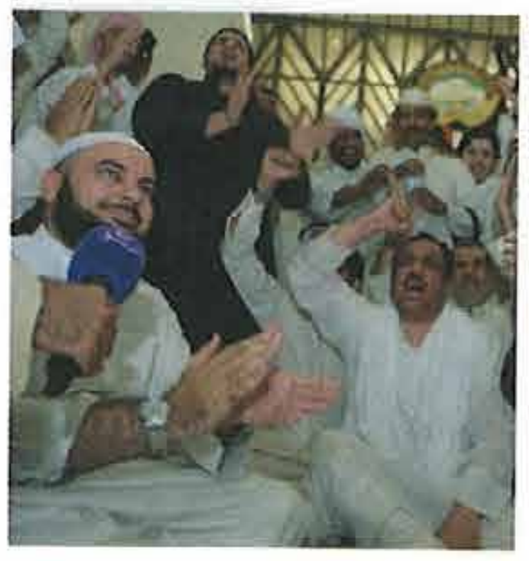

الكل يتكلم عن مصلحة الكويت، ولكن للأسف قليلون هم الصادقون بل لا مانع عند البعض منهم أن يدمِّروا القضايا التي يتظاهرون تبنيها

والإسلامية في طريق التنافس الانتخابي؟ إننا في الوقت الذي نفتخر فيه بأن الكويت كانت سبّاقة في تأسيس المجلس النيابي والمشاركة الشعبية في إدارة البلاد، إلا أننا لا نريد لهذا الإنجاز ـ في الوقت نفسه ـ أن يغدوَ سبباً لتمزيق البلد وتفكيك المجتمع وتفريق مكوناته.

أنا لا أريد أن أتبرأ من انتمائي لمدرسة أهل البيت، كما أن الآخرين لا يتبرؤون من انتملءاتهم المذهبية، ولكن دعونا لا نحوِّل هذه الانتملءات إلى معاول هدم للمجتمع من خلال توظيفها سلبياً في الآلة الانتخابية.

• بطر وريلء:

ثم تحذرنا الآية من هذا النموذج: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ الأنفال:٤٦، سواء أكان فرداً أم جماعة، هذا النموذج الذي يعيش حالة من الطغيان في النعمة، وفي القوة وفي الامتداد والنجاح الذي يحققه، ليعيش بذلك حالة من الزهو.. هذا النموذج الذي يعمل، ولكن ليس إخلاصاً للقضية التي يعلن أنه خرج من أجلها.

الكل يتكلم عن الكويت ومصلحة الكويت والمصلحة العامة، ولكن للأسف قليلون هم الصادقون.. والحق أن هذا النموذج إنما خرج ريلءً وفي حالة استعراضية يحاول من خلاله الإيحاء للناس بقوته، ليراه الناس وليقولوا عنه ما يحب أن يقال فيه من كلمات المدح والثناء، والواقع في حركته أنه يعمل لذاته أو لحزبه أو لجماعته أو لقبيلته، ولذا فلا مانع عنده أن يدمِّر القضية التي يتظاهر بتبنيها والعمل من أجلها، ولا مانع عنده أن يدمِّر المجتمع الذي ساانده وانطلق خلفه، مادام أن حركته هذه ستصب في المصلحة الخاصة في نهاية المطاف.

• فُلك وريح عاصف:

لنتذكر قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ





بأيدينا أن نصنع من المرشحين
مفسدين يدمِّرون هذا المجتمع ،
وبأيدينا أن نوصل الذين يشترون
أصواتنا ليبيعوا مصلحة البلد

بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يونس:٢٢-٢٣. ولنتذكر أن

بأيدينا أن نصنع من المرشحين مفسدين يدمِّرون ما بقي من عناصر قوة في هذا المجتمع، وأن بأيدينا أن نوصل الذين يشترون أصواتنا ليبيعونا وييبيعوا مصلحة البلد بعد ذلك في أسواق عصبياتهم ومصالحهم، فالمجلس في نهاية المطاف هو صنيعة أيدينا.



٢٠ صفر ١٤٣٣ هـ
١٤ يناير ٢٠١٢ مـ

الكرامة الإنسانية

من الطبيعي أن تجد لوحدة العنوان الذي يجمعك بالآخر الأثر في قوة مشاعرك تجاهه ، وفي وحدة الانتماء الأثر في تنظيم وقوة العلاقة

للعناوين المشتركة بين الناس دورٌ في رسم طبيعة العلاقة والمشاعر المتبادلة فيما بينهم، فمن الطبيعي أن تجد لوحدة العنوان الذي يجمعك بالآخر الأثر في قوة مشاعرك تجاهه.. فعندما تلتقي بأحد أبناء بلدك وأنت على بعد آلاف الكيلومترات، فإن مشاعرك تجاهه تكون قوية، لربما مع وجود اختلافات كثيرة بينك وبينه من حيث الانتماء الأسري والعرقي وغير ذلك.. إلا أنك تتناسى كل ذلك وتركز على ذلك العنوان المشترك.

من الطبيعي أن يكون لوحدة الانتماء أثرٌ في تنظيم وقوة العلاقة.. فالعلاقة بين المنتمين إلى دين واحد عادة ما تكون أوثق من غيرها، ويتم تناسي الكثير من الفروقات كالانتماء الوطني والقومي، بسبب تقديم ذلك العنوان على سواه. وكلما زادت العناوين المشتركة بين الطرفين كلما توقعنا علاقة أقوى ومشاعر أقوى. ومن النصوص الإسلامية ما يؤكد ويشجع على ذلك في دائرة الإنتماء إلى الإسلام، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ التوبة:٧١، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر:٩. وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) وغير ذلك كثير، وهي تؤكد على فضل الإسلام ومدخليته في كمال الشخصية وفي قيمة الإنسان عند الله، وفي تفاصيل نُظُم العلاقة بين المسلمين.

بل ومن النصوص ما ينظّم أولوليات العناوين المشتركة، كقول الله سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ التوبة:٢٣. وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلا لِعَجَمِيٍّ

عَلَى عَرَبِيٍّ وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى﴾.

ويلات النظرة الإستعلائية:

ولكن كل هذا لا يعني ازدراء مَن هم خارج تلك الأطر، ولا انتهاك حرماتهم وحقوقهم المادية والمعنوية ما دامت الأمور والعلاقات في سياقها الطبيعي، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ الإسراء:٧٠.

وقد جلبت هذه النظرة الإزدرائية والإستعلائية الويلات والدمار للبشرية على طول التاريخ، سواء أصدرت من منطلق ديني أو قومي أو غير ذلك. ولك أن تقرأ التاريخ في بعض أسباب الحروب بين اليونان والفرس، والرومان والفرس، والحرب العالمية الثانية وعلاقتها بالنازية العنصرية، وغير ذلك كثير لتتجلى الصورة بشكل أوضح. وفي القرآن الكريم تنديد بذلك، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران:٧٥-٧٦. وكان منطلق ذلك في الأصل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ المائدة:١٨. فهذه النظرة الإستعلائية ولّدت حالة من الازدراء للآخر المختلف، وأخرجته من الدائرة الإنسانية بإهدار كرامته، فاستباحت ممتلكاته وحرماته.

وللأسف يكرر بعض المسلمين نفس الأخطاء، بينما الآية في الوقت الذي تندد فيه بخطأ ذلك المفهوم وانحراف ذلك السلوك، ترسل رسالة للمسلمين أن الله لا يريد لهم أن يأخذوا بهذه النظرة ولا أن يتعاملوا مع غيرهم بهذا الأسلوب، فالمطلوب هو: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى﴾ في كل تعاملاته ومع الجميع ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. فهذا أصل أخلاقي لا يتبدّل مادام أن الآخر لم يهدر كرامته وكرامتي الإنسانية من خلال إعلان الحرب عليّ، أو بسرقة أموالي وأمثال ذلك.

• أصل الكرامة:

ولذا فالأصل أن للإنسان ـ أي إنسان ـ كرامة، وأن التعامل بين المسلم والآخر يجب أن يقوم على أساس احترام كرامة الآخر التي هي هبة إلهية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الإسراء:٧٠، وقد قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية: (يظهر أن المراد بالآية بيانُ حالٍ لعامة البشر مع الغض عما يختص به بعضهم من الكرامة الخاصة الإلهية، والقرب والفضيلة الروحية





القرآن اعتبر أن بني آدم مكرّمون لأنهم بنو آدم ، فحينما يقال حقوق الإنسان ، معنى ذلك أن له كرامته بما هو إنسان ، حتى لو كان كافراً

المحضة، فالكلام يعم المشركين والكفار والفساق).

وإلى هذا أشار الفقيه الراحل الشيخ المنتظري بقوله: (نحن نعتقد أن القرآن إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، فهو يقصد أن بني آدم مكرّمون لأنهم بنو آدم، فحينما يقال حقوق الإنسان، معنى ذلك أن للإنسان شرفَه وكرامتَه بما هو إنسان، حتى لو كان كافراً، لأن الإنسان محترم بذاته عند الله، وهذا صريح معنى الآية. ويقول علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، وبالتالي فإن للإنسان حرمته بما هو إنسان).

• فقه العلاقة بالآخر:

ولعل تأسيس هذا الأمر كأصل يكون من المنطلقات التي يعيد من خلالها الفقهاء المسلمون عموماً قراءة الأدلة المتعلقة بفقه العلاقة مع الآخر، من قبيل مسألة كراهة ابتداء غير المسلمين بالتحية، وحرمة تهنئتهم في أعيادهم، وأن لا يُترك للذمي صدر الطريق، وأن يُضطر إلى أضيق الطرق، وإباحة أموالهم وإن لم يكونوا حربيين، والحكم بنجاسة غير المسلم أو غير الكتابي، وغيرها من المسائل.. بل كيف يمكن أن تفتح قلب الآخر لتدعوه إلى الهدى، وقد بنيت بينك وبينه ألف حاجز وحاجز تحت عنوان النجاسة والاحتقار ونقص الإنسانية وغير ذلك؟

إن وفد نصارى نجران وإن لم يحترموا خصوصية مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتلوا صلواتهم فيه بغير استئذان وبحضور النبي، إلا أن رسول الله لم يسمح لأحد بالتعرض إليهم، ولم يطردهم لنجاستهم، ولم يقطع عليهم صلواتِهم.. وأقرَّهم أخيراً على دينِهم.. فهل من مدَّكر؟

هذا الكتاب ...

الإصدار الذي بين يديك هو أحد النماذج الموفقة في العمل بالمبدأ الإعلامي القائم على الحكمة في المضمون والموعظة الحسنة في الأسلوب.. وهو الإصدار الخامس من كتاب (منتقيات) لأخي العزيز سماحة الشيخ علي حسن غلوم، وهو يحتوي على ٥٢ مقالة نشرت كمقالات رئيسية في صفحة (منتقى الجمان) في جريدة الوطن الكويتية، وبإضافة هذا العدد إلى ما سبقتها من مقالات في الأجزاء الأربعة السابقة يكون العدد الإجمالي ٢٦٠ مقالة، وأكثر هذه المقالات هي عبارة عن خطب الجمعة التي ألقيت في مسجد سيد هاشم بهبهاني.

يعتمد الكاتب على الآيات القرآنية والسنة النبوية وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام في تدعيم أفكاره، كما يعززها بإحصاءات ودراسات قامت بها مؤسسات وشخصيات وطنية ودولية.

ويتبع الكاتب الأسلوب المعاصر في إيصال الفكرة للآخرين، وهو الأسلوب الذي يعتمد على بساطة اللغة واستخدام الصورة في دعم الفكرة.

جابر سيد خلف البهبهاني